

UNIVERSITY OF TORONTO



3 1761 00397391 4

حسن الصبر

٢٣٤ ذكر وفاة الملك سنجر بن ملکشاہ وشرح نبذ من احواله

٢٣٥ ذكر السبب في تولية برکیارق بلاد خراسان

٢٤٠ عود الى حديث سنجر

٢٤٣ ذكر وزراء السلطان سنجر بخراسان

٢٤٣ ذكر السبب في قتل وزراء السلطان سنجر

٢٤٨ ذكر جماعة من خواص سنجر وممالیکه اُجبههم ثم سلام

٢٥١ ذكر علو همة السلطان سنجر وکرمه الخ

٢٥٢ ذكر سبب اختلال مملکته وانحلال سلسلته

٢٥٣ ذكر السبب في ذلک وانکسار سنجر في حربته مع الخطائنة

٢٥٦ ذكر انتعاش سنجر بعد ان عثر

٢٥٧ ذكر نوبة الغز سنة ٥٤٨

٢٦١ ذكر الحوادث بالعراق بعد انفصال السلطان محمد بن محمود عن بغداد

٢٦٥ ذكر وفاة الامام المقتفي لامر الله وجلوس ولده

٢٦٨ ذكر مراسلة الخليفة للسلطان

٢٧١ ذكر ما آل اليه امر السلطان وكيف جفاه زمانه وخان

٢٧٢ ذكر جلوس السلطان أبي المظفر ارسلان بن طغرل بن محمد بن ملکشاہ

٢٧٦ ذكر وفاة السلطان ارسلان في سنة ٥٧١ ووفاته آتابک ایلدکز قبله

٢٧٧ ذكر الوزراء المتولين

- ١٩٥ ذکر وزارت ابن دارست الفارسی
- ١٩٧ ذکر الحوادث التي انحلت بها تلك العقود الخ
- ١٩٨ ذکر وزارت شمس الدين ابن النجيب الاصم الدرکزینی
- ١٠٢ ذکر ماجری باصفهان من الفتنة بعد مصرع بوازيه
- ٢٠٢ ذکر بعض الحوادث
- ٢٠٤ ذکر وصول السلطان سنجر الى الري
- ٢٠٥ ذکر حوادث في تلك السنين
- ٢٠٦ ذکر ما تجدد من الملك ملكشاه و وفاة السلطان مسعود
- ٢٠٨ ذکر جلوس السلطان ملكشاه بن محمود
- ٢١٠ ذکر جلوس السلطان أبي شجاع محمد بن محمود بن محمد بن ملكشاه
- ٢١٢ ذکر ماجری للسلطان سليمان بن محمد بن ملكشاه وجلوسه على
- سرير السلطنة
- ٢١٣ ذکر رجوع السلطان محمد بن محمود بن محمد بن ملكشاه الى مقر
- ملكه بهمدان
- ٢١٤ ذکر ما اعتمده الامام المقتفي لامر الله بعد موت السلطان مسعود
- ٢٢٠ ذکر وصول السلطان سليمان بن محمد بن ملكشاه الى بغداد الخ
- ٢٢٢ ذکر اتصال الملك جفری شاه بأخيه السلطان محمد
- ٢٢٣ ذکر حوادث جرت في تلك السنين
- ٢٢٥ ذکر وزارت شمس الدين أبي النجيب الدرکزینی
- ٢٢٦ ذکر وصول السلطان محمد الى محاصرة بغداد وما اعتمده المقتفي من

- ١٠٦ ذكر وزارة أبي منصور ابن الوزير أبي شجاع
- ١٠٩ ذكر جلوس السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه
- ١١٥ ذكر وصول السلطان الاعظم سنجر بن ملكشاه من خراسان الى حدود العراق
- ١٢٤ ذكر وزارة شمس الملك بن نظام الملك
- ١٣١ ذكر وزارة الدرگزني في سنة ٥١٨
- ١٣٦ ذكر وزارة أبي نصر أنو شروان بن خالد
- ١٤٢ ذكر ما حدث بعد وفاة السلطان محمود الى أن استقر الملك لطغرل
- ١٤٥ ذكر جلوس السلطان طغرل بن محمد بن ملكشاه
- ١٤٦ ذكر ماجرى للملك داود بن محمود بعد وفاة أبيه
- ١٤٩ ذكر حوادث جرت من السلطان مسعود وآبلك آق سنقر الاحمديلى
- ١٥٢ ذكر ما كان من حديث عمى العزيز وحادثته بعد عوده الى القلعة
- ١٥٤ ذكر قتل الوزير الدرگزني وما آل اليه أمر طغرل
- ١٥٦ وزارة شرف الدين على بن رجا
- ١٥٨ ذكر جلوس السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه
- ١٦٣ ولاية أبي جعفر منصور الراشد بالله
- ١٨٦ ذكر زنكي بن آق سنقر في آخر عهده
- ١٨٧ ذكر مقتل جعفر نائب زنكي بالموصل
- ١٩٢ ذكر حال أبي جعفر محمد بن على بن أبي المنصور
- ١٩٤ عود الحديث الى ذكر ماجرى للسلطان مسعود بعد موت جاري

- ٣٦ ذكر أحوال الب أرسلان بديار بكر والشام
- ٣٧ ذكر خروج ملك الروم وكسره وقسره وأسره
- ٤٢ ذكر أحداث حدثت في هذه السنين
- ٤٤ ذكر وفاة الب أرسلان سنة ٦٥٠
- ٤٦ ذكر جلوس السلطان ملكشاه بن الب أرسلان
- ٤٨ ذكر وفاة القائم بأمر الله وتولي المقتدى بأمر الله
- ٥٢ أيام السلطان ملكشاه بن الب أرسلان
- ٥٦ ذكر الأكابر والكتّاب في زمانه
- ٦٢ ذكر ظهور الاسماعيلية
- ٦٤ ذكر نبذ من حوادث وأخبار في أيام ملكشاه الخ
- ٦٨ ذكر أبي منصور بن نظام الملك
- ٧٣ ذكر دخول السلطان ملكشاه إلى بغداد
- ٧٥ ذكر حوادث
- ٧٦ ذكر حال ولاية بركيارق بن ملكشاه
- ٧٧ وزارة أبي عبد الله الحسين بن نظام الملك
- ٨١ ذكر خروج السلطان محمد بن ملكشاه من جنزة وأران إلى الري واصفهان
- ٨٨ وزارة أبي نصر أحمد بن نظام الملك
- ٩٤ وزارة أبي منصور محمد بن الحسين الميمني
- ٩٩ ذكر جلوس أنو شروان بن خالد في نيابة الوزارة
- ١٠١ تولى كمال الملك على السمرقند أشرف مملكة السلطان محمد بن ملكشاه

فهرست

✽ كتاب تاريخ دولة آل سلجوق ✽



صحيفة

- | | |
|----|--|
| ٣ | مقدمة المؤلف |
| ٥ | نبذة من بداية حال السلجقية |
| ٩ | ذكر دخول السلطان طغرل بك الى بغداد في سنة ٤٤٧ هـ |
| ١١ | ذكر الحال في ذلك |
| ١٢ | ذكر عوارض عرضت وحوادث حدثت |
| ١٣ | ذكر عود السلطان الى بغداد وحضوره بين يدي الخليفة |
| ٢١ | ذكر سبب تولى ابن دارست وزارة الخليفة الى حين انصرافه |
| ٢٢ | ذكر حوادث في هذه السنين |
| ٢٤ | ذكر وصول السلطان طغرل بك الى بغداد |
| ٢٥ | ذكر وفاة السلطان طغرل بك بالرى |
| ٢٦ | ذكر سيرة طغرل بك |
| ٢٧ | ذكر جلوس السلطان ألب ارسلان |
| ٢٩ | ذكر نظام الملك |
| ٣٠ | ذكر ما جرى لآلب ارسلان بعد ملكه |
| ٣١ | ذكر وصول أبى سعد محمد مستوفى المملكة الى بغداد |
| ٣٢ | ذكر حوادث طواريء وطوارق واتفاقات وموافقات |

المستضى . بأمر الله أبي محمد الحسن بن المستجد بن المقتنى رضى الله عنهم
أجمعين

قلت وامتدت ولايته الى آخر شهر رمضان سنة ٦٢٢ وتوفى في هذا
التاريخ وتولى ولده الامام الظاهر بأمر الله أبو نصر محمد وتوفى رضى الله عنه
في رجب سنة ٦٢٣ وتولى ولده الامام المستنصر بالله أبو جعفر منصور اعز
الله انصاره . وضاعف اقتداره

قال الامام عماد الدين رحمه الله: وقد كنت اوثر ان انهى هذا الكتاب
الى آخره بشرح حادثة كل عام . والانتفاء فيه الى كل مرام . لكنه بغيتى
الى الشام . وتباعدي عن معرفة صروف تلك الايام . اقتضت على
ما عرفته من المجل . واستغنيت بها عن ذكر المفصل . ولان
السلطنة في تلك الايام وهنت وهانت . وبانت اسباب
اختلالها وظهرت اسرار وهائها وهانت . وما
تمكن وزير من سيرة سارة . ومهيرة
بارة . حتى انوذبذ كرد وانبه . وفيما
انشأته من محاسن الايام
الناصرية كفاية . ولكل
موفق الى هداة
هداية

فأخذوا به ورموه . واخذوا رأسه وما ذب عنه أصحابه ولا حموه . وسير
رأسه الى بغداد . واستولى السلطان خوارزمشاه على البلاد . وختمت الدولة
السلجوقية بطغرل . وكان افتتاحها بطغرل . وكانت مدة ملكها منذ وصل طغرل
بك الى بغداد الى هذه الغاية ١٤٠ سنة . وكانها اشبهت سنة . فسبحان الذي
ملكه لا يزول . وحكمه لا يحول .

ذكر الوزراء المتولين

قال رحمه الله : كانت الوزارة لجلال الدين بن القوام فلما توفى وزير اخوه
قوام الدين . ثم عزل واستوزر كمال الدين الزنجاني . المعروف بالتمجيلي . وبقي
سنتين وعزل . ثم استوزر صدر الدين قاضي مراغة ثم استقرت الوزارة بعد
عزله على عزيز الدين ابن الرضى . ذى الخلق والسكرم المرضى . ثم جرى
ما جرى من قتله . وأذن الملك بشتات شمله

قال : وفي شهر سنة ٥٦٥ وجد ايناج صاحب الرى مقتولا على
سريره . ولم يعلم كيف كان سبب تدميره . وأضيف الذنك به الى مماليكه .
بتدبير الوزير وتشريكه . وكان وزير ايناج سعد الدين أسعد الاشلى . فاستوزره
شمس الدين ايلدكز واستقل . وكان وزير ايلدكز من قبله مختار الدين

قال : وتولى السلطان طغرل فى الدولة الامامية المستنصرية . وكانت ولاية
المستنصرى بأمر الله فى ربيع الآخر سنة ٥٦٦ . وانتقل الى رحمة الله تعالى فى
آخر شوال سنة ٥٧٥ . وتولى الامام الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن

الدين رئيس همذان وسماه . وسلط على كل من تقرب منه وهمه
 وهمه . وكلما تمكن أزجه عمه قزل ارسلان حتى وصل في سنة ٥٨٥ الى
 الامير حسن بن قنقجاق وتزوج بأخته . وجرى معه على حكم وقته . فنهض
 معه لينصره . ويعضده ويوزره . ووصل الى مدينة أرمية فأغلقوا بابها دونه .
 والقنجاقيّة معه يسعدونه . فدخلوا المدينة واستباحوها ونهبوها . واحتاحوها
 وخربوها . وسير السلطان صلاح الدين من الشام رسله في الاصلاح بينه
 وبين قزل ارسلان . فدان له ولان . وكاد الصلح يتم . والخبر نيم . فأبى سوء
 الاراء استواء الآراب . وتستر الصواب بالحجاب . فعن للسلطان ان يقصد
 قزل ارسلان بهمذان . اخمداً لغيران الافتتان . فقبضه يوم قدومه واعتقله
 في بعض المعازل . فتعنت آثار تلك الضوائل . وسكن الدهر . وقضى
 الامر . وضرب قزل ارسلان النوب الخمس . ووطن على الاستبداد بالسلطنة
 النفس . ولحق بالصفاء عن الكدر . وغفل عن القضاء والقدر . فوجد ليلة من
 الليالي بهمذان مذبحاً على فراشه . وقد نئس عاثر الملك به من انتعاشه .
 وكان بين حفاظه وحراسه . ولم يعلم من الذي أقدم على قطع رأسه . وذلك
 في شعبان سنة ٥٨٧

وسار ابن أخيه نصره الدين أبو بكر بن بهلوان الى آذربيجان فملكها . وسار
 أخوه قتلغ اينانج بن بهلوان الى طريق الري فملكها وأدركها . وسمى بعض
 الامراء في اخراج طغرل من محبسه . واعاده من السلطنة الى مجلسه ومضى
 الى دار الملك همذان . وأستأنف الامكان . واستجد العدل والاحسان . فجاء
 السلطان خوارزمشاه في سنة ٥٨٩ لالتغلب على المملكة . فلقية السلطان طغرل
 في المعركة . وخرق بقة قليلة الصف الخوارزمي . وظهر البأس الرستمي .

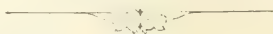
﴿ ذكر وفاة السلطان ارسلان في سنة ٥٧١ ﴾

﴿ وفاة آتايك ايلدكز قبله ﴾

قال رحمه الله: كان السلطان قد تزوج بأخت نخر الدين رئيس همذان . فاتفق
وفاة شمس الدين ايلدكز بن خجوان . وتمكن ابنه محمد المنعوت بهلوان .
وهو أخو ارسلان من أمه . فأراد الاستبداد دونه بحكمه . وكان ارسلان
مريضاً فنقل الى دار زوجته بهمذان وتوفي بها . وقيل ان أخاه بهلوان سقاه
والحزم في بقاءه ما يقاه . وأجلس ولده طغرل الصغير . وشغل به السرير .
ونفذت أوامره في الممالك . واضحة المسالك . واسعة الممالك . وما زال
أمره مستقيماً واستقامته مستمرة . وثنايا دولته عن مباسم السعود مفترية .
الى ان توفي بهلوان في أوائل سنة ٥٨٢ وتولى أخوه مظفر الدين قزل
ارسلان بن ايلدكز الملك . ونهج المسلك ونسق السلك . وطغرل قد شب
وأرب فوجد أمره مهجوراً . وعزه محجوباً محجوراً . فأحب الانفراد .
وأراد الاستبداد . فهرب ايلان وانضم اليه جماعة من الامراء البهلوانية .
وبعثوه على التوحيد بالعزة السلطانية . وكان سيئ التدبير . يعاقب على التهم
بالقتل والتدمير . وكانت البهلوانية قد انجذبه . وساعدوه وأسعدوه . وأقام
قزل ارسلان مراراً فأقعدوه . فاتهمهم يوماً على ظنة أضرمت نار اشتطاطه .
فقتلهم غيلة على بساطه . فنفرت منه القلوب . وتمكن قزل ارسلان .
وتضعضع السلطان . واتهم وزيره عزيز الدين بن رضى الدين يوماً فقتله
وأخاه صبرا . وزاد في فتكه بخواصه كلما انكسر ولم يلف خيراً . واغتال نخر

سراياه الى ايناج لقطع سراياته . فقد موهها وجبوا اعمالها . وجنوا أموالها .
 وجمعوا ذخائرهما . وفرقوا اخيرها . وكان ايناج منهم نجوة . وقد قنع من
 العيش بفجوة . وهو في حدود الدامغان وما زال بها يستعطف . ويستسعف . ويتوصل
 ويتوسل . الى ان صلحت اسبابه واستتب صلحه . ونجحت آرايه وأرنبى نجهه .
 وقصروا رأيه على القناعة بالرى . وتموض برشده عن الغنى . وحلت عنه
 جرباذقان وساوه . وعاودت معيشته وعيشته الطلاوة والحلاوة . ورحلوا
 الى قزوين فتحصن صاحبها في قلعة سرجهان . وعاین وعانى الامتحان
 والامتهان . فقرقوا العمال . وجمعوا الاموال . وأقاموا الى ان دهم الشتاء
 بشتات الدهاء . ورحل البلاء بنزول البلاء . فانهم لم يقيموا بالمكان ولم
 يتمكنوا من المقام . وفكوا عن البلدة عروة الازدحام . وسار السلطان
 نحو همذان . وآتابك ايلدكز الى آذربيجان . ثم استقرت سلطنة ارسلان
 ابن طغرل بن محمد بن ملكشاه . وعدم في عزه ونفاذ أمره الاشباد . وحكم
 عليه وعلى البلاد جميعها شمس الدين ايلدكز زوجاً . وجرى في اقامته . وس
 سلطانه على رسمه

وكانت الوزارة مستمرة بشهاب الدين الثقة . وله من الناس انكرمه
 وعلوهمه المقة . الى ان توفي باصفهان واستوزر بعده الوزير نخر الدين ابن
 الوزير المعين المختص ولما توفي بهمذان بعد سنين استوزر جلال الدين ابن
 القوام الدرکزني وامتدت وزارته في الايام الارسلانية . ووفى باحكام
 الأحكام السلطانية



السلطان قد اتهم الوزير بمداخلة . ومكاتبة ايناج . و . اجابه . وكانوا حملوا
السلطان على قتله . وحذروه من مكره وختله . فاسمع فيه مقالا ولا رأي
له اعتقالا . بل وكل له في السر جماعة يظهرون انهم في خدمته . ويظاهرون
في حفظ حرمته . وكان في اعتمام نصرة الدين بهلوان فقرر امره على هدايا
يهديها . وأربعين ألف دينار يؤديها . فأخذوا منه في المال المال . وتركه وافي
القبيل والقال . فصرفوا المال في مصالح المسكر . وعاد الوزير الى سمعه الازهر
وجده الابر . وقدم الحركة . يوم المعركة . ولما تواقفت الجمعان . واجتمع الموقفان
حملت ميمنة ايناج على ميسرة السلطان وكسرتها فوجد السلطان ووجم . وهجم
عليه الهم بما هجم . لكنه ثبت في قلبه . وانتحي ايلد كز حمل بأولاده
وصحبه . وخفقوا على قلب ايناج فنجوا وقلبه خافق . وهمه لوهمه مصافح
مصافق . والطرده من ورائه ورأيه في الطراد . وغاب في الغبار واضمرت
دياجي الضمر الجياد . واصابت وجهه الوزير في هذه الواقعة ضربة سيف
أذهبت عينه اليمنى . ولم يدركه بعد ذهاب ذهبه وعين نضاره بذهاب
ناظر عينه يمنى . وحمل الى همذان في محنة ليتداوى . وشمت به عداته وعادت
ضوايرها عليه تتعاوى . فولى ايناج مدبرا وأدبر موليا . وخلي رحله ورحل
متخليا . وعاد السلطان الى عادته في السلطنة واتسع ملكه . واتسق سلكه
ودار فلكه . ودر فلكه . وتفرد زوج أمه آتابك ايلد كز بالامر والنهي .
والنشر والطى . والحسم والكي . والاثبات والنفى . فأدنى وأبعد .
وأشقى وأسعد . وراقب الاضراب . وضرب الرقاب . وحاجي الاعضاء
وعادى الاحباب

ولما وضعت الحرب أوزارها وجه السلطان الى الري برأيته . ووصل

لكنه أبدى الرضا بما بدى . وأظهر انه مع الاولياء . وأسر كونه مع العدى
 ووصل السلطان والجماعة واثقين بالمذكور . ممتدين بعمله المشكور .
 الى اصفهان ودخل السلطان الى دار السلطنة فاحتل سريرها . وقرَّ بها سامى
 العين قريرها . ومدوا باصفهان أيديهم . وأجدوا تعديهم . وأخذوا البريء
 بالسيقم . والكريم بالاثيم . والحديد بالذميم . وساقوا الناس بقلم التوزيع الى
 لقم التفريع . واستثمروا اصول المصادرات بالتقريع . وسدوا الانهار على
 البساتين حتى أخذوا أثمان المياه . وشفها الموارد وصدوا عن الصادى ورد
 الشفاه . وأقام السلطان كذلك برهة ولما عزم على الرحيل تلوى عليه الامير
 عزَّ الدين ستماز وتخلَّى عنه وتخلف . وتوقى منه وتوقف . وكان قد كاتب
 الامير ايناج لمناواة السلطان . وشق العصا بالعصيان . واستدعاء أخيه الملك
 محمد بن طغرل من فارس وأحس السلطان بالتدبير . فوقع فى التشويش
 والتشوير . فان آتاك ايلدكز وأولاده كانوا بهم مذلان . وهم لا يظنون من
 أولئك بالايذاء الايذان . فأغذ فى السير . واستعمار فى القدوم عليهم قادمة
 الطير . فلما اتصل بهم أفرخ روعه وأفرق . وأشرف ضوءه وأشرق . وامتد
 ايناج من الرى متوجها مسارعا الى لقاء السلطان ومناجزته . قبل اللقاء
 آتاك ايلدكز به ومحاجزته . فاتصل بايناج عز الدين ستماز وصاحب قزوين
 الب ارغو فى جموع حاشدة . وحشود جامعة . والملك محمد ابن طغرل
 معهم وقلوبهم معه . وقد ضاق القضاء بالمسكر فما وسعه . والسلطان فى
 عزمه العزم وجحمله الخلف

فزحف الجيشان ورجف الجاشان . وتحرك المجران . وتحرق الجران .
 وكان اجتماعهما بنواحي الكرج . وكرب الحرب معوز الفرج . وكان

ذكر جلوس السلطان ركن الدنيا والدين ابي المظفر ارسلان

ابن طغرل بن محمد بن ملكشاه بن الب ارسلان

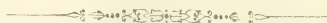
قال : وصل ارسلان الي همذان بعد اعتقال عمه في ذى القعدة من السنة وجلس على سرير سروره . واجتاب جبر حبوره . ولعت شمس الدين ايلدكز آتابك الاعظم . فتقدم وأقدم . وأهان وأكرم . وكان السلطان تحت سلطانه . يرتوى من احساء احسانه . ويأكل من خوانه مع اخوانه . فان أولاد آتابك ايلدكز بنو أمه . وصار واسطة عقدهم ورابطة عقدهم بنظمه اليهم وضمه . وسعى سعد آتابك ايلدكز بقدم التقدم . وجد جده في التوسع والتوسم . وتضاغر له الكبراء وأثمر له الامراء . وتقررت الوزارة على شهاب الدين محمود بن الثقة عبد العزيز . والحجة على طغرل تكين اياز وأقاموا بهمذان شهرين ثم توجه السلطان الى اصفهان وجعل ساود مسلكه . واستصحب معه ايلدكز آتابكه . ووصل اليه في ساود الامير ايناج بك سنقر صاحب الرى فاتبع بالقيته وابق منه بهجة . وأقام بايضاح محبة خلوصه على حكم طاعته حجة . وصار بينه وبين آتابك ايلدكز صاهرة وتمت بذلك للسلطان مهابا . وظاهرة . وزوجت ابنة ايناج بابن ايلدكز الاكبر وهو نصره الدين بهلوان محمد وهو أخو السلطان لأمه . وأقام أهل الدولة بمهبة . ثم اكرموا ايناج وردوه الى ولايته غير انه باق على عتوه . راق في غلوه . متكره . يتكثر ايلدكز متكرث . متأثر قلبه من تقدمه . متأثر

ذكر ما آل اليه امر السلطان سليمان . وكيف جفاه زمانه وخان

وكيف قبض من مجلس ملكه . ونقل الى منزل هلكه



قال : لما اتسع ملكه . واتسق سلكه . ظن الامراء انه قد لاحف
 الفلاح . وصالح الصلاح . فلم يرضوا بالاحسان اليه لحسن ظنهم فيه وما زالوا
 في تقرير اسبابه وتسبيب قرار مساعدته ومساعدته حتي بداهم ابداله فان
 الامير ايناج عاد الى ريه . والسلطان سليمان انهمك في غيه . وأخل مظفر الدين
 صاحب قزوين بموضع الحجابة . وثبت الباقون من الامراء على الفتك بالسلطان
 فانه اشتغل بلهود ولها عن شغلا . وجد حبل جده بخبله . وقالوا الصواب
 ضبطه وربطه . وقبضه لابططه . ومكثوا مدة يتشاورون في خلعه . ويتوأمرون
 في وضعه . ويكتبون شمس الدين ايلدكزلي يقدم بابن زوجته الملك ارسلان بن
 طغرل وانهم لا يقطعون أمرا حتى يصل وأحكموا العهد وأبرموا العقد . واتفق
 انه حدث بالسلطان سليمان مصرع اصرعة من فرسه . فقتضت بضيق نفسه
 ونفسه . فمادود لاله وعادود في امه . واعتقلود في قصر من الدار السلطانية
 وكل كل امير به من ثقاته جماعة . واعتقدوا على اضاعته عهدا واعتقدوا العهد
 اضاعه . وذلك في شوال سنة ٥٥٥ ثم انهم نقلود الى قلعة همذان وجرعوه
 كاسا مسمومة . وازارود ميتة مذمومة . وكانت وفاته في ثالث عشر شهر ربيع
 الاول سنة ٥٥٦ بعد جلوس ابن اخيه في السلطنة



وانه يتعود خلوته . ولا يخلى عادته . ويريد هواه . ولا يهوى ارادته . نهض
وافر العدد . وافي العدد . وجاء الي جي . بلالى . ووفر حبور اهل اصفهان
بحضوره . وأذعنوا لوامره اذعنوا بأمره . واستبشروا وأنسوا بشره .
ونشروا الطيب وطابوا بنشره . وقالوا عاودتنا الاطاف الالهية . وعادت
علينا الايام الملكشاهية . وأقام وسير الكتب الى الاطراف . بالاستمالة
والاستعطاف . وخطب اللهو ولها عن الخطب . وغفل عن اسراع الذوى
الى عوده الرطب . وكان مغروراً بالشباب . مشبوب الغرار . مقدرًا للام
آمنًا من الاقدار . فلم ينقض عليه شهر حتى اشهرانه قضي ومضى . ون برقه ويومه
مضى . وذلك فى يوم الاثنين الحادى عشر من شهر ربيع الاول من غير مرض
سبق ولا عرض عرض . بل كانت له مغنية قد استهوته واستغوته .
وخبلت خلبه وسلبت ابيه . فصار يا كل من يدها ويشرب . ويجىء بجيها
ويذهب . وقيل انها بغت موته فمات بغتة . وقيل بل اصابه سكتة . وانها
قد رغبت حتى سقته سما . وكان قدرا حتما . قد احاط الله به عاما



وخذيرا ولاية وولا. والتعرض للخطبة تعرض للخطوب. ولا ترغبا في الخطبة
ان رغبتا في الولاء المخطوب. فقال رسولكم بها وعد فقيم اخلاف العدة .
واللاف الجدة . واثارة الشائرة الموحدة للموحدة . فليل لها ما كان لرسولنا ان
يقول ما لم نشربه . وفيم رضانا عن مرسلكما امن شربه وسربه . وغدا يوافقكم
رسولنا على انه لم يقل ما قلتم . ولم يعقد ولم يحل فيما به عقدتم . فافتروا
للاجماع في غد والمعاودة لموعده .

فاتفق ان رسول الخليفة وهو الحاجب سونج النظامي في تلك الليلة توفي .
واحمد سراج حياته واطفي . وكنتم سره تحت التراب واخفي . وكان هذا من
اعجب الغرائب . واغرب العجائب . حتى تحدث الناس بذلك الحادث . وانبشوا
لذكر ما تجدد عليه . من المباحث . وقيل انه خير بين ان يقتل صبورا . او يشرب
سما وما فيهما حظ لمختار . وقيل بل بقضاء من الله جار . وأجل موقوت بمقدار .
فلم يجر بعد وفاته لتلك المواعدة معاودة ولا موافاة . ووقعت من الرسولين
منافرة ومنافاة . فاتفق ان القاضي أباهيرة أحد الرسولين توفي بعد أسبوع
من وفاة سونج . ولم يكن دينه أيضا من القدر بمنج . فرجف الناس وأرجفوا .
وتحدثوا بما عرفوا وبما لم يعرفوا . واستشعر الرفيق الآخر وقال ما في
الاقامة خلاص . وأفلت راحلا وله خصاص . فانه غلب على ظنه انه ان أقام
قضى . ولحق بمن مضى . فتلاشت تلك الرسالة لعدم رسلها . ولروعة مثل
ذلك الحادث لم يرجعوا الى مثلها . ووقعت في انفسهم من بعداذ الهيبة . ومن
حصولها الخيبة . فلم يقدم ملك اليها . ولم يقدم سلطان عليها

قال : وفي هذه السنة وهي سنة ٥٥٥ توفي ملكشاه بن محمود بن محمد
وذلك انه لما عرف ملكشاه ان عمه ملك . وان حساب الممالك به تفدلك .

غزواته . واستولى على دولته مملوكه قايماز . وعز بالاستظهار ومظهر بالاعزاز

ذكر مراسلة الخليفة للسلطان

قال : وأرسل الخليفة الي السلطان سليمان . يسأله الطاعة والاذعان . ويطلب منه ان يخطب له في جميع البلاد . ويقوى رجاءه منه في نيل المراد . ويذكره باحسان الامام المقتنى اليه . وأفضاله عليه . فبادر السلطان الي التمام الارض . وأتمثال الفرض . وقبل كتابه وقبله . وكتب الي البلاد ليخطب له . وظن ان بغداد قد وصلت الي بغيته . وحصلت في قبضته . وانها في انتظاره فتمتته فرتب القاضي نبيه الدين اباهريرة الهمداني رسولا . وكان مقبلا في سمته وسعته . مقبولا . وهو من أعيان المملكة وأماثلها . وعلماء الامة وأفاضلها . ونذب معه الامير ابن طغايك ليكون ببغداد واليا . ويعيد ما رخص ونزل من قدم السلجقية غاليا غاليا . فعزم في عدة . وزعم انه على عدة . وسار القاضي والامير ومن معهم مع رسول الخليفة وهو الحاجب سونج النظامي ذو النطق واللسن والرأي الحسن . والعلم والفصاحة . والحلم والخصافة . فاستصحب القاضي والامير ووصل . على ظن انه بالمراد حصل . فلما قربا قربا . وبالرغائب رغبا . وقيمت الوظائف . ووضعوا الاطائف . واقاما مدة للتقرب والترقب . ثم قاما للمتطلب والتغلب . وقالوا انما حضرنا للتعرف والتصرف . لا للتوق والتوقف . فقال لهما الوزير ما بالكما . وما حالكما وبم ارسالكما . وفيهم سؤالكما فقالا ما جئنا لنذهب . وانما جئنا لنخاطب ونخطب . فقبل لهما ما اتما الا سفير الهداء واهداء

غرف . ولما انصرف الصيف وانكسر الحر وجل المقتنى الى واسط مرة أخرى وانحدر الى ناحية الغراف وعزل عن ولايتها ظفرا خادمه وولايها أبا جعفر بن البلدي وقبض على ابن افلح وزير ظفر وعاقبه . ولزمه بما استخرجه من دفائن ابن حماد وطالبه . وكبا به الفرس في بعض تلك المواقى فوق وتألم . واعتذر بصحته اليه القدر مما تجرم . وذلك في شهر رمضان من السنة

ولما دخلت سنة ٥٥٥ خرج الخليفة الى هيت وكان مقطعها نور لدولة ابن الامير العميد خل عنه الاقطاع . ولزمه شحه المطاع . وأقبل من سفره سافر الاقبال . ظافر الآمال . فما عاد حتى عاده سقم . ولم به ألم . فتوفى في يوم الاحد ثاني شهر ربيع الاول سنة ٥٥٥ وانتقل الى جوار الرب . طاهر الذيل نقي الجيب . أمين الغيب . برياً من العيب . ولما عرف ولده وولى عهده الامام المستنجد بالله أبو المظفر يوسف ان والده قد وقع اليأس عنه أشفق من تمام الامر لاختيه أبي علي . وانه للعهد غير ولى . وهجم الدار . وقبض الكبار والصغار . وعقل واعتقل . ونقل وانتقل . وبويع له بالخلافة يوم وفاة والده . واحتوى على طارفه وتالده . وقبض عدة من الامراء الخيلية ممالك الخليفة المقتنى واعدهم . وانتخب جماعة من ممالكهم وأمرهم وقدمهم . وأخذ القاضي سديد الدين بن المرخم أخذاً شديداً . وردد العذاب عليه ترديداً . الى ان فاضت نفسه . وغاض به رمسه . وحبس المخاص ابن الكيا المراسى مدة ايام خلافته . وحرمه حظ عاطفته ورافته وأقر عضد الدين ابن رئيس الرؤساء على استاذية الدار . ورفع قدره على الاقدار . وأقر عون الدين ابن هبيرة على وزارته . وبقي ماء الدولة به على

لما شفعت العزم وهو مؤيد . بالحزم أسفر بالمتى منك السفر
وبرزت مثل الشمس تشرق للورى . وسناك يحجب عنك ناظر من نظر
بمظلة سوداء تحمكى هالة . وجه الامام يضيء فيها كالقمر
وقال الوزير هذا صاحبي وقد وليته . وأصحبته وأوليته . وبهج بخدمتي
ونجح . وبذخ بنياتي ورجح . فوصى الامام وزيره بى . وأعجبه سمى
وأسلوبى . وسار على رسله ودخل الى دار الديوان . وجلس ساعة فى
الايوان . ثم قام وجلس الوزير فى الدست وكتب ووقع . وقال واسمع .
والناظر حينئذ فى واسط الامير شمس الدين أبو الفضائل فاتن وهو من
أكابر الخدم الذين لهم المزايا والمزاين . ثم انتقل الخليفة الى سرادقه . والوزير
الى مضاربه . ونزل أرباب الدولة كل منهم على مراتبه

قال : وحضرت بميدان واسط والمقتنى رضى الله عنه حاضرا ومعه
أولاده ولي العهد المستجد يوسف وأبو على وأبو أحمد وولده المستجد أبو
محمد وهو المستضى الذى تولى بعده وأمبوا بالكرة . ولم يلبث بواسط ثلاثة
أيام حتى عاد الى بغداد سريعا وكان وصوله للانحدار الى الزراف فزاد الماء
زيادة منعت العبور فرجع على نية الرجوع . وعند عودته غرقت بغداد
وذلك فى شهر ربيع الاول سنة ٥٥٤ وذلك لان الماء زاد فى تلك السنة
على خلاف عادته وتهور به بئق القورج وتقور . وغلب وبلغ السور من صوب
الظنرية وتسور . وطاف بتلك النواحي طوفان نوح . وراح شبح كل بناء
بغير روح . وكان ذلك منظرا هائلا . وقدرنا نازلا . وطارقا كثرت طريقة
وقتما عسر رتقه . وركب الوزير وأرباب الدولة فصدوه وسدوه . وردعوه
وردوه . واتفق انه نقص ووقف . وغرق معظم ما من ذلك الماء العظيم

جرم حالت حاله وساء ماله . وسندكر ذلك بعد ذكر بعض الموادث في أيامه . ونصل افتتاحه بافتتاحه

— — — — —

ذكر وفاة الامام المقتنى لامر الله وجلوس ولده الامام

المستنجد بالله أبى المظفر يوسف امير المؤمنين *

— — — — —

قال رحمه الله : كان الامام المقتنى لامر الله بعد الحصر آثر ان يخرج الى البلاد ايراهما . ويثري ببركة حركته ثراها . فاحضر طرفا الاخضره وما نغار كنفنا الانضره . وكان في اقامته عسكره طال ام قصر سفره الاخباز والاغنام والحوائج والعلائق تفرق على عدد الناس والدواب . وعساكره مجرون من جرياتهم . ونفاقاتهم واعطياتهم على المبار والمحاب فما ينفق لاحد فرس الا اخذه عليه . ولا يلمس صاحب معونة ولا مغوثة الا يحجل بها اليه . واجناده يتمنون ان تطول اسفاره . ليدوم اصبح سمادتهم بعطايه اسفاره . ووصل الى واسط في أواخر صفر سنة ٥٥٤ هـ وانا نائب الوزير ابن هبيرة بها وخرجت في اصحابي للالتقى . وكنت من زحمة اللقاء على غاية التوق . فبصرت بتوكب الخليفة وقد أقبل في أفواجه كأنه البحر في امواجه . فنزلت وتقدمت اليه . وقبلت الارض بين يديه . فوقف لاركب اسفاقا على من الزحمة . وكانت فطرته مجبولة على الرافة والرحمة . وقال له مخلص الدين ابن السكيا الهراسي هذا الذى يقول فى أمير المؤمنين من قصيدته كأنه يصف هذه الحالة

زوج امه . ومنهم من أشار بتليك سليمان عمه . وكان الامير ايناج يومئذ
أكثر جندا . وأكثف جمعا وأرهف حدا . ومال الى سليمان وقال هو
أسلم جانباً وأوطأه . وأثبت عن لازية رأيا وإبطاد . والخليفة كان قد ولاد
ووالى اليه الجليل وأولاده . فاذا أجلسناه قام الخليفة بتريته . ورضى بتوايته
قال وكان سليمان بالموصل فى اعتقال على كوجك فاتفق الامير ايناج
وناصر الدين آقش وشرف الدين كردبازو على ارسال الامير مظفر الدين الب
ارغون صاحب قزوين الى الموصل للوصول به . وكوب صاحبها فى طلبه .
وكان زين الدين على كوجك طلقه عند علمه بوفاة السلطان محمد وجهره بعد
التوثقة منه بالايمن . فقدم واستقر بهمدان على سرير الملك ودخل فى
طاعته سراة الترك وانتظم أمره . واضطرم جره . ووافقه مخالفوه . ووفاه
مخالفوه . وأصبح بالامير ايناج حل الدولة وعقدوا . ويده حباها . وبأيده
وصالها . وصار مظفر الدين الب ارغون بن يرتقش صاحب قزوين . الامير
الحاجب الامين . وقلد وزارته شهاب الدين محمود بن الثقة عبد العزيز
النيسابورى وكان وزير ايناج فنذت فى الاقاليم اقلامه . ومضت بالاحكام
احكامه . وأعاد الى وجهه الوزارة ماءها الذهب . وأوضح فى انارة افاقها
المذاهب . ولما رأى انه ليس فى الاكابر اعظم من اتابك شمس الدين
ايلدكزوان الملك ارسلان بن طغرل معه . وانه ربما قصد سليمان ليدفعه
سير اليه بولاية ارانية منشورا . ونظم وضم ما كان هناك منشورا . منشورا
وجعل ولاية العهد للملك ارسلان بعد سليمان . وتذلل الصعب وهان .
وحسبوا ان السلطان بعد غموضه يابه . ولكأسه يريق . ومن سكره يفيق
فبقى على الشرب مكباً . ولالعجب محباً . ولالعقل هاجراً . ولالحم زاجراً . فلا

بهذهان واستقبلها السلطان لمرضه في الحفة . وأحلبا في كنفه . وتركها
لا يقدر منها على متعة . ولا يطيق الامام من روضها برتعة . فما اقتضت
بافتراضها قدرته . ولا افترت بافتراءها مسرته . بل عجز عن البناء عليها .
وقصرت يد صحبته عن الامتداد اليها . وبقيت في جنبه نخيمة . وفي حياته
متألمة . وعرضت لوزير شمس الدين أبي النجيب هيضة غربت بها شمس
وفاضت نفسه . وغاض بفيضه رومه . وانقطع غده ونسي بيومه أمسه .
واقدر كان أقوم قومه سيرة . وأمثل أمثاله وتيرة . وكان بالتواضع حاليا .
ومن التكبر خاليا . وقلد السلطان وزارته ضياء الدين بن محمد الدين بن علجة
الاصفهانى فنقله الى الوزارة من منصب الطغراء . وزف عروس تلك المرتبة
منه امثل الاكفاء . واقدر كان في السيادة عريقا . وبالرئاسة ايقنا . لكنه
جاءته الوزارة وهو مشارف الوجل . ومشار الاجل . فما قرب من الوسادة
حتى قبر ووسد . وما قام خطه بقدره حتى قاومه القدر واقعد . فخرن السلطان
موته . وحزبه فوته . وكان قد طالت له صحبته . وأدالت منه لذته صحته .
وهو يمدد بالوزارة ويعرضها المثل . وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل .
ومكث السلطان بعد ذلك لاحيا فيرجى ولا ميتا فيسجى ثم انه توفي
يوم السبت لانسلاخ ذى القعدة سنة ٥٥٤هـ وكثر عليه الترحم . وزاد بمصابه
النالم . فانه كان أوقر السلجقية حلما . وأوفرهم علما . وأجهم للعدل . وأجهم
للفضل واختلاف من بعده الامراء فاجتمعت أرائهم على استدعاء الامير
ايناج صاحب الرى . ونشروا من الامر المستور بمالاته ما كان في الطي .
ثم تعارضت أرائهم وتناقضت أهواؤهم فمنهم من مال الى ملكشاه اخي
المتوفى . ومنهم من رأى الارسال الى الملك ارسلان لمكان اتابك ايلد كز

لأَظْهُرُ الْمَلِكَ الطَّاعِي بِصَوْلَتِهِ شَرَزَاوُ أَعْرَضَ عَنْ غَشِيَانِهِ تِيهَا
يَبْنِي الْوِزَارَةَ قَوْمٌ يَكْثُرُونَ بِهَا وَقَدْ تَصَاغَرُ قَدْرِي فِي تَوَلِيهَا
فَلَدَّتْهَا مَكْرَهَا وَالْقَوْمُ فِي فَلَاقِ يَرَاوُغُونَ تَتَمَوَّافِي مَرَاقِيهَا
وَعَفَّتْهَا طَائِعًا وَالِدَوْلَةَ اضْطَرَبَتْ مِنْ بَعْدِ مَنْ هُوَ بَعْدَ اللَّهِ يَحْمِيهَا
وَرَدَّ نَفْسِي إِلَى التَّقْوَى تَيَقَّنْتُهَا أِنَّ النَّقْيَ هُوَ مِنْ أَجْدَى مَرَامِيهَا
وَأَسْأَلُ الْحَقَّ بِالْحُسْنِيِّ ذَا انْقَلَبَتْ نَفْسِي إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهَا وَمَوْلَاهَا

قال : وبقي السلطان بعد ذلك سقيم لامل قسيم الام . عديم الشبه في سيرته لكنه شبيه العدم . متوجع الجدم متعوج الرسم . معضوض النشاط مقبوض الانبساط . وكان في عصره اكابر الدولة من الفحول . وذوى الهمم والعقول . عز الدين ستمار وناصر الدين آتش وأمين الدين أبو عبد الله أمير الدولة ومن الخدم شرف الدين كردبازو ونجم الدين رشيد وهؤلاء مازالوا اكابر في الدول . مقدمين ذوسي العديد والجوش والخيول . يلازمونه في السفر والحضر . ويثبتون معه في سبيل السلامة . ووادع أخاه ملكشاه وعقد له على خوزستان فما تمكن منها منهاجه . ولا تم بها ابتهاجه . لاستيلاء الامير اينغددي ابن كشتغان المعروف بشمله عليها وتغلبه وتبطل أمره بتطلبه . فبقى في البلاد دثرا حائرا . صابر بالبلاء والى الضيق صائرا . وأما السلطان محمد فانه مع تكسره . وامتزاج صحة مزاجه بسقمه . ووقوف رصد المنون على لقمه . رغب في التزوج بابنة ملك كرمان فخطبها معها هوفيه من خطبه . وبذل وحمل . واتحف واحتفل . ووردت الخاتون الكرمانية فزينت لقدمها القصور ووفر لحضورها الجبور وهم اذا

— ذكر الحوادث بالعراق بعد انفصال السلطان محمد بن محمود —

عن بغداد بعد حصارها في سنة ٥٥٢ هـ

... بقية ...

قال رحمه الله : قد سبق شرح الحصار . وما قوى الله به أمير المؤمنين المقتدى من الانتصاب والانتصار . وكان من أقوى الأسباب في دفعهم ان الخليفة راسل آتابك شمس الدين ايلدكزان ينهض بمسكروا الى همدان حتي اذا عرف السلطان محمد ان سريره قد فرع . وان سروره قد رفع . ارتحل عن بغداد فصار آتابك ايلدكز بالسلطان ملكشاه بن محمود لي همدان ودخلها واستولى على ذخائر الملك بها ونقلها . واجلس ملكشاه على السرير . وقام بين يديه بالتدبير . فلما عرفت المساكر المنازلة لبغداد ان منازلها بهم همدان نزلت . وان ولايتها في ولاياتها عززت . تشوشت خواطرها . واستوحشت ضمايرها . واتفق عن بغداد انفلاتهم . ونفلاتهم . وقدر انفصاهم وانفصالحهم وعادوا الى همدان ولما احس ملكشاه بقرب اخيه محمد نصرف ونحرف . وقناه آتابك ايلدكز وما توقف . وكان قد استوزر المظفر بن سيدى من زنجان وكان كبير الاصل . كثير الفضل . وله نظم رائق . ونثر فائق . فمن ذلك قوله في شمس الدين ابى النجيب وزير السلطان محمد

أبا النجيب وما في الحق من غضبة أنت مثلي فاين العلم والحسب
وأنت أنت وهذا الوفر منتقل الى سواك وهذا الامر منقلب

وقوله

إني وتيجان أسلافي وتلك لنا ألية بركة لانتمى فيها

أهلها تحت المذاب . وسفكوا دماء العلماء والأئمة في المحراب . وكانوا
يستمصحبون سنجر معهم . وهو لا يقدر ان يردعهم . وربما خشن عليهم في
القول ونهاهم ونهرهم . وسبهم وسبهم . وهم لا يجيئون له اذا نجههم بالمكر وه واسمهم
ولما ليس الباقون من عسكر سنجر من خلاصه . ورأوا مضيقاً عليه
في قنص اقتناصه . فرقوا وتفرقوا . وخفقوا وأخفقوا . فهرب منهم في
آخر عمره ووقع الى ترمذ . وأرهف حد العزم وشجذ . فأصابه سهم الاجل
ونفذ . فاحضر عسكره سليمان شاه ابن أخيه محمد ليتولى مكانه . ويجد سلطانه
فلم يفلح ولم ينجح . ولم يصلح ولم يصلح . فبعد الى الري ومنها الى بغداد . ولم
يجد امره للنفاد الناذ . واجمع العسكر على الاتفاق في تولية محمود خان ابن
اخت سنجر واقام بنيسابور متكئاً . حسناً في هيئته محسناً . وذلك في ايام
السلطان محمد بن محمود بن محمد بن ملكشاه . فكتب له العهد من همدان
وولاه . ثم استولي الامير المؤيد آى به بنيسابور وأخذ محمود خان
واعدمه . وتولى الامور وبقي الغز بمرور وبلغ وسائر البلاد ضالين عن نهج
الرشاد . عابدين للجور جائرين على العباد



القبول في وجوه هؤلاء الوجود . وأبي ان يعاملهم بغير المكره . فتوهلوا
وتوجلوا . وتزلوا واستقتلوا . ولجأوا الى أرض لايسلك اليها الا في واد
لايسع عرضه أكثر من مائة فارس وأعدوا في الطرقات الطوقان . على رسم
قتال التركمان . ونشروا المصاحف يطلبون أمان أهل الايمان . ثم اشندوا
وشدوا . وأعدوا واستمدوا . وجعلوا الخراكهات كالاسوار محدقة . ونيران
النصال من ورائها للحدق محرقة . وصبروا حتى لايسهم المسكر . وفي قلبه
سنجر . وامتأ الوادي بسيل الخيل . واجتأب النهار لباس الليل . وكانت في
المقدمة أمراء خاروا وخاموا . وهموا بما وهموا وهموا . واغتمموا الفضاغهم .
وركبوا اكتافهم . يقتلون ويأسرون . ويصدون ويكسرون . وعز الخالص
من المضيق . وفرشت جثث القتلى على الطريق . وقتلوا الأمير قساجا وولاه
وأثوا على المسكر وأفنوا عدده وعدده . وخلصوا الى السلطان سنجر وهو في
خف من خواصه . وجواده قد بخل بخلاصه . فأحدقوا به احداق
الاهداق بالحدقة . وحصل في وسط تلك الحلقة المحدقة . وبقى كالركز
في الدائرة . ووقع في الايدي الجائرة . ونزل أميرهم وقيل الارض وأمسك
بعناده عنانه . وأطلق بدعائه لسانه . وقال « ان قومك فتحوا بالاذية . ولم
يحسنوا رعاية الرعية . ونحن خولك حواك . نقول بقبولك ونسمع قولك »
وأفردوه عن أصحابه . وعوضوه عن عز جهاحه بذل أصحابه . ومكث معهم
ثلاث سنين كالاسير . وقد ارضوه من طعامه وشرابه باليسير . لكنهم يجلسونه
على السرير . ويقفون مائتين بخدمته سوي قرغود وطوطى بك الاسير
وانتشروا في البلاد انتشار الجراد . ودب دبابهم بالفساد . وأذهبوا الاموال
والنفوس . وأعدوا النعم وأوجدوا البؤس . وخربوا مدينة نيسابور وقتلوا

يرض وضيق عليهم من واسع البسيطة الطول والعرض . واضطربوا الى
مضرته . ودفعهم الى الشر لدفع معرته . فلو حشوه وناوشوه . وهارشوه
وهاوشوه . ولم يتركوا في جلالده جلداً . وقتلوا له في تلك الواقعة ولداً .
فازدادت ضراوته . وثار ثاره . والتهب ناره . وأبرق وأرعد . وأرغى وأزبد
وغض غضبه من حلمه . وسد جهله سبيل علمه . وحضر صاحاء القوم في
اصلاحه . وانتبهوا في البذل الى غاية اقتراحه . وبذلوا له احضار قتلة ولده .
وايقاعهم في يده . فابى الاقتناء وقتالهم . وقامهم واستئصلهم . وماج قجاج
في بحره الزاخر . وصرف الى قصدهم أعنة العساكر . فركبوا اليه
وأكربوه . والتهبوا به وألجبوه . وهزموه وهشموه . فجاء الى سنجر وهو
قلق حقيق . وكأنه بالغليظ مختنق . وقال له « قد اختل الملك . وانحل
السلوك . فان قعدت عنهم أقاموك . وان لم ترمهم ولم ترمهم راموك وراموك .
فانهض اليهم بجنودك . ورد نحوهم بسعودك » فلم ير أحد من أولئك
الامراء أثارة أحد لذلك الامر . وما شاروا بالشر . وقالوا السنجر « ان
هذا قجاج قد شاخ . وباخ . وخشى وخاب . وأخطأ الصواب . فان أنجده
خذلت . وان هويت هواه لذعت وعدلت » فأنف قجاج وشنف وعنف
ولم يزل بسنجر حتى صغى صغوه . ونحنا نحوه . وأمر أمراءه بالتأهب . وأضرى
ضرمه بالتأهب . وسار في جمع كالحضم زاخر . وسواد كليل المحب بلا آخر .
فلما عرف الغز انهم غزوا . والى الشر غزوا . وصلوا وتوصلوا . وقالوا نخدع
السلطان بخمسين ألف رأس . من جمال وأفراس . وبمائتي ألف دينار ركنية .
وبمائتي ألف رأس غنم تركية . ونحضر قتلة ولد قجاج . ونلتزم كل سنة
بخرج وخراج . وخشموا ولانوا . وخضعوا واستكانوا . فأغلق سنجر باب

وفتحت القلعة عنوة . وأضحت لما يرام فتحة من القلاع أسوة . وذلك بعد
 ان قتل عليا وفيها ألوف . وجدعت أنوف . وتصرفت نوب ونابت صروف
 ثم وقع الصاح . واسفر بعد تلك الظلمة الصبح . ورد خوارزم شاه على سنجر
 صناديق جواهره التي أخذها من الخزانة بمر وبختمها . وحقق سلامة نفسه
 بحق سلمها . وركب ووقف بازاء سنجر من شرق جيحون . وقد سير
 في البر والبحر عسكره المجرور وفلكه المشحون . ونزل بحيث يرى وقبيل
 الارض . وتقبل القرض . وعاد سنجر الى خراسان وهو عنه راض
 والقدر بنصره قاض . ولم يزل أمره يمشى . وبرد ملكه بالحسن يتوشى .
 الى أن أراد الله شت السمل . وبت الجبل . فسأب الغز . وسأط
 الغز . وتحملت عقود الدولة . وتغلت حدود العسولة . وانقضى الدهر .
 وقضى الامر

— — — — —

ذكر نوبة الغز وذلك في سنة ٥٤٨ هـ

— — — — —

قال رحمه الله : الغز من التركان طائفة . للضيم عاقبة . وكانت في اهتمام
 الامير قاج . وهي تحمل اليه ما عليها من الخراج . وأميرها قرقود وطوطي
 بك يخدمان الحضرة . ويحضران الخدمة . وما زالت شوافعهم مقبولة .
 وذرائعهم موصولة . حتى تجنى عليهم الامير قاج ذنباً تنصلوا منه فلم يقبل .
 وتحياوا في تحايل عند سخطه فلم يتحمل . وأرضوه بكل طريق وطريق فلم
 (٣٣ - آل ساجوق)

لا يفيقون من سفك الدماء وشن الغارات ثلاث سنين الى ان خرجوا من طريق
 آذربيجان مخربين للبلاد . سافكين دماء البلاد . وتوغلوا منها الى بلاد اللان .
 ومنها الى ارض قفجاق ثم عادوا من تلك الطريق الى بلادهم . والله تعالى يكفي
 المسلمين شر معادهم . ولا يمكن استيفاء شرح معرفتهم . وذكر ما جرى
 على الاسلام من مضرتهم . الا في مجلدات طوال لكننا الممنا بذكرها
 ههنا على اجمال . والحمد لله على كل حال .
 عاد الحديث

— ذكر انتعاش سنجر بعد ان عثر وانتقشه وانجباره —

بعد ان شيك وانكسر

..

قال : وكان عند اتجاه سنجر لجهاد الكافر وقتاله . انتهز خوارزمشاه
 أتمز بن محمد بن نوشتكين فرصة اشتغاله . فر الى مرو ودخلها عنوة وقتل
 وجوه أهلها . وحرق بالجور مجاوري حزنها وسهلها . وجلس على سرير سنجر
 ومد الطغراء ووقع ونهى وأمر ونقل من الحزاة السنجرية صناديق جواهره
 ولما عاد السلطان عن وجهته عرف خوارزمشاه ان القدر غير مظهره فرجع
 الى خوارزم . واستوبل ذاك العزم . ووصل سنجر الى دار مله فاستجد
 الجد وجمع الجنود ونهد الى خوارزم ووصل الى قلعة هزارسف فحصرها .
 ورمى بالحجر حجرها . وكان له خندق عريض عميق فجعله همه . وكان الماء
 قد طام به فطمه . وقسم السور على أمراءه فحسروا لها . وحققوا انشالاه .

وتوات اخته بعده . وتولى تخته وبخته . واستمرت مملكة الخطائية في ما وراء
النهر . الى هذا العصر . والولاة مسلمون . من قبل ولاية الكفر . قال الفتح بن
علي بن محمد البنداري الاصفهاني مختصر الكتاب : وتمادت مدتهم في تلك
البلاد . واستيلاءهم بها على العباد . الى أن قيص الله تعالى استئصالهم على يد
السلطان السعيد علاء الدنيا والدين محمد خوارزمشاه بن السلطان تكش بن
ايل ارسلان بن التمز بن محمد فانه جرد عزيمته لقطع شأفتهم وقلع ارومتهم
واعنتى بشن الغارات عليهم . وتولى الركضات اليهم . حتى اخرجهم من بلاد
ما وراء النهر . وصب عليهم سياط القسر والقهر . ثم توغل ديارهم . وجاس بلادهم
حتى قلعهم اجمعين . ولم يبق من الخطائية نافخ ضربة في الارضين . وذلك بعد
سنة ٦٠٠

ثم اخذ في قهر جنس آخر من كفار اترك وهم التتارية وممالكهم تنتهى
الى آخر بلاد الصين . فلم يزل عليهم ظافر الجند . منصور الجدد . متوغلا مسيرة
خمسة اشهر من خوارزم الى بلادهم . باسطا يد السبي والنهب في ذرايرهم
ونسائهم . وطرافهم وتلادهم . الى ان اجتمعوا واحتشدوا وخرجوا فاحجم عنهم
السلطان فأخذوا بجميع بلاد ما وراء النهر . ثم دخلوا الى بلاد خراسان فخرّبوا
ارباعها . وأخذوا قلاعها وسبوا نساءها . وقتلوا رجالها . وانتهبوا ذخائرها واهلها .
وانحاز السلطان عنهم الى بلاد الجبل فتبعوا اثره الى حدود اصفهان . واخذوا
الرى وقزوين وهمدان . وقتلوا جميع من كان في هذه البلاد . وما تاخها من
الاغوار والانجاد . وكان ابتداء دخولهم الى بلاد خراسان في اوائل سنة ٦١٧ .
وجرى منهم على المسلمين من القتل والاسر والقهر ما لم يمهده . مثله ولم يرد ذكره
ابد الدهر . وطالت مدتهم في بلاد الاسلام واقاموا فيها على وتيرة واحدة

ينفذ الى حدود الصين فلما وصات القرلقية اليهم اقلقتهم . وشوقتهم الى الممالك
 وشوقتهم . وأطمعت الكفر في الايمان . واستصرخت على أهل المدل باهل
 المدوان . وقالوا له « ان الممالك بخراسان وما وراء النهر مشمرة . وان السعادة
 من سلاطينها متنمرة . وان سنجر قد تخالف عسكره . وكسف معروفه منكرد »
 فوسع الخطائي خطي وسعه . ودبت عقارب كتابه للسب الدين ولسمعه .
 وأقبل في سبعمائة الف مقاتل ووصل في قطع من ليل الكفر المعتكر . ووقع
 من سيل البؤس المنحدر . والسلطان سنجر في سبعين الف فارس . لكن التوفيق
 عليه ساخط . والتأييد من حربه ساقط . فشهد المشركون وحملوا بكراديسهم .
 واستشهد المسلمون وحملوا الى فراديسهم . وبقي سنجر في عدد قليل . ومدد
 كليل . فقال له الامير أبو الفضل صاحب سجستان « قد أهدقت بنا العساكر
 ودارت علينا الدوائر . فانج بنفسك لا قف مكانك تحت اجتر » فوقف ووقع
 في الاسر . واسرت خاتون زوجة السلطان وبقيت في الاسار . الى أن فديت
 بمخمسة الف دينار .

واسر الامير قماج وبلى بكل عسف . وافي كل عنف . حتى فدي بمائة
 الف دينار . واما الامير ابو الفضل فانه علم الكافر استيلاء اولاده على بلاده .
 والاحتواء على طرافه وتلاده فحقق اقتراحه . واطلق سراحه . وقال « مثل هذا
 البطل الهمام . والشجاع المقدم . يجب الابقاء عليه . والاحسان اليه » وهذه الواقعة
 كانت في سنة ٥٣٢

قال : واستولى هذا الخطائي على بلاد ما وراء النهر . وحصل المسلمون معه
 تحت القهر . واستشهد على يده الامام حسام الدين بن البرهان بن مازر رضي
 الله عنه ببخارا . واقد كان في علم الشرع لا يبارى ولا يجارى . وهلك اوزخان

التساعد والتعاقد . وكان أكابر الدولة في ذلك العهد سنقر العزيزي ويرنقش هريوه وقزل واضرابههم وأقدم منهم قاج وعلى الجتري وقد اختلفت آراؤهم وآراهم وركب كل منهم ام رأسه . وعض على الاضرار باضراره . فأول خطأ أصاب سنجر كسر الكافر الخطائي له وامسكته . ورد صفوه ملكه الى كدره

ذكر السبب في ذلك وانكسار سنجر في حربه مع الخطائية

قال : كانت خيول قراق في نواحي سمرقند وقد وفرت اموالهم وانتشرت مواشيهم . وانتشئت غواشيهم وحواشيهم . وخيفت مضرتهم . وخشيت معرفتهم . فأشار الامراء على السلطان سنجر بأن يتوجه لدفعهم . ويتنبه لردعهم . والقوم مستمرون على الصلاح لو خلوا . مستقرون . الفلاح على ما اليه دلوا . فضوا اليهم وضايقوهم في مراعيهم . وقايضوهم عن محاسنهم بمساويهم . وأسر فوا في سرقة نسائهم وذرائعهم . فانفذوا الى السلطان سنجر وبذلوا له الخدمة بخمسة آلاف جبل وخمسة آلاف فرس وخمسين ألف رأس غنم . ليمسكوا منه باقوى ذمم . وأوفى عصم . وليأمنوا على أهاليهم ونسائهم وذرائعهم . فلما لم يقبل خدمتهم . ولم تحصل عصمتهم . حملتهم الحمية على الاحتماء بالتحمل . وآل بكبارهم الترحم والحنو على صغارهم الى الترحل . ودخلوا الى بلاد الترك قاصدين حضرة اوزخان صاحب خطأ وختن ونعما . ولم يكن في الكنفار الخطائية أوسع منه . ملكا . وأنظم سلكا . وأوفر عددا . وأكثر عددا . وكان أمره

لا يعرف لها قيمة . وصناديق لآئ كلها يتيمة . فلما نفذته وأبرزته .
 وانفقت كل جنس ونوعته وميزته . جئت وقلت له « اما تبصر مالك . وتشاهد
 حالك . وتشكر الله الذي خصك به وانالك » فقال « يقبح بمثلي ان يقال عنه
 انه مال الى المال . او نظر اليه او اخطره بالبال ففرق ما جعلته لي من الثياب
 الطلس على الامراء . واعرض عليهم ما في الخزانة من تلك الاشياء . وقل
 لهم يقول لكم سنجر قد ادخرت هذا لكم . وجمعه لافرقه في قمع عدوكم
 وجمع شملكم » قال : ففعلت ذلك فقرحوا واشتبشروا . وحمدوا وشكروا .
 وكان سنجر لا يدخل خزائنه ولا يعيرها نظره . ولا يوجد بخاطره . منها خطرة .
 وكان لكرمه يحسن الظن بزمائه . ويسلم حكم القلم الى كتابه . مفضلا على
 اصحابه . ويقول « ان الدنيا فانية فندعهم يرتعون معنا . ويسمعهم من النعم ما
 وسعنا » وكانت جواهره في طبول محتومة بختمه . مخفوظة باسمه . فاذا اراد
 منها شيئا استحضرها . وفرض خواتيم اقتفالحا وأخذ منها . ثم اعادها بختمها الى
 حالكها .

— — — — —

ذكر سبب اختلال ملكه وانحلال سلكه

— — — — —

قال : لما امتدت مدة حياته وأمدت بالطول مادة عمره . تسلط
 الامراء على سلطان أمره . وتسحبوا على قدره . وحقر الصغير حق الكبير .
 وتأخر الكبير لتقديم الصغير . واستخف الوقور ووقر الخفيف . وصرف
 القوى وصرف الضعيف . ووقع التجاسد بينهم والتحاقد . وارتفع وانحل

فقال (لا أتمها الله) فابكى الجماعة بما ذكره . واطفء موقع قوله عند
السلطان وعذره

✽ ذكر علو همة السلطان سنجر وكرمه ✽

✽ واسهام أصحابه وأمرائه من نعمه ✽

قال : كان حليما حيا . مليا . بالعرف وفيا . كبير النفس اريخيا . معسديا
للاوف . مسديا للمعروف . مفرقا بالاقلام ما جمعه بالسيوف . ذكر عنه
انه اصطبغ خمسة أيام متواليات ذهب بها في الجود كل مذهب . وأتى على
معظم ما في الخزائن من عرض وذهب . فبلغ ما أعطاه من العين سبعمائة الف
تقدديار أحر . وجاء ما وهبه من الخيل والخلع أكثر . وعوتب على اسرافه
فقال « اما رأيتوني افتتح أقلما يشتمل على اضعاف ما وهبته من المال . واهبه
بكلمة واحدة لمن أراه قبل السؤال . فهذا بالاضافة الى ذلك الكثير قليل .
وما للامام الى في نهج هذه السيل سبيل . »

ذكر عن ظهير الدين عبد العزيز صاحب خزانته انه قال أحببت ان
يشاهد السلطان سنجر ما شتمت عليه خزانته . انظر كفاية متوليها وأمانته .
فقلت له أخدمك بالف ثوب أطلس حتى تبصره . وتستعرض صامته وناطقه
فسكت وظننت انه رضى بما ذكرته . فجئت الى الخزانة وأبرزت ما فيها واطهرته .
وكان فيها ما لم يجتمع قط في خزانة سلطان قبله من طرائف يزد وجودها .
وجواهر تجل عمودها . وصرر اكياس قد ملأت الفضاء نقودها . واعلاق

قال : ومنهم قائماز كج كلاه قاتل وزيره . وقد آل تعظيمه الى تصغيره .
ومن جملة من حباه بحبه . واختصه بقربه . الامير المقرب الاجل اختيار الدين
جوهر التاجي وكان مملوك أمه . ومن خواص خدمها وكانت توفيت أم سنجر
في شوال سنة ٥١٧ فانتقل هذا الخادم الى خدمة سريره . ثم غلب حبه على
خدميره . فغلب بذلك على تديره . ورفقه الى ذروة لم يتسمنها أحد قبله .
وأسماء الى رتبة لم تر فيها عين مثله . وبلغ عسكره ثلاثين الفا ثم مل السلطان
طول مدته . ودبر في أخلاق جدته . وضاق مجال احتياله . ففسد الباطنية
لاغتياله . ونفى الى جوهر تعرض جوهره لان يصير عرضاً . وعلم ان غرض
السلطان ان يصير لسهم الختف عرضاً . فاخفى التي علمها . وأسرها في نفسه
وكتبها . فقال السلطان له يوما (يا جوهر اني أخشى عليك هؤلاء الملاءين
فتمحز منهم وتحفظ . وتحزم لامرك وتيقظ) فقال له (لو أمنتني من
نفسك ما خفت أحداً . وما أردت في دفع غائلة القوم مدداً) فاحتمل
السلطان قتاله . ورأى احتماله . وركب جوهر ضحوة من داره . وخرج
خروج القمر من سراره . وفي ركابه الف سيف مسلول . فلما نزل في
دهليز دار السلطان وكلمته حوالية . وحمانه من ورثه وبين يديه . قفز
اليه نفر من الباطنية . وضربوه بالسكاكين وأزاروه قادم المنية . ولما
ارتفع الصباح قال سنجر وهو في دار حره (هذا جوهر قد قتل) فعلم ان
ذلك باذنه عمل

قال : وكان عاقلا متأبياً . أريباً متهدياً . ومن نكته المستحسنة ان السلطان
كان أمر ببناء قبة عالية في مرو ليكون فيها ضريحه . وينضد عليها صفيحه .
فوصل الى مرو وآما غير مفروغ منها فقال (يا جوهر متى تتم هذه القبة)

يشون في ركابه . ويمشون الى جنبه . وتحمل اقطاع من رأيت حل اقطاعه
 وتقدمه عليه . وتأخذ بلد من شئت وتفوضه اليه . وتجمل له خزانه كخزاتي
 بالمال مملوءة . وباجناس الصياغات الذهبية والفضية مجلوة . وتجمل له ديوانا
 مجلا بامثال الكتاب . وافاضل النواب . بحيث يكون بعد اسبوعين
 صاحب عشرة آلاف فارس . قال فاستمهلته ثلاثة أشهر فما أمهل . وأمر
 بترك الريث واستمجل . فما زلت به حتى فسح لي في ميلة شهر ونصف
 وشرعت في الامر وأنفقت على ما قدره في عشرين يوما سبعمائة الف دينار
 ركنية . وذلك سوى ما نقلته اليه من الخزانه من الآلات الخسروية . والسياب
 المعدنية . وذلك سوى الاقطاعات . والولايات . والتقاريرات . ثم أخبرته ولم
 يمض الشهر بانه قد استمر الامر فركب السلطان سنجر فرأى العساكر صفوفا .
 والحيل صفونا . حول بهرادق سنقر الخاص فرأى رواء ظاهرا . وبهاء باهرا .
 قال : فعاتقني وشكرني . ونوه بي وذكرني . وفوض الي امر خزانته .
 وأمرني بتحصيل مطالبه . ووصى كلا منا بصاحبه . قال : فلم يمض سنتان حتى
 اشتعلت نار خده في الدخان فشنف . وأنف . وعاف وعزف . وسنقر يزيد
 في التسحب عليه والتبسط . ويستديم مع عادة التسلي عنه عادية التسلط .
 وزاد في غيظ الامراء . واستحقار العظماء . واستصغار الكبراء . وهو
 لا يبالي بسنجر اذا توعدده . ولا يلتفت اليه اذا تهدده . فاستدعى السلطان
 يوما جميع أمراءه الي حجرة مفردة مفردين . ومن جميع أصحابهم سوى
 سلاحى واحد مجردين . وقال لهم واذا دخل سنقر الخاص اليكم ضعوا فيه
 بأجلكم السكاكين فبادروا الي ماأمروا به وامثلوا . ووثبوا اليه ومثلوا . وعاد
 ذاك الضياء ديجورا . وذلك البهاء هباء منثورا

ذكر جماعة من خواص سنجر ومالكة احبهم ثم سلام

ووضعهم بعد ان اعلام

.....

قال رحمه الله : كان من عادة سنجر ان يشتري غلاما اختاره ثم يتعشقه ويشهر بحبه . ويستتر بقربه . ويبذل له ماله وروحه . ويجعل معه غبوة وصبوحه . ويملكه حكمه . ويوايه سلطانه . فاذا نسخ الليل نهاره . وسيج البنفسج جلناره . سلاه وقلاه . وتخلي عنه وخلاه . وانتهى في مقتله الى ان لا يرضى بهجره بعد وصله . ورأى الراحة منه في قتله . ومن جملة أولئك مملوك كان اصير في اسمه سنقر . فمشقه سنجر قبل رؤيته فاشتراه بالف ومائتي دينار ركنية . بعد تشريف لملكه وعطية سنية . وحكي عن ظاير الدين عبد العزيز خازنه انه قال استدعاني سنجر يوما وقال اني امرك بما هو اوفق خدمتك . واوثق لحرمانك . فانرض فيه بثباتك . وأت فيه الممكن يوثاك . فاجبته بالسمع والطاعة . وبذل الوسع والاستطاعة . فقال « هذا مملوكي سنقر الخاص قرة عيني وثمره فؤادي . وريحانة روحي ونتيجة مرادي . وهذه خزائتي تحت ختمك . ومالي بحكمك . وحول غزنة وخوارزم قد وصات فاقبضها . وبذل الممالك قد عرضت فاستعرضها . وهذه خدمتي التي امرك بها في حقه لا ترفضها وافترضها . ولا تستأذني في شيء ولا تستأمر . وقدم هذا المهم واستخر الله فيه ولا تستأخر . اريد ان تضرب له سراق كسرا دقي . وتجري له سوابق كسوابقي . وتشتري له ألف مملوك

السلطان سنجر أن تكون وزارته باسمه . وتجري رسومها برسمه . ويكون هو بالمرأق لشغل طغرل مدبراً . وعلى توفر ماله وجاهه . متوفراً . ويستنيب في الحضرة السنجرية من يكفل بأمورها ويكفي . ويكلف بمصالحها ويشفي . فاجيب سؤله وأصيب سؤله . وعزل العالم وولي جهوله . وصرف ذلك الفاضل بهذا الناقص . وراج المغشوش بكساد الخالص . وتقلد نيابة الوزارة عن الدرگزني ظهير الدين عبد العزيز الحامدي . وكان عبد العزيز هذا يسكن اليه سنجر لاماته وديانته . وهو الممول عليه في خزانته . وهو يناظر الوزراء في قرب مكانه ومكانته . وإنما فوض اليه الدرگزني نيابته لانه علم ان الامر بغيره لا يتمشى . وان ثوب الملك بدون طرازه لا يتوشى . ولما صلب الدرگزني وضربت رقبتة بالعراق . تقلد الوزارة السنجرية ناصر الدين طاهر بن نخر الملك بن نظام الملك في جمادى الاولى سنة ٥٢٨ . واستمرت وزارته الى آخر العهد . وكان في تقويم مأتاود واصلاح ما فسد باذلا للجهد . وتوفي بعهد مجيء الغز في ذي الحجة سنة ٥٤٨



ليلة عيد الفطر سنة ٥٢٥

خَلَّ الظُّلَامَ لَا يَدِي الضُّمَرِ الْقَوْدِ
الْأَيْلُ وَالنَّاجِيَاتِ الضُّمَرُ أَخْلَقَ بِي
وَمِنْهَا

وَلَقَوَاضٍ مَنِّي هَبَّةٌ وَسَمَتْ
قَرَعُ الظُّبَى بِالظُّبَى أَشْهَى لِسَامَعَتِي
وَالْأَعْجَبَانِ وَأَحْوَالُ الْوَرَى عَجَبٌ
وَمُنْتَشِينَ عَلَى الْأَكْوَارِ رَمَحْنَهُمْ
إِذَا اطْمَأَنَّتْ بِهِمْ أَرْضٌ تَبَّتْ بِهِمْ
شَاوُوا بِرُوقِ الْغَنَى وَأَشْتَفَ أَنْسَهُمْ
حَتَّى أَطْبَأَهُمْ وَقَدْ كَلَّتْ عَزَائِهِمْ

لَيْنَ السَّجَايَا وَفِي أَثْنَاءِ شَرَسِ
وَالْمَرْءِ وَالسَّيْفِ مَا لَمْ يَبْدِأْ أَثَرًا
فَذَاكَ وَالْأَفْقُ مَغْبَرٌ هَيَادُ بِهِ
كَمَا يَرَاكَ وَالْمُهَيَّجَاءُ كَالْحَاةِ
إِذَا عَنَى صَهْوَةُ الْقِرطَاسِ ضَاكِمَةٌ
فَدُمُ بِمَا يَكْمُدُ الْأَعْدَاءُ مَغْتَبَطًا
يَفْضِي بِكَ السَّعْدُ مِنْ عِيدٍ إِلَى عِيدٍ

قال: وصرف عن الوزارة في سنة ٥٢٦ عند وصول سنجر إلى العراق
بعد وفاة ابن أخيه السلطان محمود بن محمد وترتيب السلطنة لأخيه طغرل بن
محمد مكانه. وكان القوام أبو القاسم الدرگزني مستوليًا على الدولة وسأل

للفقهاء في زمانه سوق . وظهرت بهم حقائق وحقوق . ولم يزل مقصدا
للفضلاء ومفضلا على التصاد . سديد الامر آمرا بالسداد . وتحلى الملك
بجلاه . وتحلى بسنائه . الى ان توفي بسرّ خمس يوم الخميس السابع عشر من
المحرم سنة ٥١٥

وتولى الوزارة بعده أبو طاهر سعد بن علي ابن عيسى القمي وكان
وجيه القدر . نبيه الذكر . وكانت وفاته يوم الاربعاء الخامس والعشرين من
المحرم سنة ٥١٦

وتقلد الوزارة بعده الكاشغري وصرف عنها في صفر سنة ٥١٨ وتقلد
الوزارة بعده معين الدين مختص الملك أبو نصر أحمد بن الفضل بن محمود
وقد تقدم ذكر فضله . وشكر نبه . ولقد كان أعجب الاجواد . وأجود
الاجاد . وهو الذي حسب أيام عمره . ورد كل مظلمة جرت علي ذكره .
واستدعاه السلطان سنجر لافتقار ملكه اليه وعول في وزارته عليه . وفكت
به الباطنية يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من صفر سنة ٥٢١

وقلّد الوزارة بعده نصير الدين أبو القاسم محمود بن أبي توبة المروزي
وكان أوزر الفضلاء . وأفضل الوزراء . ولم يزل للافاضل جامعا . وللاراذل
قاهما . وقصده أهل الفضل . وآواهم بالاحسان الوافر الى وارث الظل .
وخدمه العلماء بمصنفاتهم . وخصوه بمضافاتهم . وصنف له عمر بن سهلان
كتاب البصائر النصرية . وهو الكتاب الذي لم يصنف مثله في فنه . ولم
يسبق الى احسانه فيه وحسنه . قال : وأنشدني باصفهان شيخنا جمال الدين
عبد الرحيم بن الاخوة الشيباني البغدادي من مدائحه فيه عند سفره الى
خراسان . واجتدائه منه الاحسان . قوله من قصيدة مدحه بها بنيسابور

بتهديد «اما ان تسوى قلنسوتي وإما ان أسوى عمامتك» فاتفق ان السلطان كان في ضيافة الوزير واصطبح واغتبق عنده ثلاث ليال . فلما كان في اليوم الثالث والسلطان في سورة راحه . وسكر اصطباحه . وقد ذهب ذهنه . وضعفت قوة تمييزه . وعينه في عين المملوك ويده في يده وقد ملكه بغزته وتغميزه . فغافله ونزع خاتمه . وسأتره امره وكاتمته . وقام ومضى وهو حاقد والوزير في حجرته راقد . وقال « استأذنوا لي عليه فقد جئت من عند السلطان بهم اليه » ولجّ حتى ولجّ . وكل من كان حاضرا بدخوله خرج . فلما استخلى المجلس . واصنى الوزير له واستأنس . حز رأسه وعاتقه من يده ودخل على السلطان ووضع بين يديه فصحا سنجر وها له ماجرى من اجترائه واجتراحه . وأخافه . أتم من اقتحامه واتقاه . واستدعى الامير قاجا . وهو أوضح اصحابه في الرأس منهاجا . وقال له سرا « انظر الي ما صنعه هذا المؤاجر بوزيري . وقد نغص على سروري وسريري . فاخرجه من عندي على وجهه سحبا . وقطعه اربا اربا » فقال له « هذا امر فظيع . وصنع شنيع . وحفظ الناموس يوجب ان لا يعرف احد من رعية بلدانك . ان مثل هذا الامر يتم في سلطانك . بغير استئذنانك . فاظهر انه جرى باذنك . وصن جاهك واحذر من وهنك . واركب الآن الي دارك . وارجع الي قرارك » فقبل النصيحة وكنم الفضيحة . ثم أمر بعد مدة بقتل ذلك المملوك اسوأ قتلة . ومثل به أقبح مثله

واستوزر بعده ابن أخي نظام الملك وهو شهاب الاسلام . عبد الدوام . ابن الفقيه عبدالله بن علي بن اسحاق وكان ذا فضل وافضال . وقبول واقبال . وبأس ونوال . متبحرا في علم الشرع . متكلما في الاصل والفرع . وصارت

❦ ذكر وزراء السلطان سنجر بخراسان ❦

قال رحمه الله : كان من كتابه المخصوصين به في صغره العميد أبو الفتح ابن أبي الليث وصل معه الى بغداد في ثامن شوال سنة ٤٨٩ ومع سنجر آتاكه كج كلامه وذلك في عهد أخيه بركيارق وابتداء خلافة الامام المستظهر واستوزر عند مضيئه الى خراسان نخر الملك المظفر بن نظام الملك وكان مهرب المبرة . سري الاسرة . منصور الصحبة . مصحوب النصره . ورزق التأييد والتمكين . ومشى الامور عشر سنين . وقتل يوم عاشوراء من سنة ٥٠٠ واستوزر بعده ولده صدر الدين محمد بن نخر الملك فكنى المهيم . وشفى الملم . ونظم المنشور . وضم المنشور . وقتل ببلخ غداة الاربعاء لسبع بقين من ذي الحجة سنة ٥١١

❦ ذكر السبب في ذلك ❦

قال : كان لسلطان سنجر مملوك يقال له قايماز قد استحسنه واستخضه واشتهر بحبه واستخاضه . وقد أصبح به صبياً . وشغفه حباً . وتسحب على السلطان بدلاله وادلاله . وما صار يبالي بعمله باشتغال باله به بشغل باله . وكان هذا المملوك يعرف بكج كلامه . اى مائل القلنسوة . وكان الوزير ابداً ينهاه . ويرده الى نهاه . وقال له يوماً « ان عقلت والا دبرت في تسويتك وقومت ميل قلنسياتك » فقال له غير . كثرث بوعيده . وقابل تهديده

مماوك تركي وكان لا يترك غزواته ترك يتوغل في بلادهم . مسيرة شهرين . وينتهي
 ظافر اليد قرير العين . ثم أصابته علة الفالج . وأعي طبه على المعالج . وبقي
 سنجر ستة اشهر يحاصره . ويضايقه ويصايره . الى ان اخرج اليه احمد خان .
 في محفة يحماها الغلمان . فاجلس بين يديه ساعة . وهو لا يجد للكلام استطاعة .
 ولما به سائل . وشدقه مائل . ثم حمل الى دار الحرم للقراية التي بينه وبين
 ترکان خاتون زوجة سنجر . وولى نصر خان مكانه . وأحيى به سلطانه
 ثم غدر صاحب غزنة الملك بهرامشاه بعهد سنجر ونكل عن ضمانه .
 فعزم على التوجه الى غزنة ثانيا . ولاعنة جيوشه وجنوده اليها ثانيا . ونهض
 اليها ولما بلغ الى بستان عمر عليه الوصول . وحالت الحول . وتعمدت
 العوافات . وكان التبن اعز من التبر . والشدة جاوزت حد الصبر . فما اكثرت
 بذلك وتهور وأقدم فبهربهرامشاه رعية . وابعده الى لهاوور قربة . ووصل
 سنجر الى غزنة مغيراً . ولكأس الدوائر عليها مديراً . وسلبت أموال وأوراق
 ونهبت محال واسواق . ولما انحسر الشتاء ورتب امور غزنة عاد الى خراسان ولما توفي
 اخوه السلطان محمد بالعراق في سنة ٥١١ هـ وتولى ابنه محمود السلطنة وحدثت تلك
 الحوادث احتاج سنجر الى الامام بالعراق فجرت الواقعة التي قدمنا ذكرها .
 ووضحنا عرفها ونكرها . وما عاد سنجر الا وقد خطب له بالعراقيين وبالشام
 والموصل وديار بكر وديار ربيعة والحرمين . وضربت الدنانير باسمه في
 الخافقين . ويلقب بالسلطان الاعظم معز الدنيا والدين . وولى ابن اخيه محمود بن
 محمد عهده بالعراق ونعمته بمغيث الدنيا والدين . وقد ذكر وصول سنجر الى
 العراق في أيام محمود نوبتين . وفي عهد طغرل وفي عهد مسعود دفعيتين .
 لكنه في زمان مسعود لم يتجاوز الري

في اغاثته واعاثة . فجعل غزنة مغزاه وبلغ الخبر الي السلطان محمد فلم يحمله
وكتب اليه ان « هذا بيت كبير فلا تقصده » فرد نصح الاخ . واستعد
لاصراخ المستصرخ . وذلك في سنة ٥١٠ هـ وخرج صاحب غزنة وجر ذيو له .
وأجري سيوله . وصف خيوله . وزف فيوله . وجاء سنجر والجر على
رأسه خافق . والنصر ليمينه مصافق . وكان لصاحب غزنة خمسون فيلا قد
صفها بين يدي صفوفه . وألفها قدام لوفه . وعليها الكمامة الحماة . وذووالحمية
الرماة . وكادت تصح على سنجر الكسرة فان الخيول نفرت من الفيول .
حين أقبلت كالسيول . فترجل الامير أبو الفضل صاحب سجستان . وهورفي
الاقدام . ودخل بين قوائم الفيل الاعظم فشق بخنجره بطنه فصاح الفيل
وولى ظهره . واتبعت الفيلة اثره . فانهزم المسكر الغزنوي . وانتصر الحرب
السنجري . واحتوي على أموال غزنة وخزائنها . وحصل على ظواهرها
وبواطنها . وكان ملك آل محمود من اول عهده بكر الميفتض . وخطا لم يفتض
حتى اتى سنجر وكسر سكره . وهتك ستره

فلما استصفى أموال غزنة وفرغ خزائنها المملوءة . ونقض كنوزها
المحشوة . نصب بهرام شاه على سريرها وأمره . وقد خربها بتعميرها وشغل
ذمته بما يؤديه اليه كل سنة من قرار . وهو مائتان وخمسون الف دينار .
وكتب الي اخيه السلطان محمد ببشرى الفتح . ويسرى النجح . فوجه لذلك
وكان في مرضه الذي شغله . وسقمه الذي نهكه وانحله . وتوفى بعد ذلك
بسنة وقوى سنجر . واجتمع عليه المسكر . وقصد بعد ذلك بسنتين سمرقند .
واجنى جناها الجند . وذلك بعد تطويل حصر . وتضييق عصر . وكان صاحبها
احمد خان . الكبير الشأن . الاثير السلطان . وهو الذي كان له اثني عشر الف

✽ عود الى حديث سنجر ✽

قال واستمر أمره بخراسان وقويت سلطنته . وتسلطت قوته . فقدر
 قدر خان صاحب ماوراء النهر . انه ان عبر الى بلاد خراسان لمكها بيد
 القهر . وطمع في سنجر اصغر سنه . ودار تسويل هذا السؤال في ظنه .
 وكان الامير كندكز يكتبه . وعلى التأخر يعاتبه . فعبر النهر في مائة الف
 يضيئون الفضاء الواسع . ويحققون القضاء الواقع . وهو لقصد سنجر مصمم
 وللقائه مقدر . فانفق ان قدر خان خرج عن عسكره متجرداً . وبخواصه
 متفرداً . وبعد عن مخيمه في ثلثمائة فارس متصيدين . فعرف سنجر الفرصة فيه
 فأدركها وانتهزها . واعتد انفراده غنيمه فملكها واحرزها . وأنهض اليه
 يرغش اسفيسلار عسكره في عدة منخبة فتصيده من منصيده . ووقع
 في يده وقد سقط في يده . وسهل على سنجر من أمره ما عده عسيراً .
 وحمل قدر خان وأحضر بين يديه أسيراً . ثم أمر به فضرب عنقه وتفرق
 جمعه . وانطفأ شعله . وعاد الساطان سنجر الى مقره . وطلع فيلقه
 بفاقه . وذلك في حياة أخيه بركيارق قبيل أيام وفاته . وساعده السعد
 من جميع جهاته

ثم استمرت سعادته وسعدت أموره . وأثارت مطالعه وطلع نوره .
 وقصده بهرام شاه من أولاد الساطان محمود بن سبكتكين اليه لاجياً .
 ولانجاده راجياً . ولشقيقه المستقر على سرير ملك غزنة مشاققا مداجياً .
 فرعى وفادته . ورأى اغادته . وآثر ايثاره في اجارته واجابته . واختار اختياده

وجعلنا دار الخلافة المعاد والمعاد . وجلس الامام المستظهر لهما . وأفيضت الخلع عليهما . وعقد الخليفة لهما اللواء بيده . واستقام كلاهما من الملك على جده . ورحل سنجر على سمت خراسان عائداً . وتأهب محمد لقتال بركيارق عامداً . وتصافا بقرب رود راور ثم افترقا من غير قتال . واتفقا بعد ذلك على صالح وإصلاح حال . ثم انفسخ بينهما عقد السلم . وجرى كلاهما من قصد أخيه على الرسم . ووقعت بينهما بالرى وقعة أخرى . واتصلت بين العسكريين رسل المنايا تترى . وحوصر السلطان محمد باصفهان فراسله الملك مودود بن اسمعيل ابن ياقوتى بن ميكائيل يعمد بالاتصال به . واسأفه في تصرفه بمطالبه . فخرج السلطان محمد من الحصار ومضى صوب أرائية واخترم مودود قبل اجتماعه به . وقوى محمد بعسكره . فسار بركيارق لحربه والتقى على باب خوئى فى جمادى الآخرة سنة ٤٩٦ . وانهمزم محمد الى بلد آنى . ثم توسط بين الاخوين الاقاصى والاداني . وقسم الملك بينهما قسمين واستقر ان يكون للسلطان محمد ماوراء النهر الابيض المعروف باسفندروذ مع الموصل والشام . وعاد الملك بهذه القسمة الى النظام . وخطب ابركيارق ببغداد واصفهان وجميع العراق . وسائر الاقطار والآفاق . فلما سكن الى قدرته حركة القدر . ودنا من ورد عمره الصدر . وتوفى ببروجرد فى شهر ربيع الآخر سنة ٤٩٨ .



وأفاضله . ومات نخر الاسلام أبو القاسم بن الامام أبي المعالي الجويني في اعتقاله .
 وكان السلطان سنجر حينئذ بباغ مع رجاله . ومعه الامير كندكز وأرغش
 وكان قد استولى على معظم بلاد خراسان رجل يقل له حبشي بن التوتاق .
 وقد شن المعصاة بالعصيان والشقاق . وهو مقيم بالدمغان . وتحت استيلائه
 أكثر بلاد خراسان وطبرستان . وجرجان . ومعه قلعة كردكوه . وقد تطرق
 منه المكرهه . فنهض سنجر في أرغش وكندكز الى قتاله . وهو في عشرين
 ألفاً من رجاله . ومعه خمسة آلاف فارس من الباطنية أصحاب اسمعيل الكلاكي
 صاحب طبرستان . وقويت قلوب السنجرية بوصول السلطان بركيارق فاقدموا
 اقدام الايوث . واستهلوا استهلال النيوث . وصدموه الاطواد بالاطواد .
 وأنكحوا الهام بنات الاغناد . وكانت الكرة عليهم ثم صارت لهم . واستحلوا
 قتالهم وقتلهم . ووقع حبشي في الهزيمة الى بعض القرى فاخذوا ثخن .
 وحمل الى الاميرين أرغش وكندكز فاعتقلاه . وبذل عن نفسه مائة ألف دينار
 فلم يقبلاه وقتلاه .

وعاد السلطان بركيارق الى العراق واتصل به جاولي سقاوو وايتكين
 النظامي واصبهيد صباهو ثم جاء الامير اياز في خمسة آلاف فارس مدرع
 مقنع . وقصد همدان وهو في خمسة عشر ألفاً وأخوه السلطان محمد بهافي
 سبعة آلاف فاصطدما والتقيا . واحتدما واصطليا . وتجت الوقعة عن هزيمة
 السلطان محمد . وأفلت منها بجمع مشرد . وأسر مؤيد الملك وقتله بركيارق
 بيده تشفيا منه بقتله . لما سبق اليه من سيئات فعله . وانتزع السلطان محمد
 الى جرجان واتصل الخبر باخيه سنجر فانتم له واهتم . وساء ماتم . وأنفذ اليه
 مالا كثيراً من نيسابور . ثم سار لالقياه ولقيه بجرجان وصحبه الى بغداد .

وصله الخبر ان اصحاب عمه قد اجلسوا مكانه ولدا صغيرا له . فلما علموا بتقدم
سنجر نهضوا بالصبي وهو ابن سبع سنين وطلبوا من السلطان بركيارق لما
عرفوا قربهم منهم له الامان . وظهروا له الاذعان . واحضروه عنده فآكروهم .
واحترمه وقدمه . وكان وصول الصبي في خمسة عشر الف فارس وقد
استصغروه . ونهبوا خزائنه وافقروه . واقطعه السلطان بركيارق في نواحي
الري وهمذان . ودخل بركيارق الى خراسان . وبلغ الى ترمذ واستولى على
جميع بلاد خراسان ونفذ في سمرقند امره . وولاهما اخان سليمان تكين ثم لمحود
تكين بعده . ثم اقرها على هارون تكين وحده . وأطاعه ابراهيم صاحب
غزنة . وأعطاه الله في البسيطة المكنة . وبقي سنجر معه لا متوليا متخليا .
ولا موليا متخليا . بل عليه اسم الولاية . وعقد الراي والراية . حتى سمع
السلطان بركيارق عن العراق بما تم من التتوق . وما وهى به من
عقد الوثوق .

ومضى مؤيد الملك بن نظام الملك الى جنزة . لبعث السلطان محمد بن ملكشاه
على طاب المملكة . وحثه على الحركة . فصار محمد الى الري وبركيارق بها . فلما
وصل محمد اليها فارقها . وأخذت امه زبيدة خاتون خبسها السلطان محمد وخنقها .
ومضى بركيارق الى بغداد على طريق خوزستان وواسط واتصل به سيف
الدولة صدقة بن منصور . وعاد الى بلده بوفر ووفور . وجباء وجبور . وعاد
اليه كوهرايين وكر بوقا نخرج على طريق شهر زور واجتمع عليه من التركمان
خلق كثير وحارب أخاه محمداً بموضع يقال له كور شنبه فانهزم . وانفل حده
وانثلم . وسار في خمسين فارسا الى أسفرائين ثم تم الى نيسابور . واستعجد
الامراء واستعجد الامور . وقبض على وجوه البلد وأمثاله . وأخنى على أعيانه

أرسل ارغون إلى الأطراف والأوساط وحشد وحشر ونهض إلى
 مرو وفرض مروتها . وحط ذروتها . وفتحها عنوة وهدم سورها . وقتل
 جمهورها . وبرز بوري برس من هرة القصد لقائه . وحفظ البلاد من
 بلائه . فزحف العسكر إلى العسكر . وطن لذباب في المغفر . وضبح الثعالب
 في لبة الغضنفر . وجنى ثمر النصر من ورق الحديد الأخضر . وطارت فراخ
 الجعاب إلى أوكار المقل . وأدمت لوحظ السهام من الحدود . ووضع القبل
 وبرز البوار لبوري برس وكسر . وأدرك وأسر . وحمل إلى أخيه ارسلان
 ارغون فمارق له ولا رفق . فاعتقله في ترمذ ثم خنقه . وأخذ وزيره عماد الملك
 ابن نظام الملك وصادره على ثلثمائة ألف دينار ثم قتله . ولم يترك سوءاً لأعماله
 لا جرم أخذه الله وأقدر عليه قدره . وساط على صفوه كدره . فانه عاد إلى
 مرو ووطن انه ملك . وان خصمه هلك . فقال له منجبه « أرى عليك قطعاً .
 وأنت لا تملك لما قدر دفماً . والحزم تحركك وتحركك إلى أن تؤمن المخافة .
 ولا تخشى الآفة » فاحتجب عن أصحابه . واغلق رتاج أبوابه . ولم يدع إلا
 مملوكاً صغيراً كان به يأنس فانتظره . وانكر تأخره . فلما حضر عاتبه كيف
 ابطأ . وعاقبه حيث اخطأ . فضربه الغلام بسكين معه وصرعه . فقتل
 موضعه . فلما قيل للمملوك لم فعلت ما فعلته . وعلام قتله . قال « أردت أن
 أريح الخلق من ظلمه . وكان هذا بقضاء الله وسابقاً في علمه » وقتل ارسلان
 ارغون في سنة ٤٩٠ وسنة ٢٦ سنة

وكان السلطان بركيارق لما عرف استيلاء عمه على خراسان قلدها أخاه
 أبا الحارث سنجر . ورتب معه العسكر . فوصل الخبر بمقتل عمه فكفى قتاله .
 واستصوب انفاذ أخيه وأرساله . وسار ومعه سنجر فلما وصل إلى دامغان

للسلطان ملكشاه أخ يقال له ارسلان ارغون وكان مقطعا بمبلغ سبعة آلاف
 دينار في نواحي همدان وسواه فقييل له الى كم تلزم مرارة العظلة والقناعة .
 وتهجر حلية الملك والحلاوة . وحرکوا ساكنه . وبعثوه على شغل أخلى عنه
 مساكنه . فنزل عن قراء القرار . وركب مطا المطار . واشتد بطل الطالب .
 وشدا لب الخبب . وجاء الى نيسابور فما تمكن منها . ودفعه أهلها عنها .
 فصعد مرو مرو . وقال أمليکها ولا غرو . فانقاد لامره الامير قودن
 شحنتها . وجعلت تحت مكنته أمكنتها فقوى ارسلان ارغون بقودن . فانه
 وجد الجواد وعدم الكودن . واستولي على بلخ وترمد وصفت له خراسان .
 وحيزت بلدانه البلدان . وكتب الى ابن أخيه السلطان برکیارق « انى قدمليکت
 موضع جفري بك داود جتى . بجدى وجدى . وقد رضيت به رضا
 قانع . وأنا فيما سواه غير طامع ولا منازع . وأنا باذل لما تطلبون . وحامل
 لما فيه ترغبون » فرأى برکیارق انه بالعراق فى شغل شاغل . وهم زائد غير
 زائل . فأمسك عنه . وأظهر انه قبل منه . ثم بداله وآثر قتاله وكان عنده
 عمه الآخر بورى برس بن الب ارسلان فأنهضه لقتال أخيه وضم اليه مسعود
 ابن ماجر وأمير آخر التونشاش . واجتمعت عليه عساكر خراسان فطار من
 النشاط وطاش . وحث العزم البطاش . فأما مسعود فان التونشاش توهم منه
 بما قيل له . ففكك به وبولده . وصار الامر كله فى يده . ووزر للملك بورى
 برس عماد الملك أبو القاسم بن نظام الملك فوضع ورفع . وفرق وجمع .
 وخرق ورقع . وضيق وأوسع . وصاف بورى برس أخاه ارسلان ارغون
 وصدمه . وحط عليه وحطمه . وهز طوده وهزمه . فعاد ارسلان ارغون
 الى بلخ مكسورا نخسورا . وأقام بورى برس بمكانه منصورا مسرورا . ثم

﴿ ذكر وفاة السلطان سنجر بن ملكشاه بن ألب ارسلان بن ﴾

﴿ داود بن ميكائيل بن سلجق وشرح نبذ من ﴾

(أحواله من ابتداء عمره الى خاتمة أمره)

—•••••—

قال رحمه الله : توفي سنجر يوم الاثنين رابع عشر شهر ربيع الاول سنة ٥٥٢ بعد خلاصه من أيدي الغز وكان مولده بظاهر سنجار يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة ٤٧١ وولاه أخوه بركيارق بلاد خراسان سنة ٤٩٠

—•••••—

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

—•••••—

قال : كانت بلاد خراسان في أيام ملكشاه ساكنة الممالك . آمنة المسالك . مشحونة الاطراف بالشحن . مسكونة الاكناف بالسكن . ووطنه الديار بالابرار . داره المواطن بالمبار ونظام الملك بنظام الملك مستتب . مستدف . ونائله لذوى الفضل . مستكف . ولذوى الجهل مستكف . وما بخراسان رأسان . وما تسلط بها سلطانان . فلما استشهد النظام . وأباح حي ملك . ملكشاه الحمام . انفسخت تلك العقود . وانتسخت تلك العهود . واستشرى الشر . واستضرى الضر . واستولى كل صغير على كبير . وكل مأور على أمير . وكان

الساطانية وأجلوهم عنها . وأبعدوهم عنها . ودخلوها ونهبوا ما فيها من الاموال المودعة . والاثقال المجمعة . وعاثوا في بضائع التجار وودائع السفار . ولما لم يبق في الدار شيء قلعت أبوابها . وقطعت اسبابها . وانصرف القوم هائمين . خائسين سادمين . نادمين . وشملوا عن أثقالهم . وثقلوا بأثقالهم . ووقفوا على صهوات الخيل . الى دخول الليل . ثم سروا وأدجلوا . وعرجوا الى تلك المسالك ولم يعمّر جوا . وسار من بالجانب الغربي من عساكر همدان وأذربيجان مع عسكر الموصل للضرورة . ودفعوا الى ما لم يقدر ودولم يخطر لهم من الاخطار المقدورة . وأصبحت بغداد وقد أتاها الله بالفرج . وقرن بهاءه بالبهج . وأحكم حكم نصرها من الطافه بالحجج . وأنجى أهلها في سفينة السكينة من طوفان الفتن المتلاطمة الحجج . وغيض الماء وقضى الامر . ونصر الحق وحق النصر . وكف المقتفي عن اقتفاء المنكفيين . وستر على المستترين منهم في المحال والمخفيين . وانتشرت عساكر أمير المؤمنين في البلاد . واستبشرت بالنصر المعتاد . وعرفت الاعاجم انه لا مطمع بعدها في بغداد . قال : وكنت حينئذ ببغداد . وجبرت قصائد في هناء الامام واستخدمني الوزير عون الدين تلك السنة في النيابة عنه بواسطة فنقاني من المدرسة الى العمل . وعطاني عن الاشتغال بالعلم وظن انه حلاني بشغله من العطل .



ونديم عليهم النزال . فان تيسر الفتح . فقد سفر النجح . وان تعذر وتعمس تفرقنا
على . واعدة المعاودة من قابل . وحصلنا من ادراك الطوائل على طائل . ثم
عمدوا الى الجسر الذى لهم فاحكموه . وتجاسروا على الحكم الذى اعتمدوه .
واصبح العسكر فى يوم الاربعاء من شهر ربيع الاول وقد أخذ عدته . وابس
شكته . وركب خيله . وسحب من السوابغ على السوابق ذيله . وشرعوا فى
العبور على الجسر مزدحمين . وعلى العشور بالمنية مفتحمين . واتفق فى ذاك اليوم
هبوب ريح عاصف . وتوَجَّج بحر من الهواء قاصف . وتلاطمت الامواج .
وتزاحمت الافواج . وثقل الجسر وانقطع . وهم العسكر ان يرجع . فلم يجد
طريقاً للرجوع . وخاف من على الجسر من الوقوع . فدوا ايديهم الى
الدبابيس . فاضطربوا واضطروا الى التنكيس والتعكيس . ولم يشعروا من ورائهم
بالامر . ولم يطلعوا على انكسار الجسر وانخرعوا لما هالهم . وحسبوا ان خطبا
غالهم . فهاهنا وما فهموا . وهموا بما وهموا . وركب السلطان عند اشتباه
الخطب . واتجاه الحبط . وشط نازلا ونزل الى الشط . فقبل لزين الدين
على كوجك ان السلطان قد ركب . وان العسكر قد اضطرب . وانه قد
عبر الى الدار . وحصل على الاستشعار . فركب أيضاً فى العسكر الموصلى
على سبيل الاستظهار . ولما شاهد اهل بغداد اختلافهم واختلالهم .
واختلاطهم واختباطهم . فتحوا أبواب البلد . وهتفوا بآرباب الجلد . ونادوا
بشعار أمير المؤمنين ونصره . وزحف العالم فى بره وبحره . وجذفت السفن
الخفاف بمن خف من الرجال . وهجم الحق على الباطل بالابطال . والقوم
مشغولون بانفسهم . حائرون لماعرائهم من تمكسهم . ومن حصل منهم فى
الجانب الشرقى . لا طريق له الى الجانب الغربى . فتقحم البغداديون على الدار

السؤال بالرسول . فانكم لو اردتم الاجمال . لقد تم الارسال . والآن ان
استرجعتم . ورجعتم ورأى الورى منكم الندم على ما فعلتم . فهناك نسمع
الرسائل . ونقبل الوسائل . فننظت القوم من قبول الرسالة وشرعوا في
الشر وعادوا الى العدوان ولجوا في المعيان والطايعان . وتخريب العمران .
وانخرقت . هابتهم عند أهل بغداد . فطلبوا بكل نوع عليهم الاستحواذ . فصاروا
يكبسونهم في الضياع . ويغافسونهم^(١) بالقراع . ويقطعون الطرق على علاقتهم .
ويوجدون السبل الى تكثير مخافتهم . وكانت الاكلاك واصلة من الموصل
اليهم بالميرة . والاقوات الكثيرة . فتلقوها في دجلة فأخذوها . وعبروها
عليهم وعجزوا ان يتخذوها . وامتنع أهل الموصل بعد ذلك عن تسيير
الاكلاك فما أخذوها . وكان وزير الخليفة منذ وصل محمد للمحاصرة
واصل مكاتبه آتابك شمس الدين ايلدكز وحشه على الحركة مع أحد
الملكين ملكشاه أو ارسلان شاه الى همدان فوصلهم الخبر بأن ملكشاه
هجم على البلاد . واستولى على الطراف والتلاد . واقتطع الاقطاعات
وحوي الغلات . ورفع الارتفاعات . فقت ذلك في عضد العسكر وتضع
ثباتهم بهذا الخبر . وحمي أيضاً عليهم الحر . واشتعل البر والبحر . فاجتمع
عند السلطان الحواجكية والامراء . والامائل والكبراء . وكان الوزير شمس
الدين ابو النجيب الاصم الدرگزني والمستوفي رضى الدين أبو سعد الخوافي
ونائب الاستيناء كمال الدين ابو الريان ومن الامراء آتابك أياز وعز الدين
ستماز وشرف الدين كردباز وومسمود البلالي وظاهرهم على الراى زين الدين
علي كوجاك الموصلى وقالوا نعبز باجمعنا الى الجانب الشرقى ونصدقهم القتال .

(١) نفاضة أي فاجأه وأخذله على غرة اه محيط للغير وذابادي

ولا غلام مطعوم في وقت من الاوقات

وفي صفر سنة ٥٥٢ وصلت قافلة الحج فوجدوا دار الخليفة محصورة .
والهمم من الخارجين على خلاف تعظيمها مقصورة . ونزلوا في المعسكر
السلطاني ثم تفرقوا الى بلادهم . ورحلوا طالي اغوارهم وانجاده . ومن كان
من بغداد تحيل في الدخول الى منزله . والوصول الى منزله . وبغداد
حيث خلق من التجار يريدون بل يؤثرون مرافقة الحاج . ويقولون متى
أخذوا البلد نهبوا بضائعنا . واستخرجوا ودائعنا . فخصروا التاج وأكثروا
الضجاج . وحاولوا من ضيقهم الافراج . فقال لهم الوزير « مير المؤمنين
يقول لكم انتم في حرم حساني . وفي ضمان أمانى . ولكم بنى اسوة وهذه
النوبة . مالكم بانوبة . وأموالكم في البلد مصونة . وبأسباب الرعاية منامضونة .
واذا خرجتم وضعتوها على طرق الطوارق . وتعرضت لكم دون السفر عوائد
الحدثان في البوائق . فاصبروا فان الصبر محمود المواقب . والله لنا كفيل بفعل
ناب النوائب . فضجوا حتى اضجروا . وزجروا فما انزجروا . فوكلوا الى أرائهم
الفائلة . وآراهم الحائلة . فاستبقوا الباب . وما استبقوا الاباب . فخرجوا وأحرزوا
تلك البضائع في الدار السلطانية . ولم يقدموا مع تلك الفتن على السفارة
الهمدانية . فامضت عليهم الايام قلائل . حتى غالتهم غوائل . فنهبوا وسلبوا
وأصبحوا فقراء . وهذه سنة الله في الاغنياء . اذ كانوا اغنياء . وسندكر سبب
ذلك ان شاء الله . قال وأما المعسكر النازل فان السلطان رأى مراسلة الخليفة
بالاستعطاف والاستعطاء . والاستغفار والاستغفاء . وكان في صحبته من العلماء
صدر الدين محمد بن عبد اللطيف الحنبدى وشمس الدين أحمد شاذى النزنوي
فأرسل كلا منهما على حدة فلم يمكننا من الوصول . وقيل لامطعم في نجح

بدأوا بعمد جسر على دجلة فوق دار السلطان من تلك الزواريق . واتسعت
طريقهم في العبور بالتغريب والتشريق . وضائقوا في الحصر من الجانبين .
وشددوا في منع الميرة وقطع الاقوات بجذع الانوف وقطع اليدين . ووصل
اليهم من الحلة امراء بنى أسد ورجالها . وقتلوا كهاوا بطلها . وقالوا هذه بغداد
من جانب دجلة ما عليها سور . وتوايكم في هجمها قصور وفتور . فسلموا
اليها المراكب لهجمها . وما اسهل علينا ان نقتحمها . واذن لهم السلطان في
الزحف فركبوا المراكب مستلئين معلمين . وعبروا الى المدينة على الموت
مقدمين . ولما وصلوا الى قرب السور خرجوا من السفن شاكين . فخرج
اليهم من الباب من ممالك الخليفة من طاردهم وجالدهم . وهم مع ذلك يبعدون
من الشاطئ . ويوسعون الى الموت خطوة المصيب غير الخاطئ . ثم كثر
عليهم رجال بغداد كثرة حصلوا منها تحت العسر . وفي قبض الاسر .
وتظافروا الى السفن فغرق أكثرها . وانخسف بهم موقرها . وقبض
الامير حسن المضطرب وأخوه ماضى وعدة وافرة من معروف بنى أسد .
وعدم كثير ممن غرق أو قتل أو فقد . وأمر الخليفة تلك اليلة بصلب
حسن وأخيه على دقل زورق . واصبح الباقيون على السور ما بين مصلوب
مشنق . ومقتول . معلق . ففتح الله خليفته من المهابة لاوليائه . والمهانة
لاعدائه . كل باب معلق . وسقط في أيديهم . بعد ما بسط من تعديهم .
ولما طال الحصار . وتمادى الانتصار . خاف الخليفة الغلاء . ففتح
الاهراء . واقتصر للاجناد في الاعطيات . على تفريق التمور فيهم
والغلات . وأخذوها واحتاجوا الى اثمنها في النفقات . فرموها في الاسواق
وباعوها بالدينار . فحمد بذلك استعمار نار الاسعار . وما زاد سعر في الاقوات

وكان لكل جراحة على مقدارها عطاء . ولكل عمل مبرور جزاء . فتوفرت
دواعي العوام على التهاافت في نار الحرب تهاافت الفراش في النار . للنوز عند
العود بالدين والدينار . فقامت الحرب على بغداد بالمساء والصباح . والغدو
والروح . وطالت مدة الحصار . ولم يؤثر في الاسعار . وما عز غير اللحم . ولا عز
الملح . والامل مقترب النجح . وخسران الخصم دليل الربح . وكانوا قد نصبوا
من الجانب الذي من دجلة على مسناة دار العميد وبقرب القمرية منجنيقين
عظيمين وهما بنصب منجنيق آخر على الحان الذي بناه سرخك مقابل التاج .
ولو تم ذلك لأعضل داء الازعاج . فعين الخليفة ليلا رجالا أتوا بنيانه من
القواعد . وكان لوقوعه سحرا رجفات كأصوات الرواعد . وكانت السفن
المتردة في دجلة برماة الجروح والنشاب والقوارير المحرقة . والنفاطات
المزقة . قد آذتهم وآذتهم بعجزهم . وعزت بازهاقهم . فأزهقت روح
عزمهم . وما كانت لهم مراكب الاعداء يسيرة يسخرون ملاحيا . ويخسرون
مالسكيا . ثم لا يشقون بالركوب معهم فيها فحاروا وخاروا . وتشاوروا
واستشاروا . فقال لهم بدر بن المظفر بن حماد صاحب الغراف . وكان قد
جاهر الخليفة بالخلاف . أنا كفيمكم بسفن مقاتلة . وأغنيكم بمراكب حاملة
وجواري منشئات . وزوارق وشفارات . من بلد واسط والبطائح . من
الداني والنازح . فخدموه وشكروه ومضى وأقاموا ينتظرونه حتى وصل
بالسفن الخفاف والثقال . والملاحين والرجال . فامتنع عليهم عبورها في
البلد اليهم ورتب الخليفة الرجال في المراكب للقائها . واحرقها بالنار واردائها .
ولما شق عليهم ذلك ردوها الى نهر عيسى بعد ان مدوها الى الفرات .
وأخرجوها فوق بغداد في الصراة . وتكاملت مدة شهرين في ذلك . ثم

فرعن في دجلة راسيات كالرعن . وعبر محمد شاه دجلة الى الجانب الغربي من
 أعلى بغداد على بعد منها بمجموعه . وراع كل قلب بصدوعه . وكان قد واعد زين
 الدين على كوجك فوصل بعسكر الموصل يوم الميعاد في وفور من العدد
 والاعداد . وأطلوا من الجانب الغربي على بغداد وكدروا المشارب . ووفروا
 المصائب . ثم بكرروا وأشرفوا . وبالغوا في القتل وأسرفوا . ووقفوا بأزاء
 التاج الشريف وشرعوا في السبع . جارين على سوء الطبع . ونبتت من
 معاجس قسيهم غروب النبع . وجرحوا من النظارة جماعة أحسنوا بهم
 الظنون . وأمنوا منهم المنون . وقابلوا الفرض بالرفض . وقاتلوا الله تعالى
 بقتال خليفته في الارض . ونزلوا على بعد من بغداد حتى تألفت الوهم .
 والتف لقيهم . وسيروا الى الحلة والكوفة وواسط والبصرة ولأقلام قطعين .
 وشحناً ومتصرفين . وفي كل يوم يسير الخليفة في دجلة مرآكب . مملوءة
 بمقارب . فيها المجانيق الخفاف . والعرادات اللطاف . والرماة الكمامة . والجرخية
 الكفافة . فيحاذون المعسكر المحمدي في دجلة ويرمونهم . ويشوونهم ويصمونهم
 حتى رأى السلطان محمد التنقل الى حوالى سور بغداد فجاء ونزل على الصراة بدار
 يرتقى الزكوى وعبر أمراء الكبار الى الجانب الشرقي مثل آتابك أياز وعز الدين
 ستماز . ومن يجرى مجراهما من ذوى الاعتزاز وبقي على كوجك بالعسكر الموصل
 في الجانب الغربي والسلطان معه وهو يعبر في دجلة الى دار السلطنة في جانب
 بغداد كل وقت ويعود . والبيض قد هجرتها الغمود . والمقول قد انحلت منها
 العقود . وتبرز خيل بغداد في كل يوم منها من يأتى سور السلطان والظفرية
 ويقفون خلف الباشورة المبنية . للحملة على من يكون منهم في الجاليشية فهم
 يخرجون . ويخرجون ويخرجون . فيأمر لهم الخليفة بأعطاء . على قدر البلاء .

الى مجزى الكتاب . وتبريز المضارب وتميز الطلائع والمقانب . فارتحل لما
انقضى المصيف . واقبل الحريف .

— — — — —

ذكر وصول السلطان محمد الى محاصرة بغداد وما اعتمده

﴿ أمير المؤمنين المقتنى لامر الله من حسن الصبر المعقب ﴾

﴿ حميد الظفر والنصر ﴾

— — — — —

قال رحمه الله وصل الخبر الى بغداد في ذي القعدة سنة ٥٥١هـ بأن
السلطان محمد قد قرب في عسكر هائل . وعمرهم صائل . وهو
بمنزل « قصر قضاة » فصدق اهتمام الخليفة بالاحتراز والاحتراس .
واجسد لباس الجسد للباس . وبالع في تحصيل العدد . وتحصين البلد .
وأدار بالمنجنيات سورا على السور . وملاً أبراجه بالحماة المساعير .
وخرج الوزير ابن هبيرة وخيم تحت التاج الشريف عند المشنة على شاطئ
دجلة بحيث يطل الخليفة من المشنة على خيمة وزيره . ويقرب الاستئمار في
دقيق الامر وجليله وقليله وكثيره . وفتح باب الكرم المرتجى المرتج . وثبت
قلب الاسلام الخافق المرتج . وأعد العدد الخاصة والخرجية . واستخدم
المنجنقية والجرخية . وكان من حزم الخليفة انه منذ توفي السلطان مسعود
ونفى مسعود الخادم البلالى من بغداد أوعز بأعداد الذخائر وادخار العدد
والاستظهار بشغل صناع السلاح وكانت حجارة المنجنيق معوزة . فأحضر
منها في السفن ألوفاً صارت محرزة . وأمر ببناء المراكب المقاتلة والسفن

ذكر وزارة شمس الدين أبي النجيب الدرزي

•••••

قال : قيل للسلطان انه وزير عمك . وظهير عزمك . وقد سبقت له خدم
وثبت له في القدم قدم . فنصبه في المنصب . ورتبه في أعلى الرتب . واستند
وتصدر . وأورد وأصدر . وخاطب الامراء الذين استأثروا بالبلاد ان ينزل
كل منهم عن شئ مما في يده ليكثر الخواص السلطانية . واستضاف بلاداً
عامرة الى النواحي الديوانية . فتوفر الاستظهار وظهر التوفير . وأثر الرجاء
ورجي التثبير . وقال للسلطان قد اتسقت الاحوال . واتسعت الاموال .
وقد فرغ البال لشغل بغداد فاسترجع حقه المغصوب . ولا تترك نجاحك
المطلوب . فانها دار ملكك . ومقر أهلك وجيدك . وأنت اذا مضيت
بنفسك فما يقف قدامك أحد ولا يكون معك لاحد يد فلما خضر الربيع
مأثته . ووفر فائدته . وأحسن عائدته . عاد السلطان الى همدان وذلك في
سنة ٥٥٠ ورحل على سمت بغداد ورحل عدة مراحل . ونزل في قصدها
منازل . ثم بدا له فعاد لان الامراء الذين سبقت منهم المواعدة على المعاودة
اخذوا العمدات . ولم يطاوعه المسكر على مفارقة البيوت والاقطاعات . عند
ادراك الغلات . فانصرف راجعاً وتوجه الى آذربيجان . وتم المصاف الذي
نصر فيه على عمه سليمان . ثم عاد الى مقر ملكه وفي قلبه من أمر بغداد هم شاغل .
في صميم روحه واغل . وعلم ان الجند لا يفارق بلاده في الصيف . فانه لا يجمع بين
حر بغداد وحر السيف . فواعدهم الى الخريف . وأمنهم من الغرر الخفيف .
واشغل بالاستعداد والاستعداد . والاجتهاد في الاحتشاد . وتجهيز السكتب

مسمود بنجلس للمعزاء . وامترى در البكاء . وكنت حاضراً في زمرة العلماء .
 ووصل الى خدمته آتابك ايلدز في عساكر آذربيجان والامير شير بن آق
 سنقر بعسكر أخيه وأقاما عنده على همدان ثم استأذنا في العود وعادوا .
 وزادهم السلطان حرمة وقوة فزادوا . ووصل رسول ملك كرمان فاكرم .
 وأحضر حملاً فقدم . وسير جمال الدين ابن الجندى مع الرسول رسولاً الى
 كرمان . ليخطب بنت الملك للسلطان .

قال : فعدت معه الى اصفهان فسامني السفر معه في تلك السفارة .
 فرأيت الربح فيه عين الخسارة . فتأخرت وتقدم . واحججت فأقدم .
 وأقت فظعن . وأسهمت فاحزن . فأتني عند مسيره الى كرمان سرت
 على طريق خوزستان الى بغداد وجئت الى عسكر منكرم في شوال
 سنة ٥٤٩ هـ والملك ملكشاه بن محمود ملكها . وقد امنت به مما ملكها
 ومسالكتها . ولقيت رئيس الدين محمد بن القاضي أبي بكر الارجاني وهو في
 نيابة القضاء . وموفور الحرمة في العلماء . فذكر لي ان والده توفي سنة ٥٤٤ هـ
 وأعطاني مسودات من أشعار والده . فتنزهت في رياض فوائده . ثم
 ارتحلت الى بغداد بعد وصول الخبر بنصرة الخليفة في حرب بجذبا وظفروه .
 وكنت مع والدي فخرته البشري على سفره .

قال : وشقي السلطان محمد بن محمود في هذه السنة بساوه واستعجز
 جلال الدين بن القوام وزيره . واستعصر تدبيره . واستقصى من فارس تاج
 الدين الدارستي ليستوزره فوصل تاج الدين الى اصفهان وأقام مدة فبردا أمره
 وحمد جره . واستبطا السلطان سيره . واستوزر غيره .

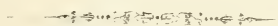
يرصده ليلا ونهارا . ويرعاه سرا وجهارا . وما زال الامر على ذلك حتى
فارقنا المسكر . فما أدري اين أقبل به القضاء بعد ما أدبر . ومن حين نقل
ما سمع له خبر . ولا رثي له اثر . فكأنما سل طين السلاطين من جفن الجناه
وجبات جبلتهم على الاغفال والاغفاء . فالرحم عندهم . مقموعة . والرحمة
ممنوعة . والعزة في خدمتهم بالذل مشفوعة . والاغترار بهم غرر . وضنوخهم
كدر . يتسبون ويحتشون . ويبرهون وينكثون

❦ ذكر حوادث جرت في تلك السنين ❦

قال : في سنة ٥٤٨ هـ استولى الغز على السلطان سنجر وكانت حادثة هائلة
وسندكر أيام سنجر عند وفاته . وفي هذه السنة استولى الفرنج على عسقلان
وفي هذه السنة قتل المادل ابن السلار سلطان مصر قتله ابن امرأته .
وفي هذه السنة توفي ابن منير الشاعر بحلب في جمادى الآخرة . وتوفي
ابن القيسراني الشاعر بدمشق في الحادى والعشرين من شعبان . وتوفي ابو
الفتوح بن الصلاح الفيلسوف البغدادي بدمشق في الخامس والعشرين منه
وفي سنة ٥٤٩ هـ توفي تمر تاش صاحب ماردین في أول المحرم . وفتح نور الدين
محمود بن زنكي دمشق يوم الاحد ثالث صفر سنة ٥٤٩ هـ . وقتل الظافر بتولي
مصر ليلة الخميس لانسلاخ صفر

قال : وفي هذه السنة توفيت حليمة السلطان محمد بن محمود بنت السلطان

وقبضه في المضيق وحمله الى قلعة الموصل . واعتقله وأراحه من التعب . وابعاه
ما كان يؤثره من اللعب . وكان ذلك في شعبان سنة ٥٥١



ذكر اتصال الملك جفري شاه بن محمود بأخيه السلطان محمد

بأخيه

قال رحمه الله : كان الملك جفري شاه مع آتابك اياز في آذربيجان .
فشغل خواطر الاميرين ايلدكر وارسلان آبه صاحب آذربيجان عند اتصالهما
بالسلطان سليمان . بعد انهزام محمد الى اصفهان . فلما عاد محمد الى السلطنة سير
شرف الدين كردبازو لاصلاحهم والصلح بينهم . فوصل والحرب قائمة على
ساقها . آخذة من الارواح باطواقيها . فأصبح ذات البين . وعاد قرير العين
وقد تسلم جفري شاه . وملاً بحمده ومدحه القلوب والافواه . وجمع شمل
السلطان بأخيه وعاد آتابك اياز الى ولايته . وكانت رعيته آمين في كف عنايته .
واقسم شمس الدين ايلدكر ونصرة الدين ارسلان آبه بلاد آذربيجان وأفرجا
عن أردبيل للامير آغوش . وأعادوا من رسوم العدل النقوش . واجتمع
السلطان محمد بأخيه جفري . والاخوة تحمله على الشفقة والملاحة به يفرى .
قال : وكنت في ذلك العهد سنة ٥٤٩ بهمدان وقد عدت من الحج
صحبة جمال الدين محمود بن عبد اللطيف الخجندی فشاهدت السلطان قد أنس
بأخيه وسر به . وامتزج به في مطعمه ومشربه . ولاطفه بعطفه . وعطف عليه
بلطفه . ثم امر باعتقاله ووكل به الامير عز الدين ستمار بن قايمار الحرامي

سلطان سلجقي . ولا ملك ديلمى . وكان منهم شقى وسعيد
ثم أركبوه وخرقوا به السوق حتى عبروا به باب سور السلطان وأنزلوه
بدار السلطنة ووظفوا له الرواتب ورتبوا له الوظائف وشرفوه وسوروه
وطوقوه وخطبوا له على المنابر فى الجمع والجوامع . وخصوصه بالعوراف والصنائع
النصائح . لكنهم لم ينعتوه الا بالمعظم ولم يسموه بالسلطنة ولم يسموه . وكانوا
يقتصرون به على المعظم وذلك غاية أن يعظموه . لكنه كان فى قد عقلة من
غفلته . وعى لهجة من غى جهلته . وفى كسرة من سكرته . وفى ذلة من لذته .
فما زال مدة مقامه مستحلاً لمحارم شهواته . مستحلياً مذاق اللغو فى لهواته .
مترنماً بنغماته . متبغماً بخرافاته . والخليفة مع ذلك فى ولائه معتقد والوائه عاقد .
مقيقظ لتدبير مصالحة وهو عنها راقد . وقد اوعز الى عساكره بالتأهب
للمسير فى خدمته . واعادته الى عادته فى سلطنته . واستوزر له شرف الدين
الخراساني وكان رجلاً كبيراً يرجع الى سودد وكرم محمّد . وكان قد وصل الى
بغداد فى عهد السلطان سنجر رسولاً وأعاد البردة والقضيب النبويين معه الى
دار الخلافة وكانا قد أخذوا فى النوبة المسترشدية

وأقام شرف الدين هذا فى الظل الامامى وهو مخصوص بالاحترام فرأى
المقتضى أن يجعله وزير سليمان . وسيره الى آذربيجان . وجهز معه عساكر وافية
العدد . وافرة العدد . فمضوا به الى أراية ثقة بآتابك يلكز فما رفع بهم رأساً .
ولا قراهم ايناساً . ووصل السلطان محمد بن محمود وجرى المصاف . ووقع بين
الفریقین الانتصاف . ثم انهزم سليمان مولياً . وعن عسكر الخليفة متخلياً فعدت
العساكر الى بغداد عادة لاظفر . نادمة على السفر . ورجع سليمان عائداً الى
بغداد فى طريق الدربند القربالى فصبحه زين الدين على كوجك من الموصل .

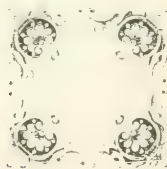
يُؤذَكَرُ وَصُولُ السَّلْطَانِ سَلْيَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَلِيْكَشَاهٍ إِلَى بَغْدَادٍ

وَقَبُولُ الْخَلِيفَةِ لَهُ وَتَجْهِيْزُ الْجَيْشِ مَعَهُ وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ٥٥٠ هـ

— — —

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: كَانَ سَلْيَانُ قَدْ تَخَلَّى عَنِ الْمَلِكِ وَأَخْلَى سَرِيْرَهُ، وَوَافَقَ
 أَدْبَارَهُ تَدْيِيْرَهُ، يَدُورُ فِي الْبِلَادِ وَيَبْلِي بِالْأَوْتَرِ، وَيَجِدُ مَعَ الْمُنْجِدِ وَيَغُورُ مَعَ
 الْغَائِرِ، لَا يَسْتَقِرُّ بِهِ قَرَارٌ، وَلَا تُؤْوِيهِ دَارٌ، وَلَا يُجِيرُهُ جَارٌ، فَلَمْ يَرِ لَأَمْرَهُ وَأَمْنَهُ
 حَامِيَا غَيْرِ حِمَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَصَدَ أَنْ يَلْقَى مِنْ عَصَمَتِهِ الْحَبْلَ الْمَتِينَ، قَالَ
 وَكُنْتُ حَيْثُمَا بِبَغْدَادِ فَوَصَلَ الْحَبْرُ بَانَ سَلْيَانَ قَدْ دَنَا وَدَانَ فَقَابَلُوهُ فَوُورَ
 الْقَبُولِ وَفُودِهِ، وَأَكْرَمُوهُ وَرُودِهِ، وَلَوْ وَفَوْهُ حَقَّ السَّلْطَنَةِ لَتَلْقَاهُ الْوَزِيرُ وَمَعَهُ
 قَاضِيُ التَّمْضَاةِ وَالنَّقِيْيَانِ، وَأَجْلَاءُ الْخُدَمِ كَمَا جَرَتْ عَادَةُ السَّلْطَانِ، لَكِنَّهُمْ
 اقْتَصَرُوا فِي تَلْقِيْهِ عَلَى مَوْكِبٍ شَرِيفٍ يَقْدُمُهُ عَزَّ الدِّينُ مُحَمَّدُ
 ابْنُ الْوَزِيرِ وَمَعَهُ مَخْلَصُ الدِّينِ ابْنُ الْكِيَا الْهَرَسَانِيَّ وَخَادِمَانِ وَوَقَفَ
 الْمَوْقِفَ خَارِجَ الْبَلَدِ حَتَّى قَرَّبَ ثُمَّ لَقِيَهُ ابْنُ الْوَزِيرِ وَخَاطَبَهُ بِكُلِّ
 مَا أَطْرَبَهُ وَأَعْجَبَهُ، وَقَالَ «أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ يَسْلَمُ عَلَيْكَ
 وَيَهْدِي تَحِيَّتَهُ إِلَيْكَ» وَتَرَجَّمَ ابْنُ الْكِيَا الْهَرَسَانِيَّ لَهُ هَذَا السَّلَامَ بِالْفَارْسِيَّةِ،
 فَنَزَلَ سَلْيَانُ عَنْ فَرَسِهِ وَقَبِلَ الْأَرْضَ ثُمَّ رَكِبَ وَدَخَلَ الْبَلَدَ وَخَرَقَ الْأَسْوَاقَ
 مِنْ بَابِ سُورِ الْحُلْبَةِ إِلَى أَنْ جَاوَزَ فَرِضَةَ لِرَحْبَةٍ، وَحِينَ وَصَلَ إِلَى بَابِ النَّوْبِيِّ
 أَنْزَلُوهُ وَأَلْزَمُوهُ بِتَقْبِيلِ الْعَتَبَةِ وَقَدْ أَكْرَمُوهُ، وَهَنَّاكَ حَبْرٌ إِذَا وَصَلَ الرِّسْلَ
 وَمَقْدَمُوهُ الْحَاجُّ نَزَلُوا عَنْهُ وَلَثَمُوهُ وَعَظَمُوهُ، وَمَا قَبِلَ تِلْكَ الْعَتَبَةَ قَبْلَ سَلْيَانَ

الفرصة الأمير سنقر الهمداني فانفرد بالملك ارسلان بن طغرل وسار به
وأخفى مسيره في مضائق كل وادي ومساربه . حتى وصل به الى شمس
الدين ايلدكز زوج أمه وكانما أنزل به الغنى بعد عدمه . وأما الخليفة فانه
سجد لله شكراً . وانشرح بالنصر صدراً . ودخل الى بغداد منصور اللواء .
مصحوباً باملاك السماء . ولما تمت على أولئك القوم في أملاكهم الخيبة . تمايلتهم من
جانب أمير المؤمنين الهيبه . ونكصوا على أعقابهم عشرين بذيل الخجل . عابرين
على سبيل الوجل . فلما رجعوا الى السلطان محمد بن محمود ندمهم . وعاتبهم على
الملك الذي ندم منهم . وقال « كسرتما . وسكمتما . واتفقتما نفوسكم . وأهلكتما الزمكنا
وعرضتما للسبي الذراري منهم والنسوان . ثم أخرجتما الملك ارسلان وغفلتما
عن حفظه . وهو الآن عند ايلدكز وستبصرون ما يفضى اليه الامر . ولا
بد ان يتوجه الي من جانبه الشر . وقد صار الخليفة خصباً فلا يخلص بعد هذا
ورد دواتنا معه من الشوب . ولا يقبل على قبول التوبة ولا يرتضى صواباً
ارضاء هذا الصوب » وكان كما حسب فان الخليفة لم يغفر للسلاجقة بعدها
ذنباً . ولا فرغ لهم من جهته قلباً . وكانت الوقعة ببجمر في أواخر سنة ٥٢٩ هـ



الواشي طول الارض وعرضها . ومنعت بتراصها تقويض صفوفها ونقضها
 فنزل الامير نحر الدين قويدان قائد الجنود وقبل الارض للخليفة وطلب
 بلاد الحلة . واقتدى به ناصر الدين منكوبرس في طلب البصرة . فانعم بها
 عليهما . فتأهبا للقاء . وتلها على الميحاء . وحمل الوزير ومن معه فلم يجدوا
 في تلك النقاد للآساد طريقاً . وصادفوا في ذلك القضاء الواسع للانعام
 المحشورة اليه مضيئاً . وكان ترشك مملوك الخليفة للمخالفين مخالفاً . وفي
 الميمنة واقفاً . خملت ميمنتهم على ميسرة الخليفة وفيها . هاهل ابن أبي
 عسكر والاككراد فهلمت نسجها . وحلحلت برجها . وعادت صفوة
 صفوف الاكراد اكداراً . وأجفلوا كالظلمان هزيمة وفراراً . ودخل ترشك
 بين اطناب السراقد الشريفة فطعن برمح ظهير الدين بن الفقيه المرتب
 في الخزن فقتله وركضت ميمنتهم خلف المنهزمين فلم يرجوا . ومروا
 وراءهم ومرجوا . وأما الميمنة الميمونة الامامية فلما حملت وفيها ناصر الدين
 منكوبرس ونحر الدين قويدان ونفذت الى القوم وقوضت ماقابله من البنيان
 المرصوص . وحكمت بنصر الحق المنصوص عليه على الباطل المنقوص . فلم
 ير غير رأس سائر . ورأس طائر . وورح يتشظي . وصارم يتلظى . وتبدد شمل
 آمال الاعادى وتفرقوا عباديد . وأخلفهم الشيطان ما كان مناعهم من . وواعيد
 وطاروا على خيولهم كأنما استعارت من قوائها قوادم . وتركوا بتلك المغاني
 من أغنام التركمان مغانم . وخبّت البشرى الى بغداد بالنصر . بمقب ارجاف
 الاجلاف المنهزمين بالكسر

ووقف بعد الهزيمة مسعود البلالى فى قلبه ثابتاً قلبه . راجياً ان يشوب
 اليه حظه . فهب اليه ابن هبيرة فهرده . وبرى أجزاء صفه وجزّ وبرده . وانتهز

والبردة الموروثة فوق ردائه . والقدر بالقدر على أعدائه . ما بي ندائه .
فسار في موكب الشريف وعلى مقدمته وزيره عون الدين بن هبيرة في أسود
استلأمت من الدروع بأهب أسود . وفي سحائب قساطل من المناصل
والصواهل بوارق ورواعد . وفي الميمنة والميسرة امراء ومقدمون من
عظماء العسكر كناصر الدين منكوبرس وأمير واسط مظفر الدين قتلغ برس
وكلاهما من المسترشدية . وحامياً الخوذة المقتنية . ونخر الدين قويدان ومنكابه
العباسي وبهاء الدين صندل والامراء المصطفون المصطنعون . والحماة الكماة
المدرعون المقنعون . وخيم الخليفة على مرحلتين من بغداد في موضع يعرف
بـجـمـزاً وأقام دون شهر ينتظر منهم البداية . ويستبعد من غوايتهم الهداية
ولما تراجم المجران . وتراجم الجران . تجرأ العدى بغيرهم وغيرهم على
الاقتحام . وحسروا عن أقدام الاقدام . وقالوا ان للقوم بناطاقة . ماتحموا
من توسيع مدة الاقامة اضاعة . فقد عزت الاقوات وعدم العلف . ووجد
التلف . وجهلوا ان الامام متبع حكم الشرع . في قتال أهل البغي عند صياهم
بالدفع . فركبوا وما رقبوا . وبرزوا وجلبوا . فركب امير المؤمنين في
هاجريه وأنصاره . ووقف في القلب منهم بين اسماعه وأنصاره . وقدم وزيره
ابن هبيرة امامه . وسير معه اعلامه . وأمر الامراء ان يكونوا معه قدامه .
فاقرت ليالي الرايات السود بوجوه رافعيها البيض . واشرقت ايامن الايام
الامامية بنوره المستفيض . وشرع برق الحديد الالامع على حواشي بوارق
السوار في الوميض . واولئك قد ساقوا دواب التركان ومواسيها وأغنامها .
وقدموها بين يدي صفوفها قدامها . وكانت آلافا كثيرة الاعداد . كثيفة
السواد . ومن ورائها الوقاة الكماة . ذوو الحمية الحماة . وقد اخذت هذه

من ملك بغداد وخيب رجاءه . فحينئذ اجتمع عند السلطان الامراء الذين
حات اقطاعهم ببغداد وقالوا « ارزاقنا قد اقطعت . واعراقنا قد قُلعت .
ودورنا قد اُنزات وولاتنا عزات . ولا بد من مداواة هذا الداء قبل اعضاله .
وتداركه قبل استفحاله » وكان السلطان محمد يرجع الى عقل ودين . وحلم
ركين . ورأى رزين . فقال « لاتعجلوا فان مخالفة الخليفة شؤم . ومواليه
محمود ومعاويه مذموم . وأنا استفتح سلطانتي بماداته . ونية
مناواته » فقالوا له « نحن نمضى ونقضى هذا الشغل . ونخفف عنك هذا
الثقل . ونلقى بجمعنا الجوع . ونخصد بسيوفنا الزرع » فقال لهم « كان رأيي
ما ذكرته . وعرفتكم ما أنكرته . والآن فافعلوا ما رأيتموه . واعملوا ما نويتوه »
فودعوه وركبوا . وجاء اليهم من وافقهم وذهبوا . وتجمعوا في جحافل حافلة .
وعساكر في ذلال السوابغ رافلة . وساقوا بين ايديهم التركان ببيوتهم
ومواشيهم . وأهاليهم وحواشيهم . وكان حصن تكريت قد بقي في يد مسعود
البلالى وبه نائبه أسبه وحصره الخليفة مرارا فتمنع ولم يفتح مغالقه المتصعبة .
وفي هذه القلعة ملكان من السلجقية معتقلان وهما ملكشاه بن سلاجق بن
محمد بن ملكشاه وارسلان شاه بن طغرل بن محمد بن ملكشاه فقالوا لمسعود
البلالى « أحضر لنا الملك ارسلان بن طغرل ابن عم السلطان . ليثق بحضوره
جموع الاجناد وحشود التركان » فاقطع عليهم بدره . ورفع جتره . ثم
وصلوا الى نواحي العراق

ولما عرف الامام ذلك أمر فاصحرت أسده الخوادر من عريستها .
وتبدات خيش الوشيح من خيسها . وبرز في مظلمته . كأنه البدر في هالته .
ونور النبوة يشرق من جبينه . والقضيب النبوى يوزق بالانصر في يمينه .

ايسلم عليه . فاخذ الحادق وقتله وغرقه في النرات . وجمع المساكر
واقطع تلك الولايات . وفرق على فريقه الاقطاعات . فسار اليه ابن
هيرة . وهزمه . وكسر دحلقي البلالى بهمدان مستصرخا . وغدا عتد جمعه
منفسخا . وملك الخليفة المراق من أقصى الكوفة الى حلوان . ومن حد
تكريت الى عبادان . واقطع واسط واعمالها . والبصرة وانهارها . وماعاها
وولاياتها . والحلة والكوفة ونهر الملك ونهر عيسى ودجيل والراذان .
وطريق خراسان الى نواحي حلوان . واقطع الوزير عون الدين ابن هيرة
جميع ما كان لوزير السلطان وأرباب مناصبه في جميع هذه البلاد . وأعانته
على الاستعداد واضاف الاعداء بتضعيف الاعداد . وامتته بتاج الملك
فلك الجيوش

وكان الامام لما استخاف استخاف على انه لا يشتري مملوكا تركيا . وكان
يقضى مدة خلافته إما ارمينيا أو روميا . ولم يكن له من الاتراك الا ترشك
ملك قبل الامة فولاه الامارة على الامراء . واختص من مماليك الروم
والارمن عدة من النجباء . ساهم الخيامة . وولاهم الرتب العلية . وأحكم اسوار
بغداد وحفر خندقها ورتب الولاة في الولايات وبث العيون وأصحاب الاخبار .
وبعث الجواسيس الى جميع الامصار . واشتغل السلاطين بعضهم ببعض في
تلك السنين . وأعطى الله الخليفة التأييد والتسكين . وكان الخليفة قد سير
قطب الدين المبادى في سنة ٥٤٦ أو ٥٤٧ رسولا الى محمد بن محمود بنخوزستان
فتوفى هناك . وختمت به الفصاحة الوعظية واطلمت . طالع العلم المضئ
ولما عاد السلطان بعد هرب عمه سليمان الى همدان راسل الخليفة
وخاطبه في الخطبة له فما اجابه . وتجنى عليه بقتل ابن بانكرى وعابه . وآيسه

وتلقاه أمراء الدولة مهينين . ومحنة جده . تهينين . وعناد الى قصره . ومادة
نصره . وذلك في سنة ٥٤٨ هـ

في ذكر ما اعتمد به الامام المقتدى لامر الله بعد . موت السلطان *

في مسمود محمد بن . المكشاه *

— ❦ —

قال رحمه الله : كانت السدة الشريفة الامامية قد منيت بجور الاعاجم .
ولم يزل عودها من عداوتهم تحت سن العاجم . وكان أهون ما عندهم خلاف
الخليفة وعناده . وتمردهم عليه بأن يحصل مرادهم لامراده ولم يزل بغداد
مظلمة . مشحونة منهم بالشحن الظلمة . ولهم من الديوان العزيز مطالب
لا يفي بها خواصه . ومغارم تلحقه منهم يتسمر منها خلاصه . والحرم من
جناياتهم خائف . والشرف لمهاباتهم عائف . وشريعة الشريعة مكدره . والدماء
والفروج مستباحة مهدره . والخليفة يفضى ويفض . ويعتب ولا يعتب
ويقدر عليه ولا يقدر . ويُعذر به وهو على العهد لا يفدر . فلما توفي السلطان
مسمود قال « لاصبر على الضيم . بعد اليوم . ولا قوام مع هول هؤلاء
القوم » وأزده وزيره عون الدين بن هبيرة وأمانه . وثبت جنانه . وكان
مسمود البلالي الخادم والى بغداد فقامت عليه قيامة . وتعذرت عليه الاقامة .
فرحل الى الحلة . ومضى متحذرا في تدبير الامور المضحكة . وأقام يخشد
ويحشر . ويطوي وينشر . وكان بالحلة السار الكردى من
اكابر امراء السلطان فلم يكثر بالخادم واسترسل اليه . وقصده

آف سنقر على العود الى ولايته ثم ان الامراء الباقين بعد رواح
شمس الدين ايلدكز قرروا مع نصرة الدين . وانتقلوا الى مرج قراتكين
وخلوا السلطان مع خواصه بقصر همذان واجتمعت اراؤهم على قبض الوزير
وأرادوا اتباع ذلك بقبض خوارزمشاهي التكين . والسلطان سليمان كان
حيث قد نكح زوجة أخيه بنت ملك السكرج ودخل بها وهو في عرس
وانس فجاءت اليه أخت خوارزمشاه زوجته وقالت له « ان لم تأخذ لنفسك
أخذت نفسك . وطال حبسك . ومضى غداً يومك . ورجع في التطبيق
عليك أمسك » فهرب ليلاً معها ومع أخويها وترك خاتون الأبخازية وقد بنى
عليها وأصبح الامراء وقد فقدوه . ونشده و ما وجدوه . فتوات العساكر
لى ولاياتها . وغابت تلك الاسود الى غاباتها

نذكر رجوع السلطان محمد بن محمود بن محمد بن مكشاه

الى مقر ملكه بهمدان بعد غيبة سليمان

قال : لما وصل السلطان محمد الى أصفهان . منجازا عن عمه سليمان .
كاتب الجوانب . وراقب الاجانب . واتصل به الامير ايناج صاحب الرى
فقويت يده وعرف ان العساكر الغربية لا تقيم مع عمه . وانهم اذا انفصلوا
عنه كان عزمه ملياً بهزموه . فوصلته البشرى بان عمه عام فى بحر اليل ساجاً
وساح امراض الفلاة بالافلات ماسحاً . فسر بما وعى . وسار وسعى .

الومد الذي أخلفته معه تُخْلِفُ » فليس لنا بك المام . ولا لك معنا كلام .

— — — — —

ذكر ماجرى لاسلطان سليمان بن محمد بن ملكشاه وجاوسه

على سرير السلطنة

...

قال رحمه الله : كان لما خرج من مجلسه بقزوين . ووجد التمكن
والتمكن . خرج به مظفر الدين الب ارغون بن يرتش البازدار الى زنجان .
وكتب فيه الاميرين شمس الدين يلدكز ونصرة لدين صاحب مراغة وهما
في امره مترويان فلما نفرا من محمد وتذمرا وتذمرا سارا بمساكرهما الى
زنجان طالبين خدمة السلطان سليمان وحملاه الى همدان . واجفل السلطان
محمد في شردمة يسيرة في اصفهان . فاستقر سليمان على سرير الملك وكان
معه ياتسكين خوارزمشاه وأخوه يوسف وأختها زوجة السلطان سليمان وهي
لامره متولية . وعليه مستولية . وكان سليمان وزيرا شريفا خيرا . ذ سكر
وقع صريعا . ونام أسبوعا . كلما رفع رأسه لاذ بالمقار . ثم لاث خمارا خمارا .
وكان يقلى لانه لا يلقى . ويشق عليهم انهم لا يسمعون به وهو يشقى .
وكذلك وزيره نخر الدين أبو طاهر بن الوزير المعين أبي نصر أحمد بن
الفضل بن محمود القاشاني لا يصحو ساعة . ولا يحو عنه شناعة . وهو أشبه
بسلطانه . وكلاهما اليق بزمانه . فضجر الامراء الاكابر من المقام . وشرعوا في
الانفصال والانفصام . وعاد شمس الدين يلدكز الى آذربيجان لقصد اراية
وانتزعها من يد روادى ابن عم ابن بلنكرى . وعزم نصرة الدين

ومما يعتبر به المستبصر ويستبصر به المعتبر ان خاصبك خلف أموالا
لا تأكلها النيران . ولا تحويها الحسبان . ومن جملة ما وجد له الف ثوب وسبع
مائة ثوب أطلس عتاني فكيف غيره من الألوان . وطلب له كنز في ذلك
اليوم فلم يوجد . وبقي على حاله ولم يلحد . وما ألقى عليه رداء . ولم يبذل له
فداء . حتى جبي له من سوق العسكر الكفن والقطن . وتهيأ لمن تولى أمره
حسبة لله الغسل والدفن . فبما بعداً للدنيا ما كدر صفاءها . وأغدر وفاءها .
تخيف من آمنها . وتزعج من سكنها . وتقتل من أحيائها . ولا ترعى من رعاها .
وأما السلطان محمد فانه ظن بعد قتله أن الموانع قد ارتفعت . والمنافع
قد اتسعت . وأن الأمراء النافرين منه بسببه يجتمعون . وعلى نصره يجتمعون
والى جنبه يفرعون . وكان وزيره في خوزستان الوزير جلال الدين بن
القوام أبى القسم الدركزنى وقد أبقاه على وزارته . وجرى ما جرى بمشورته
وأشارته . فأشار عليه بأن يسير رأس خاصبك الى الاميرين الكبيرين شمس
الدين اتابك ايلدكز ونصرة الدين خاصبك بن أقى سنقر صاحب مراغة .
وظن انه يعجبهما اتلافه . ولا يسهما عصيان السلطان وخلانه . فلما وصل
اليهما الرأس هاتهما حالته . وأعيتهما فى هذه العشرة أقالته . وقالا « لقد أقدم
على فتك عظيم بعظيم . واقد الام الكريم بظفر ائيم . أما كان استوثق منه
بالمين . أما استمسك من وعده بالحبل المتين . وإذا كان هذا الملك الاكرم
ابن الملوك الاكرمين مجترأ على مثل هذه الجرائم . ومستصغراً لأمثال هذه
العظام . فقد غر العزاء . وخاب الرجاء . وجل المصاب وعظم البلاء » فقالا
عنه . ونال بالالوم منه . وأرسل اليه « انك أخطأت . وزعمت انك أصبت .
وما شق قلب اليك . وان وثقتنا فانك بالمين التى حلفت بها له تخلف . ولمش

ذكر جلوس السلطان غياث الدنيا والدين

أبي شجاع محمد بن محمود بن محمد بن الملكشاه

(في أواخر سنة ٥٥٧)

.....

قال : وقدم السلطان محمد همدان في عدة يسيرة . وعدة غير
كثيرة . فتلقاه خاصبك بقلائه مستبشراً . وبوفائه مستظهِراً . وبصفاء
ودده موثقاً . وبصفاته مجده مؤمناً . وإلى دينه راكناً . وإلى يمينه
ساكناً . وحمل إليه ما تجمل به من آلات الملك وأدواته . ومخيمات المال
ومدخراته . وخيمه وسرادقائه . والحيل العرب . والعروض والسياب . فملقت
بالنفوس نفائس أعلاقه . وسكن المسكين إلى وفاء السلطان ووفائه . وخرج
له من قشره . وأرج منه بشره . وأقيه السلطان بوجه له باشر . ولسان
لحمه ناشر . لكن ضميره للشر مضر . وفكره للفتك به مفكر . ثم انه في
اليوم الثالث من قدومه جلس في أعلى القصر واستدعى ابن بلنكري لمسارته
في التفويض ومفاوضته في السر . فجاء ومعه الأمير زنكي الجاندار ولا مير
كشطان المعروف بشملة . فلما حصلوا على سلم القصر عرف شملة العملة .
ورأى أمارات لا توافق المراد . فعاد وجذب ذيل ابن بلنكري ليعود فساعد .
ونزل وقد رهب . فركب وهرب . وأما ابن بلنكري وزنكي فلهما صمدا
فأمر فخر رأس ابن بلنكري ورمى بجثته إلى الميدان . وضربت أيضاً رقبة زنكي
الجاندار وكان كبير الشأن . وارتاعت القلوب وارتابت النفوس . وذرفت
العيون وأطرقت الرؤوس

من نجيح . طالبه « فقبض ابن بلنكري ملكشاد في دار الحسن الجاندار وهو في ضيافته . فقراد بآفته . واعتقله بمرج همدان وكان قد أنفذ الى الملك محمد بن محمود جمال الدين ايلقشت بن قايمار الحراني ونفذ ابن بلنكري لاستجلافه الامير مشيد الدين بن شاهملك ومعه وزيره الكمال ابو شجاع الزنجاني المعروف بالتمجيلي خاوند في الرسالة . وحسنوا لسلطان محمد ضد ما اراده ابن بلنكري من الحالة . وقرروا معه قتله يوم الوصول . وقالوا له لا تقبل غير هذا الرأي اتحظى بالقبول . وعادوا وقالوا لابن بلنكري « انا قد حلفناه واستوثقنا منه بالايمان . واكدنا اقسام القسم بحيث يكون حنثه ارتداداً عن الايمان » فوثق بامانهم وأمن للوثوق بهم وأرسل واسترسل . وعجل واستعجل . وأمام ملكشاد فانه تخلص من اعتقاله . وخرج نجمة من بيت وباله . وكانهم توانوا في حفظه . ووكالوه الى حفظه . وكما أغفلوا الاحسان اليه . أحسنوا بالغفلة عنه . ولم يكن لهم عندئذ في حيلهم على الانتقام منه . وصرخوا بهربه . ولم يعرضوا بطلبه . ولم يلبث في سلطنته الا شهرين أو ثلاثة ثم تقلبت به الاحوال الى ان استقر بخوزستان ملكا . وفي سلك سلوك نهيج السلامة . تسلكا



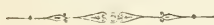
﴿ ذكر جلوس السلطان ملكشاه بن محمود ﴾

.....

قال : لما توفي عمه اجتمع المسكر على نصبه . وعقد حبي الاعتقاد
 حبه . واجلسوه على السرير وأطاعه الامراء وأتمروا بطاعته . وتينوا بيومه
 وسعدوا بطاعته . وتفرد ابن بلنكري على عادته ومساعدة سعادته . بالامر
 والنهي والحل والمقد . والقصر والمد . والقبول والرد . والميل الى جمع المال .
 وجباية الاعمال . والحاق ذوي الاثراء بذوي الاقلال . واشتغل ملكشاه
 بالانتهاء في القصف . والانهتاك بالمزف . وفوض الامور كلها الى ابن
 بلنكري . وكان من فلك ملكها في أوج المشتري . واعتلق بنجحه . ووثق
 بنصحه . وما درى انه يخسر من ربحه . ويظلم بيومه بطلوع صبحه . فان
 ابن بلنكري طرب فبطر . وخطر بضيره ان يضر الخضر . وجمع الامراء
 وكبيرهم احسن الجاندار وقال لهم « هذا سلطان لا يفلح . والملك لا يصلح .
 فانه غر ذو غرور . وغمر جاهل بالامور . قد شغلته الخمر عن الامر .
 وأغناه الحشف عن التمر . وأنا أرى من الصواب ان نخليه . ونستدعي أخاه
 محمداً ونوايه » فلم الامراء ان خاصبك كالباحث عن حقه بظلفه . والجالب
 النكر الى عرفه . وكانوا قد كرهوا استيلاءه . وسئموا استعماله . فوافقوه
 على الرأي الرائب . وعدوه من المواهب . وقالوا لعل الملك اذا تولد حازم
 جازم . وعاقل بمصالحه عالم . انتهى له من هذا العادي . وشفي بسداد غليل
 الملك الصادي . فتالوا الخاصبك « عجل هذا الامر قبل ان يفتن به فتايس

العراق وترافق السلطان وخائبك ولم يتفارقا . وتوافدا على الترافد وتوافدا
وكان خائبك فرحا باختصاصه . ومنذ كان ماخلى صاحبه من حبه
واخلاصه . فوصلا الى همدان وانقضت سنة ٥٤٦ هـ صافية عن القذى . كافية
للأذى . ماضية مع الغنى . مضية السناء . ولم يلما ان سنة سبع بسنها كالسبع
عضوض . وان كل ما أبرمه اليوم الزمان غداً منقوض . وان الحياة محتومة
وان الوفاة محتومة . وان عمران العمر مهديم . وان سر القضاء مكتوم .
فلم يزل مسمود مسموداً حتى عاجله القدر . وما أجله الاجل . وأصابته علة
الغثيان والقيء فما سلمت حتى أسلمت نشره الى الطي . وشمس به الى الف .
وجهد في آخر جمادى الآخرة ذوبه . ونجد ضراوه وأقلع صوبه . وكان
مسمود ضخم لدسية . جم الصنمية . لكنه يصطنع الاراذل . ويرفع
الاسافل . وكان كثير الاتكال . على استمرار الاقبال . قليل الاحتفال .
بتكايد الرجال . دائم الاغضاء عن ذميم النعال . لا يضر لمدو سخية . ولا
يقبل في ولي نعمة . واتفق قبل وفاته ان اخاه سليمان شاد كان بقلمه قزوين
معتقلا . وكان عليه بالحوط . مثقلا . فواطأ . مستحفظا . وفق الخادم على
الخروج بعد موت أخيه لطالب السلطنة . واتصاله بذوى الأيدي المتكئة .
وكان الملك المكشاه بن محمود . قد اتصل بعمه مسمود اليه لاجيا . ولآلائه
راجيا . وقد أجمل اليه . واشتمل عليه . وهو حاضر حين حضره الحسين .
وغارت وغاصت العين والعين . ولا بد ان يقطع بين المتواصلين البين .
ودفن بهمدان في مدرسة بناها جمال الدين اقبال الخادم الجاندار

وقتلوه وحز رأسه . وشهدتلك النصره الاسلام قواعد وآساسه . وفي سنة ٥٤٥هـ أسر التركمان جوسلين وسلموه الى نور الدين ونزل الملك محمود ابن قلعج ارسلان على تل باشر وهي مع جوسلين ونزل نور الدين بعد أسر جوسلين على قلعة عزاز وفتحها بالامان . وفي يوم الخميس الخامس والعشرين من شهر ربيع الاول سنة ٥٤٦هـ تسلم الامير حسان المنبجي تل باسر بالامان . وفي سنة ٥٤٦هـ أغار عز الدين على بن مالك صاحب قلعة جمبر على أطراف الرقة ففزعوا اليه وأدركوه وقتلوه . وجلس مكانه في القلعة شهاب الدين مالك ولد عز الدين .



ذكر ما تجدد من الملك ملكشاه بن محمود

وفاته السلطان مسعود

.....

قال : اغار في ربيع الاول سنة ٥٤٥هـ ملكشاه بن محمود على أصفهان وساق بعض مواشيها . وصار يغاديا بالاخافة ويماشيها . وكان فيها نجم الدين رشيد واليها . فانهض السلطان اليها شرف الدين كردبازو وضم اليه جماعة من الامراء . فلما وصلوا الى أصفهان راسلوا الملك ملكشاه وقبحوا له ما استحسنه . وتحركوا اليه بما سكنه . وتحمل له رشيد بمال حمله وسيره اليه ورحله . ونزلت السكنينة وسكنت النازلة . وأسبل الامن وأمنت السابلة . وشتى السلطان مسعود سنة ٥٤٥هـ ببغداد غائضا مع لداته في لذاته قانصاً من العيش فرصاته . ثم رحل عنها رحييل مودع فلم يعد بعدها الى

واغذ الى خراسان التأريب والاساد . ورجع السلطان واستصحب خاصه بك
والوزير الاصم . معه الى بغداد . واقام تلك الشتوة بها في رفاعة وفراغ . وصباح
صباح ومساء . مساع . وكان مع سنجر كبراء امرائه مثل المؤيد يرتقش
هر يوه والملك على البحري وسنقر العزيزى وغيرهم من عظماء عسكره
وخواص . عشره

ذكر حوادث في تلك السنين

قال رحمه الله : توفي السادس من شهر ربيع الاول سنة ٥٤٣ هـ نزل ملك
الامان بجمع عظيم من الفرنج على دمشق وحاصرها واشرف المسلمون فيها
على اليأس ثم منعها الله تعالى ورحلوا عنها بعد اربعة ايام خائبين هائبين .
خامسين خاسرين . وفي اوائل جمادي الاولى من سنة ٥٤٤ هـ توفي الامير
غازى بن زنكى صاحب الموصل وتولى اخوه قطب الدين . ودود . وجمال
الدين الجواد وزير على حاله وزين الدين على كوجك متولى العسكر
ورجاله . وتوفي الحافظ متولى مصر في خامس جمادي الاولى من هذه
السنة . وتولى بعده ولده الظافر . وفي موسم سنة ٥٤٤ هـ وقعت زعب ومن
تابعها من العرب على قافلة الحج عند قفولها من مكة الى المدينة فاهلكت
الناس . واحلت بهم البؤس والبأس . وعظم مصاب المسلمين في الآفاق .
ونجا من الآلاف آحاد بآخر الارماق . وفي الحادى والعشرين من صفر
سنة ٥٤٤ هـ كسر نور الدين محمود بن زنكى على انب من الشام ابرنس انطاكية

وكان به عمش . وبوزير السلطان طرش . وأمر الدين والدولة بهما منتظما .
وشعب الخلافة والسلطنة بكفائتهما ملتئم .

ذكر وصول السلطان سنجر بن . ملكشاه الى الري

في أواخر شعبان سنة ٥٤٤

.....

قال رحمه الله : لما عرف سنجر ما تم بالعراق من اغتيال النفوس .
واقبظاف الرؤس . واستيلاء خائبك على خواص الاولياء . وانضاء السلطان
في مهد الاغتيال . وخدعه بالاطاف خدع الاطفال . قال « لابد من
الادراك والاستدراك . والامساك والاستمسك . وتهذيب المستعلى .
وتعذيب المستولى . واخفاء الشر الالبح . واطفاء الشرر الالبح » فنهض على
كبر سنه ووصل الى الري في صميم الشتاء وقرها في قره فأجفل مسعود بن
همذان راحلا على سمت بغداد فثنى عنانه شرف الدين الموفق كردبازو وقال
له « أنت اسنجر مقام الولد . والاولاد بير الآباء فازوا . وما أسعدهم اذا
حصلوا رضاهم وحازوا » فسار الى الري معه . وابن ابن بلنكري أن يتبعه .
واقام هو والوزير الاصم بهمدان فلما بصر سنجر بمسعود قدومه وأكرمه .
وقر عينا به وقر به . وتحدث معه بما تحببه . ورضى عنه وماعته . ونسى كل
ما ذكره . وادبر عن كل ما دفعه . وشفع السلطان في خائبك فأجابه . وذكر
له فعله فاستصابه . فما أمر بمعروف ولا نهى عن نكر . ولا أبدل شكوى
بشكر . ولا كشف ظلامة . ولا كف قلامة . لكنه ودع ابن أخيه وعاد .

ثامنين ألف دينار ايرحلوا . وفصلوا الامر على المبلغ لينفصاوا . فاستشار الخليفة الوزير وأرباب المناصب في انه هل يبذل لهم الذهب . وهل يحتمل للراحة منهم التعب . فما فيهم الا من عجل بالمذل . للتأني في البذل . فاخرجت العين . فأشار ابن هبيرة وهو يومئذ صاحب الديوان بضد ما أشاروا . وصار من الراي الى غير ما صاروا . وقال للامام « هؤلاء خرجوا عليك وعلى السلطان . وجاهر وكما بالعصيان فاجعل بالله الاستجارة . وقدم منه الاستخارة . وأنفق ما عزمت على بذله لهم . في عسكر يقاومهم ويدفع شرهم . فالك إن دفعتهم بالعطاء لم تسلم من عتب السلطان مسعود . وان هزمهم باللقاء قلت له اني قلت جنود عصيانك من اهل طاعتك بجنود . وانت لا تحمد على ما تحمل . ولا تشكر على ما تعمل »

فقبل الخليفة رأيه ولم ير خلافة . وجمع حينئذ وجند . وحشرو وحشده . واستخدم من البطالين ابطالا من المقاتلة المقابلة المبطلين . وفرق المال ومال اليه الفريق . وأنفق فنفق في سوق تفويقه التوفيق . وصار من ذلك اليوم للخليفة جند مهيب . ونار لحسا في أفئدة العدى لهيب . فردّ هؤلاء الاردياء بالحد الحديد . والجد الجديد . وقال « اني أري المشورة الهبيرة أرياً مشوراً . وصوب صوابه لري الرأي مشكورا » . فجاء به وزر عليه جيب الوزارة . ولم يزل عنده مودود الشارة . مقبول الاشارة . وذلك يوم الاربعاء الرابع أو رابع عشر شهر ربيع الاول سنة ٤٤٤هـ . فشرع في نصر أمر الشرع . رحيب الصدر والباع والذرع . وأكرم الفضلاء . وفضل الكرماء . وعاش في وزارتي المقتنى والمستنجد ست عشرة سنة وشهرين . قرير العين . أيد اليدين

ذكر بعض الحوادث

قال : في سنة ٥٤١ هـ حج ابن جهير وزير الخليفة المقتنى فرتب صاحب
 المخزن قوام الدين بن صدقة وزيراً . وكان بيته أثيراً . ورتب في المخزن
 عوضه زعيم الدين يحيى بن جعفر ورتب بعد ذلك يحيى بن محمد بن هبيرة
 صاحب الديوان . وفي سنة ٥٤٣ هـ مات قاضي القضاة ببغداد يوم النحر وهو خفر
 الدين على بن الحسين الزينبي . ورتب بعد ذلك عوضه عماد الدين بن الدامغانى
 قال : وأما السلطان مسعود فانه ارسل الى ابن أخيه الملك محمد بن محمود
 بعد قتل بوزابه فاستدعاه . ومنَّ عليه ومَنَّاء . وزوجه بنته . وعهد اليه في
 الولاية وولاه عهد . ثم ملَّكه خوزستان ولما امن ابن بلنكري من الجواب
 عمد الى الامير الحاجب تار وقبضه وأوثقه . وأنفذه الى قلعة سرجهان واعتقله
 بها ثم خنقه . وصفاله الجوُّ فباض وصفر . وضفا عليه الضوء فاجتلى الظفر
 قال : وفي شهر ربيع الاول سنة ٥٤٣ هـ وصلت شعبةٌ من أكابر الامراء
 ومعهم الملك محمد الى بغداد محاصرين . وعلى خذلان السلطان مسعود
 لشقوتهم متناصرين . منهم شمس الدين ايلدكز والامير قيصر وملك العرب
 على بن ديبس وغيرهم . فحضروها وحصروها . فخرج اهل بغداد لردهم
 فافرجوا عنهم . حتى اصحروا ففكروا عليهم كرة اردتهم . وما ابقت عليهم بل
 افنتهم . وكانت بالقرب منهم حفرة الغساليين . وتناير الآجريين . وأتاتين
 الجصاصين . فنانجا الامن آوى اليها . وقتلوا زهاء خمسمائة نفس وجلَّ رُزءُ
 بغداد بأهائها . وأمضها مادهاها من شغلها . ثم طلبوا من الديوان الميزر

والاصطفا . وعظمه على الامراء . وأمره على العظماء . وذلك في سنة ٥٤٢ هـ

— — — — —

ذكر ماجرى باصفهان من الفتنة بعد مصرع بوزابه

— — — — —

قال رحمه الله : كان نجم الدين رشيد الغياثي والى اصفهان من قبل السلطان وهو متعصب على الشافعية فلما تم من صدر الدين محمد بن عبد اللطيف الخجندی الى بوزابه المهل . بادر بالارسال الى اصفهان الايقاع بمن خرج على السلطان وعلم ابن الخجندی نخرج منها وزحف العوام الى المدرسة فنهبوها وأحرقوا دار كتبها وتشتت بنو الخجندی فقصده صدر الدين محمد وأخوه جمال الدين محمود الموصل . وأوردهما جمال الدين الوزير من انعامه واكرامه المهل المنهل . ومضى جمال الدين الى الحج . وأقام صدر الدين وبخار جود الوزير له متلاطم الحج . ثم انصرف عنه مملوء الحقائق . محبوباً بالمواهب . وعمل في جمال الدين اياتاً من جملتها

جئت الى بابك فردا وقد خرجت من نملك في قافلة

ووصل الى اصفهان فتوفراهما على خدمته . واقترضوا اقامة حرمة . وأما جمال الدين اخوه فاني لما عدت الى بغداد لقيته وقد عاد من الحج في صفر سنة ٥٤٣ هـ . وكان قد عزم والدي على الود الى اصفهان فصحبنا دوجعتنا الطريق ووجدناه نعم الرفيق . ثم تفارقنا وسار هو مع قافلة همدان . وسرنا مع قافلة اصفهان . ثم وصل الخبر بان السلطان رضى عنه وعن أخيه وخلع عليهما . وأما الرئاسة اليهما . ثم وصلا . وعلى اضعاف ما كان لهما من الحشمة حصلا .

قرب من اصفهان تلقاه صدر الدين ابن الخجندی وفتح له ابوابها . وحمل على الاصحاب له أصحابها . فدخل دار مملكتها . ومقر سلطنتها . وأجلس المملكين على السرير الاب ارسلاني . والتخت الخسرواني . ثم خرج بهما على سمت همدان وهو لا يشك انه اذا بلغ غاب . واذا بسبل سلب . فوصل الى مرج قراتكين وهي من همدان على مرحلة واتصل به ابن عباس صاحب الري فلما عرف السلطان مسعود قربه . حزب حزبه . وقوى قلبه . وطير الى ابن بلنكري كتبه . وضيق في التأخير عذره ووسع عتبه . فوصل وقد حم الاقاء . وحق البلاء . فتوى السلطان وتسلطات قوته . واحتبي بالشدة واشتدت حبوته . ولما تقارب الفريقان . باتا ليلتهما يعميان . وبجرهما يعب . وجرحهما يشب . وريحهما تهب . فلما بدا الصباح خلف من العجاج الليل ليل . وانجر على المجرة من مجرى البحرين ذيل . وطما بما سل من الجفون سسيل وطلع في كل أفق من لمع اليماني سهيل . والتقى الصفنان . وتلاطم البحران . وصال العديد على العديد . وصال الحديد في الحديد . وكادت الكسرة تصح على مسعود . وبقي قلبه ثابتاً بين طارد ومطرود . وبوزابه قد تهور وتهجم وحمل على القلب ليقبله بحملته . ويميز تفصيله بحملته . فكبا به الفرس ففرس . واختلسه القدر فقدر عليه واختلس . وحمل الى السلطان أسيراً . فخطابه وعاتبه كثيراً . فلم ينبس ببنت شفة وأراد السلطان الابقاء عليه لشهامته . فأبى ابن بلنكري الافش هامة . فأمر السلطان بالاضراب عن رقبته . وضرب رقبته . وأمر بحمل رأسه الي العراق . وأن يطاف به في جميع الآفاق . وانجلي الغبار عن ابن عباس قتيلاً . وانهزم عسكر فارس والمسلكان موليان لايوليان . وموليان لايليان . وجلس مسعود للحناء وخص خاصبك بالاصطناع .

ويكف شره . وكان هذا من دهائه لينجو من الداهية . ويستفيد الاحكام
 اقواعه الواهية . فرحل فرحاً لسلامة . ظاعناً من وطنه الى دار المقامة .
 فاستقل بالوزارة حينئذ شمس الدين أبو النجيب وكان من قبل يخدم ابن
 بلنكري فلما سار اقام يخدم الامير الحاجب تار . مستديماً لود مخدومه
 الانتظار . فرغب السلطان فيه لاجل اختصاصه بخاصبك ولم يكن فيه من
 أدوات الوزارة الا كونه للقوام الدركزني نسيباً . خازن من منصبه نصيباً .
 وكان بزمانه شيئاً . وفي مكانه نبيها . لاثقاً بالقوم . ووافقاً للسوم . يطلب
 مرافقتهم في مرافقتهم . والتخلق بخلائقهم . والسلطان لاد بالملاهي . متناه
 في المناهي . لايسأل عما يفعل ولا يفعل مايسأل . ولا يقبل مايقال
 ولا يقول مايقبل . وعن السلطان ان يحرك ساكن الموصل ببدء
 عزمه اليها . و اظهار عوجه عليها فبادر متولوها بحمول . وتحسف
 وهدايا وخيول . فقبلها منهم . ورضى عنهم . واقام ببغداد باقي تلك
 الشتوة فلما رحل ضيف الشتاء حل السلطان حبوة مقامه . وأمر خبر خروج
 بوزابه صاحب فارس ما أحلاده من أحلامه . خففت القلوب والبهود . وقلقت
 الجنوب والجنود . ثم اغذ السلطان مسعود الى همدان سيره ليسبقه اليها .
 قبل اطلاله عليها . فانها مقام ملكه . ونظام سلكه . وطير الكتب الى خاصبك
 ابن بلنكري وهو على حصار مراغة ايقدم تلك العساكر . ويقدم اقدام
 اللث الحادر

وأما بوزابه فانه لما نعى اليه عباس وعبد الرحمن قامت قيامته . وغامت
 غماته . وكدر عيشه . وكثر طيشه . وجاش جاشه وجيشه . ونهد بالملكين
 محمد وملكشاه ابني محمود واقبل بهما كالبيرين . من جترهما في ملكين . فلما

الى الذين ساعدوه . وعقد حيي الحب لهم حين عاقدوه . وامتد الى أردبيل
مخاصرا وبها الامير آق ارسلان وأخرجه منها بالامان . ثم اشتغل بحصار مراغة
لينال منها الماراغ . وحصرها طويلا ولم يجد فيها المساع
ولما نفي الى السلطان ببغداد خبر قتل ابن طغايرك أحضر الامير عباسا
في داره ائخاوبه ويستشير به فلما خلا به أمر بضرب رقبتة . ورمى جثته .
وذلك بكرة خميس من ذى القعدة سنة ٥٤١ فركب عسكر عباس يقدمهم
الامير آق سنقر الفيروزكوهي وشقوا مدينة بغداد وساروا . ونهض الاوباش
لنهب دار الوزير وثاروا . فأركب السلطان جماعة ممنعوا من الوصول الي
داره . وبقى موقرا . وفرا على حرمة وقراره ثم أذن له في الانصراف الى فارس
مسحوبا بالصيانة مصونا بالصحبة . مرتب الاحوال حالي الرتبة . فجاء اليه وودع
ودعا . ورعى له السلطان حق مارعي وتلا (وأن ايس الانسان الا ماسمى)

مؤ ذكر وزارة شمس الدين بن النجيب الاصم الدرگزني

...

قال : وحفظ السلطان حرمة الوزير تاج الدين فلم يتعم شمس الدين
الوزير بوزارته . حتى انصرف الوزير بجاهه وماله وحرمة . وحشمة
ونعمته . ولم ير وزير للساجقية صرف ولم ينكب في نفسه أو في ماله سواه
ولانه كان يرجو منه استمالة الامير بوزابه وتحصيل رضاه . فانه لم يشك في
حركته . والابتلاء بمركته . فضمن له تاج الدين بن دارست ان يكفيه أمره

في شفاعته بدجلة بحيث يسمعه . والعباد يفتن الناس بما يبدية من سحره
ويبدعه . وحضرت مدة مقامى ببغداد جميع مجالسه أكتبها من لفظه .
وأقبل عليه الامام المقتدى وقبلة . ورفعته وبجمله . وأمره بالجلوس في جامع
القصر في موضع يقرب من منظرته . ليجلس حيث لا يراه وهو بخضرته .
وانبثت بدائمه وبدايمه . واشرقت بنجح مطالبه . مطالمة .

ذكر ما جرى من الحوادث التي انحلت بها تلك العقود

واختلت تلك العهود

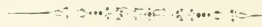
قال رحمه الله : وصل الخبر بقتل الامير عبد الرحمن بن طغيارك بأرانية
وكان من قدر الله سبحانه انه استصحب معه خاصبك بلنكرى ليبيده عن
الخدمة السلطانية غير مكترث به وكان مع خاصبك امر من السلطان سرافى
الفتك به ان خلت عرصة . أو أمكنت فرصة . فركب ابن طغيارك يوماً
لتجهيز العساكر الى غزاة الكرج ووقف منفرداً في ذلك المرج . وهو
يسير أميراً أميراً . ولا يمكن من المقام كبيراً ولا صغيراً . وابن بلنكرى
واقف لا يريم . وهو لبرق مايشيمه من عارض الغمديشيم . ومعه الامير
زنكي الجاندار فتقدم وأقدم وضرب رأس ابن طغيارك بسوط حديد شدخه
وفشخه . واستصرخ بأعوانه فعدم مصرخه . وضرب بعد ذلك بالسيوف .
وتفرقت عنه جموع تلك الصفوف . وتغلب ابن بلنكرى على أرانية فأحسن

وتقرر ان يكون احد الثلاثة بالنوبة ملازماً لخدمة السلطان حتى يسلم لهم جانبه .
وتؤمن نوابه . وانفصل الامير بوزابه الى بلاد فارس ورحل السلطان الى
بغداد ومعه الامير عباس صاحب الري في شركة مائة . وهيئة رائعة

قال : ولما قدموا ببغداد في خريف هذه السنة خرجت مع الفقهاء لتلقيهم
والناس مشتغلون على تخوفهم منهم وتوقيهم . فلما حلوا ببغداد نزلوا دورها
وسكنوا للتخريب معمرها . والهبوا السكروب . وأرهبوا القلوب . وكانت
هذه عادتهم اذا وصلوا . وعاديتهم اذا نزلوا . فتمكن الاتراك لا يتركون
ممكنا من الجهل . وعذروهم ان الظلم من العدل . واسكن الوزير نزل في دار
الوزارة بالاجمة . متواخيا بالمكرمة . وأمر بتجديد عمارة المدرسة التاجية
التي بناها خاله الوزير تاج الملك أبو الغنائم بن درست ببغداد وأوطنها شيخنا
شرف الدين يوسف الدمشقي فاحيي دريسها بدروسه . واشرق فقها بنجوم
العلم وشموسه . ورتب الوزير في داره مجالس للختمات . وحضور أئمة الفرق
وفقهاء المناظرات . ولم يعارض السلطان في شيء من أوامره وأمره .
وابتسمت الدولة بأسفاره وسفوره . لكنه مع تقاصر مدته أمر ولا أحلى .
ولا شغل ولا أخلى . ولا عزل ولا ولى . كل ذلك طلباً للسلامة . واستقاء
لماء الاستقامة . وعلماً بوخم العقوبة . وألم المعاقبة . فلا جرم توفرت الدواهي
على حبه . وفرت العوادي من حربه وحزبه

قال : وفي هذه السنة قدم الامير العالم قطب الدين أبو منصور المظفر
ابن اردشير العبادي الواعظ فاعجز بالفصاحة وأعجب . وشرق بأنوار البلاغة
وغرب . وأنا اذكر وقد حضرت مجلسه وقد وضع له منبر على شاطئ
دجلة والسلطان مطل عليه من أعلى مكان والامير عباس صاحب الري جالس

فقدم المعسكر السلطاني في عسكر ضخم . و تقدم تخم . واتصل به الامير عباس صاحب الرى في عدة وعديد . وبأس شديد . واتفق هؤلاء الثلاثة ابن طغايرك وبوزابه وعباس على تدبير الدولة وتقرير قوانينها . وترتيب دواوينها . وكف عادية المتسلطين عنها . وتوفير حظوظهم بالاستقلال بها . فاحوجت السلطان الضرورة الى النزول على حكمهم . ورأى السلامة في ساءهم . واقسم على رضاهم ورضى بقسمهم . فأول ما فعلوا انهم عزلوا وزيره . ونقلوا الى الوزير الذى ولوه تدبيره .



ذكر وزارة تاج الدين ابن دارست النارسي



قال : كان ابن دارست وزير بوازبه صاحب فارس فرتبته في وزارة السلطان ليصدر الامور على مراده . ويورد على وفق ايراده . وكان هذا الوزير رفيع القدر . وسيع الصدر . محبا للخير . بغضا للشر فافعل امرا ينقم عليه . ولا احوال حال لا يتوجه لاجلها الالائمة عليه . ونائبه أمين الدين أبو الحسن الكازروني ذو الدين المتين . والحلم الرزين . والاستهتار باعمال الشر . والاشتهار بافعال الخير . وتولى ديوان المرض والد الوزير عضد الدين وهو جميل بمحل لمذهبه . مهذب مذهب لمنصبه . وأقروا ولاية آذربيجان وارانية جميعها على بن طغايرك عبد الرحمن . وقرروا ابعاد خاصبك بن بلنكرى عن السلطان . فسار في خدمة ابن طغايرك اميرا . وصحبه في ضمائر الخلاء ولم يخلص في صحبته ضميرا .

أظنهم وقد عزموا ارتحالاً شئوا عنا جَمالاً لا جِلالاً
سروا والصبح ببيض الحواشي فلما حال عهد الوصال حالاً
أخلائى وهل في الناس خل به أخلى من الأشجان بالاً
لئن لم أشف صدري من حسودي ولم أذق العدى داء عضالاً
فلا أدركت من أدبي مرأماً ولا صادفت من حسبي منالاً
ولا وَاخَدت اليمم بي جمالاً ولا واليت مولانا الجمالاً
وقائلة أنى الدنيا كريم سواد فقلت لا وأبى العلالاً
قال : ولم يقنع بما جاد به لوفود . حتى زم الى البلاد ركائب الجود .
فجعل لكل بلدة من بلاد الاسلام من واهبه راتباً . وأصبح جوده في الآفاق
الى المتقين سائراً وللطالبيين طالباً .

✽ عاد الحديث الى ذكر ما جرى للسلطان مسعود ✽

✽ ابن محمد بن ملكشاه بعد . وت جاولى في سنة ٥٤١ ✽

قال رحمه الله : ولما توفي جاولى جاندار طمع الامير الحاجب الكبير
نفر الدين عبد الرحمن بن طغايرك في تولى بلاد ارانية وأرمينية وعرف انه
لا يتمشى له ذلك مع تسلط خاصبك بن بلنكرى فتوسل في استمالة الامير
بوزايه صاحب فارس الى السلطان ليتم له مراده بتوسطه وأرسل الي الامير
الحاجب تار وهو عند الامير بوزايه ان هذا أوان قدومه . وزمان هجومه .

فانه كان يقتنع بأقواته . وترجية أوقاته . ويرفع جميع ما يحصل له لي خزانة
 زركي استبقاء جاهه . واستعلاء به على اشباهه . فمكفنه زركي من أصحاب
 ديوانه . ففهم من استضرر بإساءته ومنهم من انتفع بإحسانه . ولما قتل زركي
 صار للدولة الآتاكية ملاذا . وللبيت لاقتنرى معاذ . واستوزره الامير
 غازي بن زركي وأزره على كوجك على وزارته . وحلف له على مظاهرته
 ومضافته . فأجرى بحر السماح . ونادى على الفلاح . فصاحت بأفضاله
 الفاظ النصاح . وأتوا اليه من كل فيج عميق . وقصد من كل بلد سحيق .
 وقصده المظاء . ومدحه الشعراء . ومن وفد اليه ومدحه أبو القوارس
 سعد بن محمد بن الصيفي المعروف بحيص بيص . قال : وأنشدني لنفسه من
 قصيدة أولها

يالِ الصوارم والرياح الذَّبلُ نصرًا ومن أنجدت ما لم يخل
 لو شئت ما ومشية بمشية جاد الزمان وبالعلي لم يخل
 أنا فارس اليومين يوم مقالة ووغى أصول بصاري وبهتولى
 ومنها يعف بناء لسور المدينة وعمارة قبر

وتقر عين محمد بمحمد محي دريسني عامه والمنزل
 مرقده وحافظ دينه ومعين أمته بجد مسبل
 خرق سباط قميصه ورداءه بعباب زخار وهضبة يذبل

قال : وكنت أنا في ذلك العهد ببغداد متفقا واتفق حضوري بالموصل
 في ذي القعدة سنة ٥٤٢ هـ فحضرت عند جمال الدين بالجامع في جمعتين .
 وتكلمت عنده مع الفقهاء في مسألتين . ومما مدحته به من قصيدة أولها
 وذلك من أول نظمي

- ذكر حال جمال الدين الجواد أبي جعفر محمد بن علي -

ابن أبي منصور

قال رحمه الله : كان والده من أصفهان الكامل عليّ وهو حاجب الوزير شمس الملك بن نظام الملك وكان أبوه أبو منصور فهادا في عهد السلطان ملكشاه بن الب ارسلان وابنه الكامل نجيب . أديب لبيب . وزادت أيامه في السموّ . وأيامه في النمّو . حتى تنافس في استخدام المملوك والوزراء واستضاءت برأيه في الحوادث الاراء . وكان قد زوج بنته لبعض أولاد أخوال العم العزيز فاشتمل لذلك العزيز رحمه الله على ولده جمال الدين أبي جعفر محمد وخرّجه في الادب . ودرّجه في الرتب . فأول مارتبه في ديوان العرض السلطاني الممودي محلياً . فبرز في تلك الحلة سابقاً ومجلياً . وغلب في تحليته ذكر الابلج . فنعته الاتراك بالابلج . واستقام في نجابته على المنهج . واتفق انه لما تولى زنيكي بن آق سنقر الشام تزوج بامرأة الامير الاسفهلار كند غدى وولدها خاصبك بن كند غدى من أمراء الدولة وأبناء المملكة . وهو يسير معها فرتبته الوزير جمال الدين خاصبك وزيراً فسار في الصحبة وكان مقبل الوجاهة . مقبول الفكاهة . شهى المشاشة . بهي البشاشة . فتوفرت مني زنيكي على منادمتة . وقصر صباحه ومساءه على مساهمتة . وعول عليه في آخر عمره في اشراف ديوانه . وزاد المال وزان الحال بتمكينه ومكانه . فلم يظهر من جمال الدين في زمان زنيكي جود . ولا عرف له موجود

واستعجل الخبر وسبق الى الموصل قبل وصول الجماعة . ولما عرف جمال الدين بوصوله سبق أيضا الى الموصل وبقى الملك منفردا فاستوحش . وتشور في رأيه وتشوش . وركب صوب الجزيرة مفارقا . والى حلبة النجاة مسابقاً فسيروا وراءه من وثق بتوفير أمانته أمانه . وخيلوا له ان قد عاد انقوم غلمانہ . وان غازيا اذا كنت معه اخذ البلاد باسمك . وجعل الممالك برسلك . وما زالوا يحدثونه بالخطر والحتل . الى قلت القتل . فانه عاد معهم ودخل الموصل في استقبال ونشار . واعظام واكبار . حتى دخل الدار . وخال الاستقرار . فما أجلسوه . حتى اختلسوه . وما رسموه . حتى رسموه . وكنتموا أمره . وختموا عمره . وجرى بين جمال الدين الوزير وبين زين الدين على كوجاك وسيف الدين غازي التعاقد . على التعاضد . والتماهد . على التساعد . وتولى جمال الدين وزارة الموصل واستولى . وكان باسترعاء ما أولاد الله من نعمه أولى . وانه عاش بندا الجود . وعشا الى ناديه الوفود . وعادت به الموصل قبلة الاقبال . وكعبة الآمال . فانارت مطالع سموده . وسارت في الآفاق صنائع جوده . وعمر الحرمین الشریفین وشمل بالبرأهلها . وجمع بالامن شملها .



ساكنون . وكان اسمه يرتقش نخف اليه . وبرك عليه . وفرشه على فراشه
وغشيه في غشاشه . وذبحه في نومه . ولم يكن عنه ذب قومه . وخرج ومعه
خاتمه . وهو لا يرتاب به لانه خاص زنى وخادمه . وركب فرص النوبة
موها انه في مهم . وقد ندب لكشف لم . وأهل القلعة في أضيق شدة
وأشد ضيق . وكلهم لباس المطيف بهم غير مطيق . حتى أنهم الخادم فتحدث
بما احدث . فأشاعوا قتل زنى من القلعة . وارتاع الناس لما هالهم من
الروعة . وركبوا ولبسوا السلاح . وركبوا تلك الليلة لامرهم الى الصباح .
وزحف بعضهم الى خيمة جمال الدين محمد بن على بن أبى منصور فرمى بالنشاب
وحصل من امره في الاضطراب . فقصده من حماه من الامراء .
وشاركة في تصويب الاراء . واتفقوا على ان يبادر نور الدين محمود بن
زنى الى الشام . للحوطة على ثغور لاسلام . فسار معه أولياؤه . وكبراء
الشام وأمرائه . وكبيرهم صلاح الدين محمد اليعنسانى وسار معه أسد الدين
شيركوه . وانحازت اليه الاعيان والوجوه . فملك حلب . وبلغ المراد وغلب .
وافترض القنوجات الابكار . واستخلص من الكفار الديار

وأما الوزير جمال الدين محمد بن على بن أبى منصور فانه لما بعد عنه
من كان يحذره . وعرف الامر ممن كان ينكره . ضم العسكر واستمال
الملك الب ارسلان وأطمعه في المملكة . وحثه على الحركة . وكاتب زين الدين
على كوجك بالموصل على ان يستدعى سيف الدين غازيا اكبر أولاد زنى
وكان لا يفارق خدمة السلطان مسعود بأمر والده . امنابه من غوائل القصد
ومكايده . فكتبوا اليه بالواقعة . وأشاروا عليه بالمسارعة . فاتفق وصول
الخبر اليه بشهرزور . وقد انفصل عن السلطان بدستور . فأغذ السير

عن الدين على بن مالك بن سالم بن مالك ونازلها . وقابلها وقتلتها . وأحاط بسورها
 المعصوم احاطة السوار بالمعصم . وربض على ربضها في مجثم الخيم . ولج في
 الحصار وهو مستظهر بالانصار . مستنصر بالاستظهار . ومتكثر بالاستعداد
 معتد بالاستكثار . مغرور بالدهر . مسرور بالقهر . يظن ان القضاء بحكمه .
 وان القدر خصم خصمه . وأهل الحصن قد اشفوا منه على الدامغ الدامر .
 وقد بلوا من وبلى وباله بالهامل الهامر . فأتاهم الفرج من حيث لم يحتسبوا .
 ووافاهم الفرج من حيث لم يكتسبوا

وذلك ان زنكيا كان اذا نام ينام حول سرير علة من خدامه .
 يشفقون عليه في حالتي يقظته ومناومه . يذودون عنه ذود الآساد في ملاحمه
 ويزورونه زور الخيال في احلامه . وهم من الصباح الروق . في حسن الصباح
 لدى الشروق . وهو يحبهم ويحبونهم . ولكنه مع الوفاء منهم يحفونهم . وهم ابنا
 النحول القروم . من الترك والارمن والروم . وكان من دأبه انه اذا نقم على
 كبير ارداه واقصاه . واستبقى ولده عنده وخصاه . واذا استحسن غلاما
 استدام مروديته بالخصى والسئل . وفاجأه ووجأه بقطع النسل . فهم على
 انهم من ذوى الاختصاص . يتهزون فيه فرصة الاقتصاص . فنام تلك الليلة
 اليهم مستنجا . والوثوق بهم مستديما . وهو صريع الراح . نزيل الاقداح
 فغلبه نعاسه وملسه رقاده . وحوله ممالكه مرده ومراده . فانتبه وهم قد
 شرعوا في اللعب . وأخذوا في الشرب والطرب . فزبرهم وزجرهم . ومنعه
 السكر من الكلام حين أبصرهم . خرك رأسه يتوعدهم . وهينم بلسانه
 يتهدهم . ولم يدرك ان تحريكه للرأس سبب قطعه . وان نزوله على القلعة بالنازلة
 خاتمة قلعه . فتولى كبيرهم الامر والباقون ساكتون . وتحرك ورفقاؤه

فركب نصير الدين بكرة على عادته . وهو يزعم ان ادارة الفلك بارادته .
واخترق المدينة ووصل الى الدار التي فيها الملك للتسليم فلكت حشاشته
حاشية الملك . وقطعت سلك حياته في طريق الدهليز المنسلك . ومزقوه
بسيوفهم ومزعوه . وضربوه بسكاكينهم وبضعوه . ونادوا بشعار الملك
واركبه . وذلك في أواخر سنة ٥٣٩ وتشوش البلد وخاف أهله العاقبة .
وحذروا من زني سطواته المعاقبة . فخرج القاضي تاج الدين يحيى بن عبد
الله الشهرزورى وجاء الى الملك وهناه . وسهل له الصعب مما جناه . وقال
له « نحن قدامك . وقد صرنا ممالكك وخدامك . فسر في المدينة واسلكها .
وادخل القلعة واملكها » فركن الى قوله . وسكن بحوله . واحدق به الجند
كلهم في خدمته . وصوبوا له سداد غزيمته . حتى صعد الى القلعة فأجلسوه
في المركز . وأحاطوا به احاطة الدائرة بالمركز . والتقطوا ممالكه من حواليه
وأفردوه واحتاطوا عليه . ولم ير له بعد ذلك أثر . ولم يسمع له خبر . ولا شك
انه بعد ما احتيل عليه اغتيل . وبعد ما استنزل أزيل

وولى زني الموصل بعد جفر زين الدين على بن بكتكين المعروف بعلي
كوجك فنظم السلك ونهج المسلك . وتلافى واستدرك . ووصل زني بعد
ذلك الى الموصل فاستصفي أموال جفر واستخرج ذخائره . واستنظف أوله
وأخره . وصادر أهله واقاربه . وأحل بنوابه نوابه . وسلبهم القوة والقوت .
ونوع عليهم جوره الممقوت . ثم عطف زني على الملك الآخر الب ارسلان
فاستخرجه من معقله . وعنى بتفاصيل امره وجملة . وضرب له نوبية ونوبا .
ورتب له في حالتي جلوسه وركوبه رتبا . واغرى بتولى اكرامه وتوخييه .
وغرضه خفاء ماجرى من هلاك اخيه . وقصد حصار قلعة جمبر وصاحبها

ذكر مقتل جعفر نائب زنكي بالموصل

قال : كان مع زنكي ملكان من أولاد السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه أحدهما يسمى الب أرسلان وهو في معقل من معاقل سنجار . والآخر يسمى فرخشاه ويعرف بالملك الخفاجي وهو بالموصل . وكان هذا الملك مسلماً إلى الأمير ديبس بن صدقة فانتزعه منه زنكي في حرب . وأنزل من أكرامه في منزل رحب . وكانت الخاتون السكمانية زوجة زنكي تربيته وتربيته . وتجري به في حلبة تجريبه وتجريه . حتى بلغ وأدرك . وساكن فطنته تحرك . وفهده المرأة غير مرة وأهدته . وعاهدته على الوفاق وعلى الوفاء عهدته . وتأسد الشبل وضاق به عرينه . وشمخ عرينه . وكان نصير الدين جعفر نائب زنكي بالموصل للدماء سفكا . وبالفوس فتاك . يأخذ البرى بالسقيم . ويلحق الولود بالقيم . وقيل انه لما أحكم سور الموصل . واحترز بالحفظة منه على المخرج والمدخل . وأعجبه كمال أحكامه . وملاك أحكامه . ناداه مجنون نداء عاقل وقال (هل تقدر أن تبني على الموصل سوراً يسد طريق القضاء النازل) فدار المنجنون بتصديق ما قال المجنون فانه لما أحس من الملك نحس الملك صار يقبض عنانه . ويبسط فيه لسانه . ويقول (إن عقل والا عقلته وان نقل طبعه والا نقلته) فسمع الملك ما راعه . وأسرده في نفسه وما أذاعه . فقدر ودبر . وفكر ومكر . وجمع اليه من حوله . وقال لهم فكتموا قوله . واتفقوا على انه اذا جاء الى سلام خاتون أو سلامه . أحيط به من خلفه ومن قدماه . فاذا أصابوا منه المقتل . ملكوا الموصل .

الذى توفى فيه جاولى جاندار بزنجان فانما ذكر جملة من أموره الى ان قضى الله عليه بمقدوره

— ذكر زنكي بن آق سنقر في آخر عهده —

قال : كان جباراً عسوفاً . بنكباء النكبات عسوفاً . نمرى الخلق . أسدى الخلق . لا ينكر العُنف . ولا يعرف العُرف . قد استولى على الشام من سنة ٥٢٢ الى ان قتل في سنة ٥٤١ وهو مرهوب اسطوه . مجفوف لجفوه . عاد عات . حثف عداة ورعاة . لكنما ختم الله له في آخر عمره بالسعادة وبالشهادة . ووفقه لاجهاد الذى هو أفضل أركان العبادة . وهو الذى فتح الرها عنوة . واحتل بها من السعادة ذروة . وذلك يوم السبت السادس والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٥٣٩ فتسنى بفتح الرها للمسلمين . جوس بلاد جوسلين . وعاد جميعها الى الاسلام في عهد ولد زنكي نور الدين وصارت عتود الفرنج من ذلك الحين تنفسخ . وأموورها تنفسخ . ومعاقبها تفرع . وعقائلها تفرع . ثم ان زنكي بعد فتح الرها نزل على حصن البيرة وهى على الفرات . وهو مشحون بالفرنج العتاة . فجاء الخبر بان نائبه بالموصل وهو نصير الدين جفر قتل . فترك الحصار وارتحل .

فتألم عرقه وتورم . ودجا أفقه وأظلم . وكان سرّيان الورم من شريانه .
وصعد فيه الدم بعد جريانه . وتجاوز من عرقه الى حلقه وصدره .
وانتقل الى بطن الشرى من ظهره . وكانت وفاته بزنجان في جمادى
الاولى سنة ٥٤١ هـ وفي ذلك يقول زين الدين المظفر بن سيدي الزنجاني
من قصيدة

عشرون الف مهند قد أصابت فلت مضاربها نكابة مبعض
وقيل ان في الليلة التي توفي فيها جاولى جنّدار قتل زكي بن آق سنقر
بالشام . وكان كلاهما قطباً يدور عليه فلاك الاسلام

قال : والصحيح ان زكي بن آق سنقر قتل في شهر ربيع الآخر من
السنة على قلعة جعفر قبل موت جاولى بايام . ولكن تدانى موتهما . وتنادى
فوتهما . ومن قبلهما كانت وفاة سعد الدولة يرئش ووفاة قزل أمير آخر
وكان قد قتل من قبل ناصر الدين قتلغ ابه البازداري فتقاربت منايهم .
وتبدلت نقودهم بنسايهم . وصاروا أسماراً . وعادوا اخباراً . ولما اخترم جاولى
انحلت تلك المعاهد . واختلت تلك القواعد . وتفرق ذلك الجمع . وتشوش
ذلك الوضع . وعاد كل طائر الى وكره . وكل صاح الى سكره . وآمن
السلطان من أمه . وأقبل اليه من قبله . وعاد الامير تتر الى السلطان ابوزابه
متوسطاً . ولتمكينه مشترطاً . وكان ذلك برأي الامير الحاجب الكبير نخر الدين
عبد الرحمن بن طغايك وعملت سعادة السلطان عمله . وقدر الله له ما لم يجر
بخطره أمه

قال : وحيث أجرينا ذكر زكي بن آق سنقر وقتله بالشام في التاريخ

مستغرق لشقيق « فعاد جاولى الى همذان وتسلم من الاثير بن عيسى المال . وسير على جماله تلك الاحمال . وندب معها مائة فارس من عسكره الى اصفهان وكتب الى الامير غلبك واليهما ان يضم لحفظها الي فرسانه الفرسات . فلما وصات خزانة بوزابه اليه عقد على الود الخنصر . وزكى فى الوفاء والوفاء منه الخنصر . وتعاقدا على المعاهدة . وتعاهدا على المعاودة . وابن بوزابه يأتى بالملك محمد بن محمود متى اراد . وان يجعلا مهمتهما الجمع والاحتشاد . وعاد كل واحد منهما الى مركزه . واحتفى على السلطان بتميزه . وتأكدت بين جاولى وبين السلطان الوحشة . ودبت الى أعضاء المملكة بسبب فتور اعضادها الرعشة . واعتلت المقائد . وانحلت المعاهد . ولما تمادي الامر . تبدى السر ووقع الشر . فانفذ جاولى الامير تار الى بوزابه بفارس يستعجزه الوعد . ويستنجح منه القصد . واقام بيمانج ومعه جميع اكابر الامراء والرسل نترى منهم الى الامير تار لاستحثاث بوزابه بالاستدعاء .

واقام جاولى مدة ينتظر . وفى تدبير الملك يفكر . فكان من قضاء الله ما لم يكن فى حسابه . ودنا الاجل الذى فى كتابه . وكان نخر الدين بن طغايرك لما عرف توجه الامير تار الى فارس لاستنهاض بوزابه شخص اليه بنفسه من جانب السلطان ليصدد عن الورود . ويرد عن الصدود . وتمادى على جاولى المقام له بظاهر ميانج واجتمعت عليه العساكر العظام . وازدحف اللقيف والتف الزحام . وكان فى اثني عشر ألف دارع وكانت معه عساكر ارانية وارمنية نخيم على زنجان . وحتم على عزم همذان . وكان بيديده زمام الزمان . وهو اصم عن حديث الحدثن . وكان قد افتصد . لغير مرض عرض . ثم اصرف على عادته بيده فبسط وقبض . ونزع فى قس فتألم عمرقه

علم ان بوزابه وعباسا يفترقان . وانهما يمدان بائهما يمدان . فرحل بالمسكر الى مدينة سجاس مع جاولى على عزيمة الاسراع والاتباع . والسلطان وخواصه على حالة من الارتياب والارتياح . فقال لجاولى « انهض انت وراه بوزابه فالمسكر والشوكة معه . والرأى مسيرى الى الرى لاقى عباسا واقمه » فضى جاولى الى همدان وعمد مسمود نحو الرى . فحصل من وردعا بالرئى وغنى بالسعادة عن استعمال المشرفى والسهمرى . وقبض سليمان شاد اخاه وجبسه في قلعة سرجهان . وتلقى ماصعب بالاحتمال والاحتماء . فهان

ولما علم بوزابه ان جاولى جاء . ولى وخلى همدان وترك اثقاله وخزائنه بها وسار فसार جاولى وراءه جريده . وقطع حتى وصل الى القرب مراحل بعيدة . فلما دنا منه ابدي البقية عليه . واسدى الحسنى اليه . وقال « اتخذ اليوم عنده يدا . لينجدنى عند الحاجة غداً . فهذا السلطان غير موثوق بمواثيقه ولا موثق في تسديده وتقويقه » وذكر غدره باخيه سليمان شاد فكتب الى بوزابه وهو على حد الهزيمة كتاباً مضوناً « انى . صدقك . وصادقك . وموافقك لا مفارقك . وخاطب حبك . وطالب ودك . وقد صرت من حزبك . وما سرت لحربك »

وفاعلمد بوزابه على قوله واعتد بطوله . وملاً ايدى الرسل بالايادى ارسالاً . وقال حسناً وحسن مقالا . وأعاد ما كتب بما كتبت الاعمادى . وذكر « انى اجبت الداعى ولييت المنادى . ولم يبق الآن الا التماهد على الجهد . والتساعد على العهد . وعلامة صدقك فى صداقتك انى خلعت خزائنى ثلاثين وقرا من المال الصامت بهمدان فى دار الاثير أبى عيسى فان رأيت ان تأخذها نخذها . وان سمحت بانفادها فانفذها . اتعلم انى مستوثق منك بشفيق

واعجب السلطان الحال وحل به العجب . وانقلب الى القوة وقوى منه القلب .
فسدت الجماعة جاولى وغبطوه . وتحيلوا فى أن يقبضوا عليه ويربطوه . فان
ابن طغايرك مع مصاهرتة له كان بامكانه متبرما . وكذلك خاصبك كان
من استيلائه متوهما . فاجع الامراء واحتالوا لاغتياله فى سرادق السلطان
فاطلع على السر ووقع على مكر المكر . فاحترز منهم وتقبض عنهم واراد
أن يبطش بهم كما أرادوا البطش به . ثم جرى فى الخلم والسكرم على حسب
مذهبه وقال للسلطان « أنا على مناصحتك . وفى منى صحتك . ولا يجمعنى وإياك
بمد هذا ناد . ولا يسمع تليقتى فيه مناد » فما اجتمع السلطان وجاولى بعد
ذلك الا راكبين . منفردين عن العسكر متجانبين . وقال للسلطان « ان اردت
تدانى امنى . فتباعد عنى ودعنى انهرض بعساكري الى اعدائك واذا كرم
بحقوق نعمائك فان اتوا قبلتهم . وان ابواقنتهم . وان اتبعوا سررتهم . وان ساروا
تبعهم » فاعتذر اليه السلطان واستماله . واستعناذ من ذكر ماجرى واستقاله .
وحكمه فى الحل والعقد والاقطاع . وامر الجند والامراء بالايثار لامره
وسر بسرور سره . وشرع جاولى فى مكتبة الملك سليمان وخدعه . وردده عن
المقام مع القوم وردده . وتوثق له من السلطان يمين . وسير نسخة امان له
مع أمين . فقارقههم . وانفصل وانقسم عنهم . ووصل أيضاً خوارزمشاه يوسف
واخوه . فانبمهما للتوجه الايمان والوجوه . ولما عرف بوزابه وعباس تمذر
ماحاولاه . وتمسر مازاولاه . وتفرق الجزء الذى جمراه . تفارقا على مواعدة فى
معاودة الجمع . وودعا على مواعدة . مودعة للطاعة والسمع . وعزم كلاهما على
الرجوع الى بلده بنية الرجوع . والغروب فى أفقه على استئناف الطلوع
وكان السلطان عند اتصال أخيه سليمان بجانبه . واستظهاره بكنائبه .

على الوزير عز الملك من غير مشاورته . وقلة اكرامهم به وترك مرافقته
في مصادرته .

فلما شعر السلطان بتأخره استشعر حذره وورى عن الهزيمة برحلة الشتاء
الى بغداد . وحث السير بالاعذاف . ومعه من الاكابر عبدالرحمن بن طغايك
وخاصبك بن بلنكرى ووصل بوزابه وعباس الى همدان على ظن انهما
يجمعان بالسلطان . وهما مبديان للطاعة مخفيان للعصيان . فاقاما بها شائتين
واتصل بهما الامير ناصر الدين خطيبة البازدارى وكان ايضا خادرا . وقسورا
قاسرا . وكتبوا الى الامير جاولى الجاندار بأذربيجان وقالوا له « انت الكبير
لاك التدبير . ونحن اتباعك وأشياءك فان قدمت الينا . قدمت علينا .
وكنت صاحب جيوش من ينتصب على سرير الملك . وانخرطنا معك طائعين في
السلوك » فرد جوابهم بجميل واعاد رسولهم بتأميل . واشتغل بحشد الجوع
وجمع الحشود . وحشر الجنود ونشر البنود . واتصل به آتابك اياز وكان
آتابك داود في حياته وهو مشكور الغناء في مقاماته . وعضده الامير
شيرين آق سنقر فأظهر حينئذ الهدية الى همدان . والنهضة الى الناهضين
المتسلطين على السلطان . فوجد الطريق مسدودة بالثلوج . فأقام بعسكره
نجما . ولانهبوس عند انحساء الثلوج من معا . وتطارت كتبه الى بغداد
لاستدعاء السلطان اليه . واستقدمه عليه . والسلطان في بغداد ساه
بسوه . لاه بالهوه . زاه بزوه . فلما تبه من وسنه . ندم على خلع رسنه .
ورجع من الخزم الى سننه . ولبي نداء جاولى واجاب دعوته . وعزم على الرحيل
اليه وسار على الدربند القرايلى الى المراغة فى أوعر طريق . وأعسر مضيق .
حتى اتصل بالامير جاولى فكشف من العدد الجمع . وكثر من العدد الاعم .

قال : ولما جلس مؤيد الدين المرزبان في الوزارة بدأت الامور في الاختلال . والعقود في الانحلال . وكان قد قنع من الوزارة باسمها . ومن المرتبة برسمها . وكان يروق الناس بشعر الحيا . ويروقه الانس بشرب الحميا لا ينافر الا الغواني ولا ينافث الا الاغاني . وكان وزراء الامراء قد غابوا على امره . وبلغوا الى قدره . فماله قول مسموع . ولا طول متبوع . ولا هو مشكور ولا مشكور . ولا مخشي ولا مرجو . وخاصبك بن بلنكره هو الامر الناهي . وهو داهية من الدواهي . وكان وزيره رئيس الدين ابوتغلب بن حماد السهروردي العبيق بريا لرياسة . اللبيق برأى السياسة . قد استولى على الامر واحتوى . وتمكن من ورد الملك وارثوي . وكل امر لا ينفذه لا يتخذ . وكل حق لا يؤخذ لا يؤخذ . وكان كصاحبه مسعودا مصحوبا بالسعادة . ممدودا من المال والجاه بالزيادة .

قال : وكانت قد تأكدت بين الامير عباس صاحب الري وبين الامير بوزابه صاحب فارس صدقة صادقة . ومودة أحوالها الحوالى متناقة . فطمعا في المملكة وزعما ان البركة في الحركة وقال « ان المرصة خالية . والفرصة بادية . وهذا وقت الارتقاء الى العروة . والامتراء للدرة » فكتب بوزابه الى السلطان اني واصل الى خدمة السرير وخرج من شيراز بالملكين محمد وملكشاه ابني السلطان محمود بن ملكشاه وخرج عباس من الري بالملك سليمان اخي السلطان مسعود وكتب ايضا « اني واصل الى جنابك . لملازمة ركابك » فحمل السلطان قولهما على الظاهر . وخاف ما خفي في الباطن من الباطل . وعرف ان امره معها غير مستقيم . وانه ان رحلا اليه فهو مقيم . فكتب الى جاولي الجاندار يستدعيه فوجده متجنبيا متجنبيا بالقبض

تحية . ومن جملة ذلك انه كان بالعراق عميداً رازيً تولى سنة . واكتفى ثروة . واستغنى واستغنى . وجبا وجنى وخبي . فلما جاء السلطان قيل له « اعمل حسابك » فأحضر المشرف وكان يعرف بابن الحكيم من أهل بغداد وقال « أريد ان تدع المكر منك . وتدعو مكر منك . وتهتم بأمرى وتستأمر همتك . وتحسن الحسبة . وتحسب الحسنة . وتكف بكفائتك عنى الايدى والالسة » فقال المشرف « انا لا اجسر ان استر . ولكل ما اذكر لا بد ان اذكر . وعلى ان اخفى كثيرا مما خفى من الجنائيات والجنبايات . والاجتنابات والجمالات . ولا بد ان اجمع ما أخذته من المرافق الوافرة . والفوائد الظاهرة » واتفقا على اسقاط مبالغ حتى تقرر ذكر خمسين الف دينار فبذل له الف دينار على انه يذكرها فى الحشو ولا يبرز بها لعل الوزير يغفل عنها . ولا يؤاخذ به بسببها . فأبى الا ايرادها . وتخصيصها بالذكر وافرادها .

قال : عماد الدين حدثنى المشرف بن حكيم قال : دخلنا بالحساب الى الوزير عز الملك فأول ما وقعت عينه فى المجموع . على المبلغ المرفوع . فقال ما هذا فقبل الرسوم التى اخذها . والمرافق التى اجتنبها . فضرب عليه بقلبه وقال « كيف تجيزون ان تجتمعوا عليه ما ارتفق به من رسومه وخدمه . هذا بقى على الباب سنتين يتدين ويتمون . فلما شفى ألم أمه . ورفع علم عمله . صار له معلوم . وحصلت له رسوم . فليس من المروءة ان نستفيدا وما فوض اليه الشغل الا ليستفيدا » قال : فخرجنا نسحب اذيانا انا للخبيل . والعميد للجنل . وقد رُدَّ الى العمل . فأخذ بيدي وناولنى صرة فيها ستمائة دينار وقال « هذا ما جعلته باسمك . وما ضرتنى أمانتك . فاجر فيها على رسمك »

قد تشمشت فشد منها الاركان . وتغير رأيه في الوزير عز الملك البروجردى
 فعزله . ولم يستبق العزلة واستصفى ماله . وشغل بوباله سردوباله . واستوزر
 مؤيد الدين المرزبان بن عبيد الله الاصفهاني ونقله الى الوزارة من الخفراء
 وكانت له زوجة من جوارى مسعود تركية سليطة متسلطة . حاكمة عليه . متسلطة
 فتسلم عز الملك وسلمه اليها خنقته . بعد ما عذبه وعلقته . فقتل مثل القتلة
 التي قتل بها الكمال ثابتاً . وكل من كان حاسداً له على منصبه عاد شامتاً .
 وكان عز الملك البروجردى شيخاً بهيجاً بهياً قد جاوز الثمانين سنة ومع
 شيخوخته يقطر ماء النظارة من محياد . وكان في السعادة سعيداً في محياه
 وكان في أيام وزارته مرهوب الفرار . مشبوب النار . وكان نائبه في الوزارة
 نجيب الدين عبد الجليل السهم المصيب . والشهم المهيّب . والسيف الذي
 يفري . ويفصل ويبري . ويفصل بيت الاصول ويستأصل البيوت .
 ويستنزل من الجو العقاب ويستخرج من قعر البحر الحوت . وقد ضربوا
 على بغداد الضرائب . ومكسوا المكاسب

قال : وكان رضى الدين أبو سعد مستوفى السلطان . البعيد من الشين البديع
 الشأن . ممن يمشى والذى بسبب خدمته لاختيه العزيز في أيامه . وكان ربيب
 انعامه . وكان من أوسع صدور ذاك العصر صدراً . وأقلهم شراً . وكان
 نائبه كمال الدين أبو الريان الاصفهاني من تلاميذ عمى العزيز وغلماؤه . ولم
 يكن أعرف منه بقانون الاستيفاء في زمانه . ولكنه كان خالياً من الادب .
 عاليامع نقصه في أكمل الرتب . وهو صورة بلا معنى . وحسن بلا حسنى .
 وبرق بلا وابل . وطول بلا طائل . وكان عز الملك الوزير مع جهله
 وشدة بخله . ربما نسيت له ريح أريحية . وسمنت بفشه روح

ومنهم بنو الحجندی باصفهان ودخل في مذهب ابي حنيفة جماعة طلبا الاجاه .
 وخوفانهم لا من الله . ومن جملتهم القاضي عمدة لدين الساوى . قال : وكان
 وزير الخليفة المقتدى لما تولى شرف الدين على بن طراد الزينبي وكاتب الانشاء
 سديد الدولة بن الانباري وصاحب الخزن كمال الدين بن طلحة وتزوج الامام
 المقتدى بأخت السلطان مسعود فاطمة خاتون . وعزل شرف الدين الزينبي عن
 وزارة الخليفة في سنة ٥٣٤ وسببه انه استشمر فضى الى دار السلطان بها معتصما
 ثم لزم بعد ذاك داره محترما وتولى الوزارة نظام الدين ابو نصر بن جبير
 وكان الاستيلاء بالعراق لاصحاب السلطان . واپس لاحد بكنفهم يدان .

قال : وفي سنة ٥٣٥ خرج الكاخر الخطائى واستولى على ماوراء النهر . وكسر
 السلطان سنجر اشد الكسرة ووقع عظماء مملكته في الاسر . وفي سنة ٥٣٨
 قتل السلطان داود بن محمود بن محمد بن ملكشاه بأيدى الملاحدة بتبريز غيلة .
 وعاش أيامه من شريد الدهر شريداً ولم يسترح ليلة . وكان قد زوجه
 السلطان مسعود بنته وأقمنه بتبريز ملازما لبيته . قاعدا فوق تحته تحت بخته
 ولما خاتنه في المبدأ السعادة . وفيت له في العاقبة الشهادة . وقيل ان الامير
 زنكى بن آق سنقر وضع عليه من حشيشة الشام من فتك به . فأمن على بلاده
 بسببه . وذلك ان السلطان مسعود كان قد عول على ان يسير داود الى
 الشام . ويحفظ به ثور الاسلام . ففزع زنكى وجزع . وسقط في يده من
 حديث الحادث الذى وقع . وخذله الايد . ولكن نصره الكيد . ووصل
 خبره الى بغداد فمقد له فى دار الخلافة مجلس العزاء ثلاثة أيام بحضور ارباب
 المناصب . وعدت المصيبة بقتله من أفع المصائب

وفى سنة ٥٣٩ رحل السلطان مسعود الى اصفهان . وكانت دار السلطنة

مشتد الامر . قوى الظاهر . مستبشرا بما نأكد بينه وبين الامير الحاجب
الكبير عبد الرحمن من عمدي الوصلة والاخوة . وأقام السلطان ببغداد ذلك
الشتوة . متوفرا على نيل الطرب وقضاء الشهوة . مستهما بادناء الدنان .
واقتماء القيان . وتقريب المساخر . وإبعاد ذوى المفاخر . متكلا على السعادة
في دفع الاعداء فانه لم يزل كاسمه مسعودا . ولم يتصد أعداؤه الا من كفى الله
شره فاصبح عنه مصدودا

قال : وكان الامير سعد الدولة ير نقش الركوى من أكبر الدولة وقدمائها .
وأكبرها وعظماؤها . ومتولى وزارته يمين الدين المكين أبو علي العارض .
وله الفضل المستفيض والافضال الفاضل . وكان سعد الدولة ير نقش متولى
أصفهان والامير غلبك نائبه وسعد الدولة للمعسكر غير مفارق . ولما لا يوافق
رضاء السلطان غير راض ولا موافق . فكانت أبهة الملك بمقام أبهته قائمة .
ونصرة الاقبال بدوام نظر اقباله دائمة . وكانت اخدام الجيوش لهم الجيوش .
والاسرة والعروش . منهم نجم الدين رشيد من مشايخهم وأكبرهم وجمال
الدين اقبال الجاندار وشرف الدين كردبازو ومسعود البلالى ودونهم فى الرتبة
عماد الدين صواب وشمس الدين كافور وأمين الدين فرج الدووي وأمشالهم
وهم عصابة فيهم عصبية على الشافعية . ويتقربون الى الله بما يوصلون اليهم من
الاذية . ونكبوا أصحاب الشافعى بأنواع البلاء فى جميع البلاد . وخصوصهم
بالطراد والابعاد . وحاولوا إخفاء مذهبهم فتعالى ظهوراً . وأرادوا إطفاء نوره
فما زاده الله الانوراً

قال : ونكبوا رؤساء المذهب فى كل بلد . ولم يبقوا منهم على أحد .
فمنهم أبو الفضائل بن المشاط بالرى ومنهم أبو الفتوح الاسفراينى ببغداد

ولما اتصل جاولى الجاندار بخدمة السلطان وجده حاضراً . والفى روض
الرضى به ناضراً . وكان الامير الحاجب الكبير نخر الدين عبد الرحمن بن
طغايرك الحاكم على الدولة . المهيب الصولة . وكان وسيما جسيما . للسلطين
قسما . لا يرى الا برايه . ولا اجابة الا لدعائه . وكان الامير بك ارسلان
خاصبك بن بلنكرى أخص الناس بالسلطان وأعلقهم بقلبه . قد اختاره منذ
شعف به على صحبه . ولما كبر كان أكبر الامراء . وأعظم الكبراء . واجتمع
هؤلاء الاكابر تلك السنة بالحضرة . والدنيا بالنعم لهم بادية النضرة .
وحمل نخر الدين عبد الرحمن بن طغايرك الامير عباسا على مباينة عز الملك
الوزير . ومعارضته فى التدبير . وأطمعه فى تولية نائبه الجمال الجاجرمى فى
الوزارة وكان شابا مقبول الحركة . مأمول البركة . يرجع الى توسع فى
المروءة . وترفع فى الفتوة . فاستحكم طمعه فى المنصب وقوى قلبه بمساعدة
الاميرين عباس وابن طغايرك فتحمل وتجمل . وجد وجاد . واستجد
واستجاد . وقرب أن يتم مراده وكاد . فتنصب الامير جاولى للوزير عز
الملك . وأعاد نظم جاهه الى السلك . وساعده خاصبك على مساعدته
فاستقام أمر الوزير وأجمع الجميع على إبقائه . واتفقت الكرامة على انه
لا مضاهي له فى مضاءه

ورحل السلطان الى بغداد رحلة الشتاء . واستصحب جماعة الامراء . وعاد
عباس الى الرى . قال : وأنا أذكر وصولهم الى بغداد فى هيئة عظيمة وهيئة
وسيمة فى سنة ٥٣٦

قال : وخطب جاولى بنت عبد الرحمن بن طغايرك وتمت بينهما
المصاهرة . وتأكدت ما بينهما المظاهرة . وعاد جاولى الى بلاد أرنائية وآزيجان

فأكثر المسلمون عليه العويل . وعدموا عنه البديل . قال : وكان لما اتصل به أجله . وانقطع عن الحياة أمه . أحضر جاولى الجندار ونصبه مكانه . وسلم إليه ابنه وجنوده وسلاطانه . ووصى إليه بقطع دابر الكفار . ومواصله برّالابرار . فتولى ولايته . ووصل بنهايته بدايته . وأنفذ إليه السلطان مسعود الخلة والعهد . وأجزل له العطاء والرغد . وقرر عليه جميع أعمال قراسنقر بأرانية وآذربيجان . وولاه تلك المعامل والمدن والبلدان . ونهض الأمير جاولى في السنة الثانية الى خدمة السلطان فقبل البساط وبسط له القبول . وعرض هداياه وتحفنه وطرفه والحمول . فضاقت الفضاء الواسع بمضارب جنوده . وخفقت القلوب لهيبة خوافق بنوده . واتصل بالامير عباس صاحب الري . ونشر من المودة بينهما ما كان في الطي . وتوافقا وتوثاقا ونظمتهما طاعة السلطان في سلك المصافاة

وكان الامير عباس من مماليك جوهر خادم السلطان سنجر والري في أقطاعه وقد نفذه اليها والياً . وكان أمره بها عالياً . فلما قتل صاحبه بفتك الباطنية به ثار عباس للثار وجد في طلبه واستولى على الري وأعمالها . وتفرّد بحيازة أموالها . وقوى على السلطانين سنجر ومسعود . واستظهر بمن معه من جموع وجنود . وبمن اتصل به من مماليك الامير الاجل صاحبه وكانوا زهاء أربعة آلاف في عدد كثير . وجمع كبير . وقصر عزمه على قصد الباطنية وكبسهم في مواطنهم . وبيتهم في أماكنهم . وقتل منهم مدة ولايته أكثر من مائة الف حتى بنى من رؤسهم بالري مناراً أذن عليه المؤذنون . وأخاف القوم فما كانوا في عصرهم يأمنون المنون . وكان ذا همه كافلة للرعية بالمعونة فرضى السلطان بآياله . وأقره على ولايته

القليل . ولم يعرج على الخليل الخليل . وقبض سلجق وحمله الى قلعة اسفيدوز
وكان ذلك آخر العهد به . ولم يشك احد في عطيه . فتمكن بوزابه من ملكه
وجري على المراد مدار فلأكه . واستشعرت الملوك مهابته . وتجنببت الاسود
غابته . فلم يركض الى فارس بعدها فارس . ولم ينل الفريسة بها غيره فارس . واما
قراسنقر فانه لما انتهى اليه الخبر . وعلم انه لا قدرة له على دفع مانواه القدر . مضى
على وجهه . موليا . موليا ان لا يكون بعدها متوليا . فلما وصل الى برؤورد صادفه
الخبر بان مدينة جنزة وأعمالها قد خسف بها . وان الزلزلة قد هدمتها . وانها
خربت حتى كأن الارض عدمتها . وان الكفار الابخازية والسكرجية
هجمتها . وقد باد من أهلها مقدار ثلاثمائة الف نفس فأمرؤا الباقين الامن
احتمى بقلعتها . وآوى الى ثلعتها . وذلك مع تشعث سورها . وتهدم دورها .
وان الاموال نبشت . وان الحبايا فقتشت . فأغذ قراسنقر السير اليها وكان
إيوانى بن أبى الليث لعنه الله مقدم عسكر الابخاز قد قرن بالزلزلة الزلازل .
وبالنازلة النوازل . وكان قد حمل باب مدينة جنزة وبنى مدينة سماها جنزة
وعلق عليها ذلك الباب . واغتم غيبة قراسنقر عن البلاد فسامها الاذاب .
وذلك في سنة ٥٣٣

فلما وصل قراسنقر عادت دولة الدين . وعادة النصر والتمكين .
وظهر أهل التوحيد على أهل النشليت . ونعش الطيب بمشار الحبيث . وواقعهم
قراسنقر فهزمهم وثلهمهم . وقتل منهم مقتلة عظيمة وخرب البلدة المستحدثة
وأعاد باب جنزة اليها وأعادها في العماره الى أحسن حالاتها . وأجل هيأتها .
وكان من جملة من هلك بها زوجته بنت الامير أرغان وأولاده فاستولى عليه
الهم وعلق به السل . وبقي مدة يتداوى ولا يبيل . وتوفى سنة ٥٣٥ بأردبيل

الخراساني . وفي منصب الطغراء . مؤيد الدين المرزبان بن عبيد الله الاصفهانى
فاما آتابك قراسنقر فانه لما قتل الوزير كمال الدين محمد الخازن وجلس وزيره
في وزارة السلطان رحل بالملكين سلجق وداود الى بلاد فارس فلما عرف
بوزابه حضورهم لجأ الى قلعة كل وكلاب وهى بين خوزستان وفارس ودخل
الملك سلجق مدينة شيراز وجلس على سرير الملك بها مسرورا . ونظم من
المصالح ما كان منشورا . وغفل عن القدر فأئس بملكه مغرورا . واراد
قراسنقر ان يخلى عنده عسكري يحمى حماه . ويعمدى على عداه . فخل الامير
غزاغلى السلاحى وهو مقدم عسكري سلجق حب التفرد والتوحد على اظهار
الفنى عنمن ينجده . وانه لا حاجة به الى من يسعده . فقال لقراسنقر « انا ما
احتاج الى احد . ولا افتقر الى مدد » فاستحسن قراسنقر منه هذا العزم
وترك الخزم . فصار غزاغلى مستقلا . وسار قراسنقر مستقلا . ومضى صوب
خوزستان . ليعبر منها الى همدان . وسرح الملك داود جماعة من العسكرية
على طريق سواها . للنية التى نواها . فلما وصل الى عسكري مكرم لم يوافقه
الهواء الخوزى فوقع فى القوم وفي دوابهم الموتان . وعجزت القدرة وتعذر
الامكان . فاقام على تلك الصورة . بحسب الضرورة

واما الملك سلجق فانه ظن انه ملك . وان خصمه هلك . وان بوزابه
على كل حال مملوك لا يقدم على المالك . وانه انما فر لانسداد المسالك .
ورجا أيضا من غزاغلى آتابكه انه لا يخل بالتيقظ . ولا يخل ما يجب عليه
من التحفظ . وكان الامر بالعكس . وسقم حاله على النكس . فان آتابكه
اشتغل بالاكل والشرب . واللغو واللعب . فبيناه كذاك اذ هجم عليه بوزابه
وعلى الملك سلجق فقتل وفتك . وأسر وأوثق . ولم ينج من العسكري الا

البروجردى الى السلطان رسولا . وتحدث معه وقرر رسولا . وحمله منه
ومن المملكين ومن جماعة الامراء كتبوا مضمونها « انا لانأمن جانب الوزير
الكمال . وانا لانصبر على ما يبدو منه من الاعمال . فاما ان تعدمه . واما
ان تسلمه . فان دفعته الينا فنحن طائعون . وان دافعت عنه فنحن عن
انفسنا مدافعون » فلما سمع السلطان ماقالوه . استقالهم فاقالوه . فخار في
تدييره . واضطر الى تسليم وزيره . فقبض عليه وسلمه الى الخاجب تثار
فاوقع به التبار . وضرب عنقه وذلك في شوال سنة ٥٣٣ خيبتند وصل قراسنقر
ومعه الماسكان سلجق وداود الى الخدمة السلطانية . وحمدوه على اتباع تلك
الهمة الشيطانية . ورتب قرا سنقر الوزير محمد الدين عز الملك ابا العز
البروجردى في وزارة السلطان مسعود وكان شيخا ذاهجة وبهاء . ولهجة
ورواء . ولم يزل منذ عهد السلطان محمد متصرفا مع اكابر الامراء لم يبطل
ومتحمليا بالولاية لم يعطل . وما زال متدرجا في الولايات حتى بلغ الوزارة
ووجد بعد الوزارة الغزارة . فانه كان في ريعان عمره يخدم شاكر داء . ويستعذب
في كل اوان في خدمة وزير ورداء . فتمول الاموال وملك الاملاك وقيل
انه كان يجرى في ملكه ايام وزارته اربعمائة قرية

قال : فنكسب الكمال ثابتا المستوفى وقبضه وأعدمه وقيل انه خنقه .
واذهب بذهابه بهجة الملك وروثقه . وتولى منصب الاستيفاء بعده المهذب
ابو طالب بن ابى البدر ولم يلبث في منصب الاستيفاء شهرا حتى اختفى بداره
في السرار . وانتقل من هذه الدار . الى تلك الدار . وتولى مكانه ديوان
الاستيفاء الكمال ابو الريان الاصفهاني قال : وهؤلاء الذين تولوا الاستيفاء
كلهم كانوا من صنائع العزيز وتلامذته وكان في ديوان الانشاء سعد الدين

فصرفه الى بيته على اجمال وجه . ولزم موطنه على رفق ورفه . ولم يفلت وزير كافاتيه . وكانت الليالي بالسلامة كافاتيه . وشغلته العطلة بصومه وصلاته وتولى الوزارة كمال الدين وكانت وزارته في سنة ٥٣٣ ببغداد وفي ديوان الاستيفاء كمال الدين ثابت وفي منصب الاشراف المذهب بن ابي البدر الاصفهاني وفي كتابة الانشاء ولي الدين المعروف بسياه كاسه وفي منصب الطغراء مؤيد الدين المرزبان بن عبيد الله الاصفهاني فانشرحت الصدور . وانتظمت الامور . ورتب الوزير لخزانة السلطان أموالا تحمل اليها . وجهات توفى عليها . وأحيى معالم للملك قد دثرت . ونظم عقودا للمصالح انتشرت . وابتدأ بكسر الجبارين وجبر المنكسرين . وقرر مع السلطان سرا . ان ينوي لقرا سنقر سرا . وبذل لقرا سنقر في وزيره عز الملك أبي العز البروجردى خمسمائة الف دينار على انه يسلمه اليه . ويسلط يد الاقتدار عليه . فاعرض عنه . وما قبل البذل منه . وبخل بصاحبه لحض الكرم . وما اسعد من اختار صاحب على الدينار والدرهم . فلما ايس منه اخاف السلطان من عواقبه وقال له « لا يجمع في غمد سيفان . ولا يظهر لك مع تساطه قوة السلطان » وقرر معه استدعاء بوزابه من فارس ليفرسه به . ويحجر الخلاف الى مذهبه . فاستوحش سر قرا سنقر فاضمر الكيد . واعمل الايد . فاستدعى الملك سلاجق ووعد بان يمضى معه الى فارس ويستخلصها لاجله وحمل أيضاً على النهضة معه داود بن محمود وآتابكه اياز وكان من صنائع قرا سنقر

ورحل قرا سنقر عن آذربيجان نحو السلطان مسعود الى همدان ومعه الملكان ومعه من المساكر عشرة آلاف فلما قرب انفسد وزيره عز الملك

في الدفاع عن مهبته ممكنا . ثم ولي ومعه قرا سنقر هزيماً تشله الرياح . هشيما تذروه الرياح . وحصل في قبضة بوزابه اثنا عشر اميراً منهم صدقة ابن ديس بن صدقة المزيدي والامير عنتر الجاواني والامير الحاجب الكبير ارغان وآنابك سنقر صاحب زنجان ومحمد بن قرا سنقر وجماعة آخرون وما منهم الا من قد ه . وأراق دمه . وشفى وتره . ووفى نذره . وذلك في أواخر سنة ٥٣١

ثم قفل بوزابه الى فارس واستولى على مملكتها . واستقر في ولايتها . وعاد السلطان الى سريره . مسلماً لقضاء الله وتقديره . وهو الغالب المغلوب . والسالب المسلوب . وقد بددت عقود سلكه . وبادت سعود ملكه . فجلس لما تم في المأتم . وعاد الى ما تم من عادة المأتم . واتخذ سواهم ندماء . ورفع غيرهم امراء

قال : وفي اثناء هذه الفترة كان خروج السلطان داود ومعه الراشد جفري ما جرى واستشهد الراشد . وانعكست على داود المقاصد . وتمهدت لمسعود القواعد . واتصل بعد ذلك الملك سلجق بأخيه السلطان مسعود فاقطعه بلاد سكرمان من خلاط وعملها ومن ازر كرد وارزن و اضاف اليه الامير غزأغلي السلاحي مقطع تبريز فقصدها واستصفها . فاستخرج اموالها واستوفها . واوسعها سبياً وتخريباً . وسام أهلها ظلاً وتعذيباً . وما زالت الدولة مضطربة والفتنة مضطربة . وأيدى الظلم عائشة . والسن الذم عابثة . حتى استجد السلطان وزيراً . استجد لمملكته تدير . وحكم وأحكم . ونقض وابرم . وهو الوزير كمال الدين محمد بن علي الخازن من هل الرى قال : وكان السلطان استعجز العماد أبا البركات . ووجده في تسكين الخطوب عديم الحركات .

الرطب واليابس . وألحقوا الغنى بالفقر البائس .

قال : وانا اذكر وقد وصل قرا سنقر ووزيره عز الملك ابو العز البروجردى وكان من الشياطين الذين استتبعهم في عصره الدر كزنى فقبض بقايا أملاكنا التى أسارتها المصادرات . وعمد الى شمل جماعتنا ليسرع فيه الشتات . وأقاموا تلك الشتوة باصفهان ثم صح الخبر بوصول آتابك منكوبرس فعرف قرا سنقر والامراء انهم لا يطيعون مقاومته فساروا الى همدان . ولحقوا بالسلطان . وجاء منكوبرس الى أصفهان . خلفهم فى الظلم والاضلام . ورعى الفلال قبل ادراكها . وأعجل الارماق عن امتساكها . وأقام مدة . ولاقى الناس منهم شدة . ورحل فى أوفر عدة وأوفى عدة . فلما قرب من السلطان مسعود . تحاجز العسكران وباتا على لقاء موعود . والتقيا بالموضع المعروف بكورشنبه . وصدقا الوثبة . وكانت الدبرة فى الاول على عسكر فارس . فاصبحت فوارسه فرائس . وأسر منكوبرس وأمر السلطان بقتله بين يديه . وكان شجاعاً كريماً فاسفت القلوب عليه . وكان الامير بوزابه من أعظم أصحابه . وأخفم اضرا به . فلما رأى المزيمة . أجلت عن المزيمة . قال « اذا سلمنا فقد أبنا بالمغنية » وحسب أن منكوبرس ناج . ولم يدر أن نعمه له مفاج . فلما نعى اليه صاحبه . ضاقت به مذاهبه . وحلف أنه لا يبرح حتى يأخذ بشاره . ويستقبل من عشاره . فعطف على معسكر السلطان مسعود وقد أمن . ووفى له النصر بما ضمن . والمضارب قد شيمت . والمضارب قد أقيمت . والسوابق قد أريحت . والسوابغ قد أزيحت . فبيناهم فى أغفل حالة اذ هجمهم بوزابه واستخرج كل أمير من مضربه . وسد على كل كبير طريق مهربه . وركب السلطان مسعود فأبلى بلاء حسناً . ولم يترك

بروائه . وركن الى رأيه . واستغنى به عن وزرائه . وهو الذى يقول فيه القاضى
أبو بكر الأرجاني قصيدة منها

سل النجم عنى فى رفيع سمائه	أشاهد مثلى من جليس مبات
أساهره حتى تكمل لحاظه	وينسل فى الصبح أنسلال المنال
سقى عهدهم غيث تقول اذا بدا	تجلل وجه الارض ورق الفواخت
معلمة الامطار عيني على الثرى	اذا ما سما إن لم يكن كف ثابت
له قلم ان هزه فى كتابة	أبر على سيف الكمى المصالت

قال : وهذا ثابت كان من دهاة الرجال . وكفاة الاعمال . وبمشورته
شيدت القواعد . وشدت المعاهد . وولى المقتضى وخلع الراشد . وأما السلطان
مسمود فانه بعد خروج الراشد من مقام الخلافة استشار الوزير شرف الدين
على بن طواد الزينبي وكان قد اعتقله بعد ما جرى على المسترشد ثم أطلقه
واستصعبه وخاطبه فيمن يخطب له فاشار بخير الخلائف والخلائق أبي عبدالله
محمد ابن المستظهر فبويع له بالخلافة فى ذى القعدة سنة ٥٣٠ ونعت بالمقتضى
لامر الله ووزر له شرف الدين الزينبي واجمع الانام على بيعته . واجتمعت
الآمال الظامنة على شرعته . وكر السلطان راجعاً الى الجبل . واثقاً بحصول
الامل . وانتهى اليه ان آتابك منكوب برس للخروج عليه مستعد وانه مستعجل
مستعجل لمجاوريه مستعجل لعدة الحرب مستعجل . فانقض آتابك قراسنقر الى
أصفهان ليكون على طريق دفعه فسار ومعه يرتقش البازدار . وجاوى
الجاندار . وسنقر صاحب زنجان وهم العظماء الكبار . وهم اعضاء الدولة
وأركانها . وملاك مسكن المملكة وسكانها . ووصلوا الى أصفهان وكان
التمحض فى الابتداء . فكانوا سبب الوباء والفلاء . وأكلوا ما وجدوه من

بقاشان وأقنابها سنة تتردد الى المكتب ونشتغل بالقرآن والكتب الادبية
ثم عدنا الى اصفهان وكلانا لم يبلغ قره الى الابدار. والوالدسار في ليل الاسفار .
قال : وأما أنوشروان الوزير فانه ما لبث في الوزارة . وكان معهد الملك به
غير مستتب العماره . لا لنقص فيه بل لتغير القواعد . وتكدر الموارد .
ف عزل واعتزل . وما انتقل عن داره حتى تحول الى جوار ربه وانتقل . وجلس
للوزارة عماد الدين أبو البركات الدر كزني . قال عماد الدين رحمه الله : وكان
نسبياً للقوام الدر كزني من جهة احواله . وقد حسنت في أيام دولته حوالى
احواله . ورتبه أيام الوزارة المحمودية عارضا للجيش وبقي مستعرا في منصبه .
مستقما على مذهبه . وهو الذى يقول فيه القاضى الارجاني

دام علاء العماد فهو رجاء العباد دام لنا طالعا فهو ضياء البلاد
له يد لم تزل تصدر عنها أياذ عيون حساده مكحولة بالسهاد
كأن أجفانها أهدابها من قتاد

ولما رأى السلطان مسعود في عنفوان دولته . وريعان سلطنته . الخلل
حالا وال حال مختلفة . والعلل بادية والمبادئ معتلة . استعجز أنوشروان لاین
اخلاقه . وقرب قمر عمره من محاقه . فرأى صرفه باحترام . وعزله باكرام
وظن انه اذا ولى در كزنيا أحيى رسوم الاقتدار . وسطا سطوة الجبار .
فولى العماد فما رفع عمادا . ولا عرف سدادا . ولا مشى الا في طريق
السلامة . وقنع بالديست والعلامة . وكان في منصب الاستيفاء حينئذ كمال
الدين ثابت القمى الثابت السكامل الباسل وكان في زمان عمى من نواب
ديوانه . وصنائع احسانه . وكان شهما ناقدا . وسهما نافذا . فأفسد السلطان

قوم من فدائية الباطنية . فأُضججوه على فراش المنية

قال : عماد الدين وانا اذكر في صغرى هذا الحادث الكبير وحديثه وتأثيره في القلوب وتأريثه . وكان ذلك بعقب سنوات اسنات . وشتوات شتات . ومجاعات للجماعات مفرقة . ونواب نوابي للنواب محرقة . وهلك الناس جوعا . وخرج من أهل أصفهان من لم ينو اليها رجوعا . وما كفاهم ذلك حتى نزل عليهم داود غربت القرى وألحقت بالوهاد وأغلقت أبواب البلد . ووهت أسباب الجلد . وأعيان أهل أصفهان لما أحسوا بالحصار . رغبوا في الاصحار . وانتقلوا الى ظاهرها وسكنوا حتى في مقابرها . وهناك بقرب زندروذ عند المصلى قصور عالية مبنية على قبور أكابرها . وكنا نحن من جملة المنتقلين الى بعض قصورنا . وقد عينا بامورنا . فجاء العسكر المحاصر . في عدد كل عن عنده الحاصر . وكان عمي بهاء الدين مع داود في ديوان الاستيفاء واليه وزارة خوارزمشاه ولم يكن مع الراشد وزيره أبو الرضا بن صدقة فان زنكيا احتبسه عنده ثم استوزره فنفذ الى والدى صفى الدين والزمه بوزارته فأبى ثم اتفقت حادثة الراشد فحمدنا الله على ترك خدمته . والعصمة من واقعته . فان والدى رحمه الله حلف ان لا يخدم بعد العزيز سلطانا . ولا يتولى ديوانا . فوفى بيمينه مدة عمره . وعاش بعد أخيه نيفا وثلاثين سنة مقبلا على امره . ودفن الراشد في مدينة جى وأفردت له تربة في جامعها وصار الى اليوم موضع قبره من أشرف مواضعها

وحينئذ تفرق شمل تلك العساكر ورحل داود آخذاً طريق الرى وسار معه والدى واستصحبني وأخي أبابكر وخالنا في المدرسة المحدثة

وطما عباب طما عيته . ولفح شرر شرته . وخشيه الاكابر والامائل . وغشيه
الاصاغر والاراذل . فرفع قوانين السلطنة وأبطلها . ومحاسنا محاسنها وعطاها
فأول ما بدأ به بعد حادثة الخليفة انه نهض الى بلاد سكرمان فجلب على
سكرانها البلاء . وأضرى بها الضراء . وخافه ابن سكرمان فجفل . ثم بذل له
بالذل خدمة حتى قفل . وحينئذ توجه الى بغداد مناصبا للخليفة . ناصبا له
وجه الخيفة . فنذر وحذر . وقام وقعد . وأحس بقرب من قتل أباه فأباه
وبعد . وكان الامير زنكي بن آق سنقر صاحب الشام ببغداد . خفيه على
السير منها والاغذاذ . وكان داود بن السلطان محمود قد وصل الى بغداد
وزنكي موازره . ومظاهره وناصره . فلما حضرها مسعود وحصرها .
ونازل بمسكره عسكرها . رحل داود عائدا الى آذربيجان . وأجفل زنكي
راجعا الى الشام . وقد خاف السلطان وأشار على الخليفة باتباع أثره
فما أصغى اليه . ولا سهل خروجه من بيته عليه . ثم استوحش من مقامه
بعد ان أقام مدة على استيحاش . فرحل رحلة آيس ونفر نفرة خاش .
ومضى اقبال خادم أبيه معه . وصحبه وزيره جلال الدين أبو الرضاء بن
صدقة وخيم بظاهر الموصل متمسكا بجبل قاطعه . ومفترا بسلم منازعه .
فان زنكيا لما أصبح أمره مع مسعود سيئه وخيبه . وأخذ اقبالا خادمه
وحبسه ثم قتله . وأزعج الخليفة فانتقل انتقال المرتاب وتحول تحول المرتاع .
وبقي كذلك سنتين لا يستقر به مكان . ولا يمكن له قرار . حتى اجتمع
بالسلطان داود في آذربيجان . وجاء معه الى محاصرة أصفهان . وختم له
بالشهادة عليها سنة ٥٣٢ في ظهر يوم الثلاثاء السادس والعشرين من شهر رمضان
وكان ذلك في القيظ وقت الهاجرة المتأججة . والقائلة المتوهجة . فهجم عليه

ولاية أمير المؤمنين أبي جعفر منصور الراشد بالله

(ابن المسترشد بالله رضى الله عنهما)

•••••

قال : فوصل الخبر الي بغداد باستشهاد الخليفة رضوان الله عليه يوم السبت السابع والعشرين من ذى القعدة سنة ٥٢٩ وبويع للراشد بالخلافة وجلس في منصبتها في ذي الحجة وبقي في دار الامامية ببغداد قريب تسعة أشهر على ارجاف مزيج الارجاء . وخوف غاب على الرجاء . حتى تفرغ مسعود الى شغله . فشمل بيته بيت شمله . وأخرج بدره من بيت شرفه . وأتى على متلده ومطافه . وسيأتي ذكر ذلك في موضعه

قال : فأما السلطان مسعود فانه بعد حادثة الخليفة بالمرافة قبحت سمعته . فذكرته الاسن . ونكرته الاعين . فصار يفكر في شئ ينفي عنه الظنة . ويستل به من القلوب السخيمة المستكنة . حتى سوات له نفسه قتل الامير ديس بن صدقة . وكان في القرب منه بمنزلة انسان عينه الذي بوأه المدة فرأى انه اذا قتله نسب الناس اليه قتل الخليفة وان السلطان لذلك لم يبق عليه . وكان الامير ديس المزيدي حضر باركاد السلطان وهو جالس ينتظر الاذن بخضائه من ورائه وهو لا يراد بختيار الوشاق . وأبان بسيفه رأسه وأسأل على البساط دمه المهرق . وكان بين استشهاد الخليفة وقتل ديس شهر واحد . وكانت هذه النوبة أيضاً شنيعة . والفضيحة فظيعة . وشغفت الكبيرة بالكبيرة . واتبعت الجريرة بالجريرة . فتقرحت القلوب وتحرقت . وأسفت النفوس وأشفقت . فلم يكثر السلطان بما كثر . ولم يحدث غماً لما حدث

وسار في حشد وحشر . وضم ونشر . ونمي الى السلطان خروج الخليفة
فشق عليه شقاقه . وأظلمت أفاقه . فخرج صوبه من همدان والتقوا بمرج
يقال له دای مرک ولما تراءى الجمعان مال الجنس الى الجنس . فمال الترك
الى الترك . وأسلموا حرمة الاسلام المصونة الى الهتك . وتفرد الخليفة مع
مفرديه . وبعد من جدى منجديه . ثم أقشع نشاصه . وانفل عنه خواصه .
ووقف ولم يول . وثبت ولم يخل . وهابت الجماعة الاقدام عليه . والتقدم
اليه . فنزل أمير العلم السلطاني وتقدم ولم يزل يقبل الارض حتى وصل اليه
فأخذ بعنانه . ثم أحدق به الامراء كما يحدق كل . وكب بسلطانه . وأنزلوه
في خيمة ومعه وزيره نقيب النقباء وابن طلحة صاحب المخزن وسديد الدولة
ابن الانباري كاتب الانشاء وبقي هكذا في خيم مسعود يرحل برحيله .
ويحل بحلوله . وهو يعده باعادته الى دار الامامة حتى كان المعسكر على
المراغة فوصل الامير ير نقش قرآن خوان من خراسان برسالة سنجرية كتبت
سرها . وأسبل سترها . وهجم على الخليفة جماعة من الباطنية فقتكوا به في
سرادقه . وجعوا الزمان بسيد خلائفه وخلائقه . وذلك في يوم الخميس
الثامن عشر من ذي القعدة سنة ٥٢٩ فعرف بقرائن الاحوال ان سنجر
سير الباطنية لقتله . وما اشنع وأفظع ما أقدم عليه من فعله .



فانهزم يرتقش وأسر من الامراء الطغرافية جماعة . وقمت في اطلاقهم من
 قرا سمر شفاعة . ولم يزل بهم حتى اصلح حالهم . وقضى اشغالهم .
 وأما يرتقش البازدار فانه رهب فهرب ودار بخلافه حتى أتى دار
 الخلافة . فخط بجرم الامن زحل الخافه . واستصحب معه من الاتراك
 جمعا كثيرا . وصار بين الخليفة والسلطان للشر مثيرا . وأشاع عن السلطان
 نقض الأيمان . ورفض الايمان . وزعم أنه قد عزم على صدق القصد .
 وانه باغ باغ زرع الدولة المسترشدية بالحصد . وكان الخليفة قد انقرض من
 السلطان في تغييرات غيرت فيه آراءه . وبدت من شحنة ببغداد ما أبدت
 شحنة . فلما سمع قول يرتقش صار يرى نقشه في الحجر . ونبت ما شجر
 من الخلاف والعناد عند الخليفة نبت الشجر . وكان السلطان قد همّ باتباع
 يرتقش بعسكر يكفه ويكفيه . ويقف على أثره ويقتفيه . فصدق الخليفة
 قصده . وتحقق حق عناده عنده . فحينئذ خطب وخاطب . وطالب
 وطالب . وخرج بنفسه في هيئة رائة . وهيبة رائة . وخرج معه من
 كل طائفة أعيانها . وتعاونت على التناصر انصار الدولة وأعوانها . وسار
 وقد صحبه حتى الشعراء والاطباء . والصوفية والفقهاء . وفي تلك السفرة
 يقول أبو القاسم بن الفضل الشاعر قصيدته التي اولها

في العسكر المنصور نحن عصابة مردولة أخس بنا من معشر
 خذ عقلنا من عقدنا فيما ترى من خفة ورقاعة وتهور
 ويقول فيها

تكرت تعجزنا ونحن بعقلنا نسمى لناخذ ترمذا من سنجر
 قال : ولم يقدر على التخلف عن الخليفة ذو قدر . ولم يفسح لذي نذر .

الكرسى المعدله فقبل الارض وقال له أمير المؤمنين « من لم يحسن سياسة نفسه لم يصلح لسياسة غيره قال الله تعالى ذكره فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » فأعاد عليه الوزير بالفارسية فأكثر من الدعاء والضراعة . ونطق بالاذعان والطاعة . وقلده بسيفين . وعقد له بيده لوائين . وسلم اليه ابن أخيه داود وآتابكه آق سنقر وقال له « أنهض وخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين » فضى مسعود وهى النوبة التى نصر فيها على طغرل قال : ثم رأى الخليفة عزل أنو شروان واستيزار شرف الدين نقيب النقباء على ابن طراد الزينبي وفيه يقول حيص بيص قصيدة أولها

شكراً لدهرى بالضمير وبالضم لما أعاض بمنعم عن بمنعم
 جالس في بيته مكرماً . ولزم منزله محترماً . ثم اجتمع بالسلطان مسعود فاستوزره . وصدره رغبة الاطماع حين صدره . وكان المستولى على مسعود آق سنقر فلما استشهد تمكن الامير يرتش البازدار فاستولى ولم يلتفت اليه ولا الي وزيره وكان آتابك قراسنقر حينئذ قد وصل الى الخدمة في حشوده وجنوده وحماة آذيجان . وكما ارآن . وعنده استشعار من زوجة السلطان الخاتون زبيدة بنت بركياق فلما كانت على السلطان متسلطة فرأى صلاحها واصلاح رأيها . وحمله دهاؤه على حمل النفائس اليها واهدائها . فلم يعجب الامير يرتش ذلك فاستوحش ووافقه الامراء الاكابر وهم برسق وقزل أمير آخر وسنقر صاحب ذنجان وجاولى وحيدر بن شيركير فخرجوا عن الطاعة . وتدرجوا الى مفارقة الجماعة . ورحل يرتش بهم الى بروجرد وبقي السلطان ومعه قراسنقر فى جيوشه واتصل به خوارزمشاه ووصل الامير السابق رشيد من خراسان فنهض السلطان بهم الى هؤلاء بهم والتقوا

ولما وصل نبي مودود الى السلطان محمد سلم ولده مسعوداً الى آف سنقر
البرسقي وأقطعه الموصل والجزيرة . وأجزل له عطاياها الزيرة . ولما توفي
محمد تولى محمود فزوج أم مسعود بمنكوبرس استماله لقلبه . واطهاراً للتقرب
اليه ترغيباً له ورغبة في قربه . فلما ظفر به قتله . وحلى بصنغ دمه من سيفه
عطلة . وجمع جوشبك الجيوش وسار بمسعود الى حرب أخيه محمود فكان
ما كان من هزيمته وقتل أبي اسماعيل الطغراني وزيره

ثم استدعى السلطان سنجر بعد ذلك مسعوداً وأخوته . وقرّر على السلطان
محمود من مال العراق نفقتهم ونفقتهم . الى أن خرج الامراء على محمود في
آخر أيامه فاستدعوا مسعوداً من جرجان . وحملوه على مناجزة السلطان .
فما تسنى له أمر . ولا تهيأ له نصر . فاستمال السلطان محمود أخاه مسعوداً
وقربه وسيّره الى أراية . واستكانت لهيبته عيون أعيانها الرائية . ثم لما توفي
محمود جرى له ما ذكرناه مع أخيه طغرل حتى مضى لسبيله

قال : وكان مسعود قد وصل الى دار الخلافة في حياة أخيه وخطب الخليفة
المسترشد بالله له وأجله وبجله ووقعت عليه سمة السلطنة بالاسمو . وعلاصيته بلا
صوت علو . وكان الجندي يجتمع عليه ويفترق . ويشتم تارة معه ويعرق . فلما بنت
غمرسه . وثبت عمرشه . وقرّر قراره . وسرأسراره . وكان وزيره شرف الدين
أنوشروان بن خالد . قال رحمه الله : وكان المسترشد بالله رضي الله عنه قد
استوزره مدة ولما وصل السلطان مسعود الى دار الخلافة وخطب له في آخر
الحرم سنة ٥٢٧ سفر أنوشروان وهو وزير الخليفة في هامة . فسفر بحسن سفارته
وجه مرأه . وأحضره المسترشد وقال له شفاهها « تلق هذه النعمة بشكرك
واتق الله في شرك وجهرك » وخلع عليه وطوقه وسوّره وجلس على

﴿ ذكر جلوس السلطان المعظم غياث الدنيا والدين أبي الفتح ﴾

﴿ مسعود بن محمد بن ملكشاه قسيم أمير المؤمنين سنة ٥٢٨ ﴾

قال رحمه الله: كانت أم مسعود حظية تسمى ليست اندر جهان وزوجوها بعد وفاة السلطان محمد بالامير الاصفهسلار منكوبرس والي العراق . ونقلوا معها برسم جهازها من الخزانة السلطانية اموالا لاتنفد مع دوام الانفاق . وكان منكوبرس من أكرم أمراء الدولة وأعيانها وكان قد استبدّ باقطاعات العراق بعد وفاة السلطان وتفرّد بها مدة حياته . وارتفع بوفور ارتفاعاته . وحكي عن وزيره وليّ الدين المخلص محمد الميانجي انه قال « جمعت له في العراق الف الف وثلاث مائة الف دينار نقداً مطبوعاً بالسكة الامامية سوى ما كان له من الآلات والثياب والدواب والجواهر وقد أئمنّا بذكر قتله في عهد السلطان محمود . ورجعنا الى حديث مسعود . وذلك انه سلمه والده في سنة ٥٠٥ الى الامير الاصفهسلار مودود صاحب الموصل

ثم جهز مودوداً للحرب الفرنج ووصل الى الطبرية وروى صدى الاسلام من دم الكفر . وشهر على أيمان الايمان نصل النصر . وعاد الى دمشق محبوباً بالفتح . محبوباً بالشجح . وحضر في الجامع في آخر جمعة من ربيع الآخر سنة ٥٠٧ وخرج ويده في يد طغتكين صاحب البلد . وهو مخفوف من جنده بذوى العدو العدو . فجاء اليه رجل وضر به بضربةتين فنفذت احدهما الى خصرته وحمل الى دار طغتكين . وعزّ فيه عزاء المسلمين . وقيل انه خاف منه على دمشق فدسّ اليه . ولولا ذلك لكان لما اهريق منه الدم شق عليه .

نوابهم . وضيق على أصحابهم . قال : وفي هذه النوبة قتل السلطان مسعود
الصفى الاوحد المستوفى وصادر أهله على مائتى الف دينار وكان ذلك برأى
سمعد الدين أسعد المنشئ الخراسانى وبمواطاة الكمال ثابت القمى فانه تولى
منصب الاستيفاء . فرأى اتلاف من يترشح لمنصبه حتى يبطش بيد الاستيلاء
ولما استقرت قاعدة طغرل وأمن من معار معارضيه . وعلا على مقار
مقارعيه . وجلس على تخته . وتجل بعلو بجته . فاجأه الاجل فانتقل من
الثراء الى الثرى . ومن دار البلاء الى دار البلى . وذلك فى أوائل سنة ٥٢٨
فانه عرض له قولنج فشرب دواء أسهله وأدواه . وأسقط قواه . فقتشت
ذلك الجمع . وانطق ذلك الشمع . وغاض ذلك البحر . وغاب ذلك البدر .
وكانت وفاته بهمدان ودفنه بها فى مدرسة بناها لبعض خدمه . وأسف
بنو الآمال على كرمه . وكانت مدة ولايته سنتين وشهراً أو شهرين وكان
جامعاً للاخلاق التى تفقر اليها السلطنة من الحزم والتحفظ . والعزم والتيقظ .
الا انه كان مستبداً بأرائه . معجباً بأهوائه . لا يستشير فى أموره . ولا
يسترشد فى تدبيره . وكان مصطنعاً لاراذل صحبوه فى أول عهده . فصاروا
مقدمي جنده . والمخصوصين برفده . فكانت دنائتهم تغض من جليل قدره
وتغمض على ذكره .



ابن شاهملك وحيدر بن شيركير وسعد الدولة يرتقش ووصل بزابه من عند آتابك منكوبرس في الفى فارس من فارس فاشتدت شوكته . واحتدت شكته . وكان السلطان مسعود بأذربيجان فاستدعى نخر الدين عبد الرحمن ابن طغايرك واتصل به يرتقش البازدار ونجم الدين رشيد ونهضوا لصوب قزوين والرى . عازمين على حسم الداء بالكي . فرحل السلطان طغرل يتبع أثارهم . ويشق غبارهم . فنسكوا عن لقائه . وولوه ظهورهم عند ظهور لوائه . وتفرقوا ايدى سبا وغنم أصحاب طغرل ما وجدوه من دوابهم وأسلحتهم ونذب قرا سنقر الى محاربة الملك داود بن محمود بالمرأه فهزموه . وفل غربه وثله . وتمكن السلطان من سلطنته . وتسلط بمكنته . وفرع سريه وعرف سروره .

— وزارة شرف الدين على بن رجاء —

قال رحمه الله : سمعت والدى صفى الدين يشكره ويشنى عليه ويقول لما قتل السلطان طغرل وزيره الدرگزى استدعاني من اصفهان وظن وان العزيز باق . وانه عن حضرته اذ طلبه غير معتا . قال : فقربنى واكرمنى قال « خذ خطي الى بهروز باحضار أخيك . وأسرع فاني منتظر لتوافيك » قال : فمضيت الى بغداد واذا بالقضاء قد قضى . والحكم قد أمضى . فلما عرف طغرل بوفاته طلب رجلا كافياً فوجد على بن رجاء عليا كما رجاء . فبول عليه في وزارته وسلم اليه المنصب وشرع في مصادرة الدرگزىة وقبض على

له « لا تبالي ولا تخطر خطراً بالبال فاني قد نذبت جماعة من الحشيشية لقتل أعدائك وكأني بهم وقد تعجل قمعهم وتقلل جمعهم » فاغتاظ السلطان وقال له « قد وضحت صحة الحادك . وبان فساد اعتقادك » فامر بتجريدده واشعال نار الحديد في ماء وريده

قال : ووصل الخبر بان الباطنية قد دخلوا على آق سنقر في خيمته بمرج قراتكين . وتناوبوه بالسكاكين . وان عساكره ارتحلت من همدان . على صوب آذربيجان . فان السلطان مسعودا وان كان في جمع جم . وعسكر دهم لكن أمره مدبر . اذ عدم من هو له مدبر . فثنى طغرل عنانه . وشرع لنحر الخضم سنانه . ومضى الى الري . وطوى المنازل اليها أسرع الطي . فلما خيم بها اجتمع الزباب على عسله . والدؤباب العاسلة في محفله وجحفله . ورحل السلطان مسعود بعد مقتل آتابكه آق سنقر الى الري لاضعاف أخيه أخيه . ومناجزته قبل انتهاض قواده بخوافيه . والعسكر الباقي معه يزيد على ستة آلاف فارس وطغرل في ثلاثة آلاف فبرزوا بعدة المبارزة . وانجزوا عدة المناجزة . فانهزم طغرل وحماد حماة خواصه . وخلصه ذوو اخلاصه . واستأمن الاميران بلاق وسنقر صاحب ذنجان وجماعة الى العسكر المسعودي . وأستوت سفينة السكينة منهم في بحر جوده على الجودي وذلك في ثامن عشر رجب سنة ٥٢٧

وامتد طغرل الى طبرستان ونزل على الاصفهيد على فأكرمه وأعز مقدمه ووسع له ولعساكره الاتراك وأنفق فيهم الذخائر والاموال وأقاموا شتوتهم عنده فلما انحسر الشتاء رحل طغرل عائداً الى همدان واتصل به من الامراء الاكابر جماعة . لهم على الانام طاعة . مثل عين الدولة خوارزمشاه ومحمد

مقتل المرتد الوزير سوى أربعين يوما

✽ ذكر قتل الوزير الدر كزني وما آل اليه أمر السلطان طغرل ✽

قال رحمه الله: قد ذكرنا انه أحجم الى الري من قدام آق سنقر ومسعود . في عدد منفلول وفل معدود . وخرج الامراء الذين كانوا باردبيل في الحصار ورحلوا على سمت أصفهان . ليلحقوا السلطان . وفارقهم العسكر فوصلوا في خف من الخواص . وعبروا للخلاص . على النهج المعتاص . وجاءت العساكر الى مسعود من كل حذب تنسل . وبكل عسال تعمسل . وكان طغرل قد رحل الى أصفهان . ثم رحل لقصد أخيه مسعود الى خوزستان . وأيقن ان كل ماتم عليه من الوهن في أموره كان بوزر وزيره . وإدبار تديره . فأمر بصلبه . فصلب بامرره . وانقطع لثقل جسمه جبل خناقه . فوقع الى الارض في آخر ارماقه . وفي جملة النظارة مملوك من ممالك شيركير واقف . وهو بما جرى منه على ماله عارف . فشق الحلقة بسيفه المسلول . وضرب رقبة الوزير المغلول . فقطع في الحال اربا اربا . وأفرغ خف رأسه وحمل الى ابن شيركير فاتخذ له السكالب شربا . وأهديت كل أئمة له الى من عنده له ثار . وانتعش بعثاره من كان له عثار . وكان مقتله بشابور خواست

وكان السلطان طغرل قد قال له وهو جافل . ومن طلوع أخيه عليه آفل « اين العسكر اين الجند اين ما سبق به منك في الكفاية الوعد » فقال

قال عماد الدين : سمعته يوماً يقول « صليت ليلة مع العزيز فسمعت هاتفاً يقول جعلك الله عزيزاً كما حميت العزيز » فما أطمعني في مصر بعد نيف وثلاثين سنة الا هذه الدعوة . وأيقنت اني أنال هذه الخطوة . قال : فكان كما قال فانه ملك مصر وصار عزيزها . ومن حاز الجنة بما فعله فلا عجب لمملكة مصر ان يحوزها

قال : فلما عرف الدرزي تمنع ماتوقه . ضاق عليه الفضا وماوسعه . فثقل على بهروز وفزعاه . وقال له « سر بنفسك ولا تنفس بسرك حتى تأتي تكريت . وبيت من بها قبل ان تبيت » ووكّل بالخصى أياماً . ومنزج له في الشهد سمماً . ثم أطلقه على الشرط فلم يشعر نجم الدين أيوب وأخيه أسد الدين شيركوه حتى هجم الخصى عليهما القلعة وقال لهما « قد دافعتما عن هذا الرجل دفعات فكيف هذه الدفعة » فدفعاه فلم يندفع . وردعاه فلم يرتدع . فتركاه وشأنه . فماترك ما شأنه . وكان بهروز قد استصحب معه من أعوان الدرزيين ملحداً . مثله مفسداً . فلما عرف العزيز رحمه الله انه قد أسلم . وأحس بالامر وما أعلم . قام يصلي ركعتين فصلى الاولى بسورة الكهف وشرع في الاخرى ياسين . وطالت صلاته على الملحد اللعين . فضربه وهو في السجود . فجاد بروحه في مناجات المعبود . وشهد السعادة . وسعد بالشهادة . وكان مذحس متوفراً على العبادة . يصوم ويقوم وذلك في سنة ٥٢٧ وعمره ٥٥ سنة . وجرى هذا الامر . ولم يكن عند السلطان طغرل خبر . وفي ذلك عبرة لمن اعتبر . فانه بعد قتله الدرزي طلب العزيز فاعلم بحادثته وحديثه . فلعن الوزير على تأثيره . وشؤمة النارى ونأريشه . ولم يكن بين مقتل الشهيد العزيز وبين

« ذكر ما كان من حديث عمي العزيز وحادثته »

﴿ بعد عوده الى القلعة ﴾

.....

قال : قال الدرگزني لسنجر عند عوده الى خراسان « انك تعود الى خراسان ويبعد علينا استئذانك في المهام فاعطنا علامتك في دروج بياض . المقاصد تعرض واغراض . فاذعنت مصلحة . واتفقت منفعة للدولة . ترجحة . أصدرنا بها مثالا بعلامتك فلا يخالفه القريب والبعيد . ولا ينقاد الاله الغوى والرشيد » وكانت علامة سنجر تحت قوس الطغراء وفوق بسم الله (توكلت على الله) فاخذ العلامات في عدة دروج . واتخذها أسبابا لاستباحة دماء وفروج . فاول مثال زوره انه وقع تحت علامة منها بقتل العزيز الى صاحب تكريت بهروز الخصى . واتفق انه كان في العسكر معهم فارهبه وأربعه وأمره بالامثال . والجرى على مقتضى المثال . ففزع الخصى وتمكن منه الخوف وكتب الى والي تكريت نجم الدين أيوب . وخاطبه في الخطب المخطوب . وقال له « هذا توقيع السلطان مع صاحب وزيره . يأمر بقتل العزيز وتسليمه اليه وتسييره . فان أبيت فقد رضيت بسخطي . وخالفت شرطي . وأردت الخطأ في رد خطي »

وكان نجم الدين رجلا مسلما . فما رأى أن يكون لرجل مسلم مسلما . وعرف أخوه أسد الدين شيركود الحال . وحجز بينه وبين الوقوف على التوقيع الواصل وحال . فشاركه أخوه شيركود في رد الوارد . وصرفوه بالخلع والفوائد وكان شيركود ملازما للعزيز ومتبركا به . ومتمسكا بسننه .

أردبيل محاصرين . وثبت أهلها صابرين مصابرين . وكتب الدر كزني الى
 قرا سنقر يحرضه ويقول له « بارز آق سنقر فأت له مبار بالمبارزة . واحضره
 وناجزه الحرب بنفسك والا حضرت بنفسى الى المناجزة » فكتب جوابه
 ومهد فى تأخير القتال عذرا فلم يذره الوزير وكتب اليه ثانيا يأمره بالمناجزة
 فأستشاط قرا سنقر من اشتطاط الوزير وقال لجماعته « قد بلانا الله بهذا
 الفلاح . والدولة بوجوده معدومة الفلاح » فاحتد الاميران الحاجب تثار
 وجاولى الجاندار وقالوا « لابد من طاعة السلطان فى محاربة أهل العصيان .
 فلا تجبن فهذا مقام الشجعان » فاغتاز وركب وساق نيفا وعشرين فرسخا
 فى ليلة واحدة فوصل بخيول رازحة . وخيول آق سنقر جامعة غير جانحة .
 فتلاقيا وتضاربا . ثم انهزم قرا سنقر وفر . وظفر آق سنقر وقر . وكانت
 الحرب على باب اردبيل . فشقى آق سنقر منهم الغليل . واحتوى على ما كان
 معهم . ولم يقيم بعدهم وتبعهم . وهجر الكرى . ووصل السير بالسرى .
 حتى وصل الى همدان . وعنا الملك لمسعود ودان . وخرج السلطان طغرل
 وتحصن بارونذ وماوشان وكان قد عرض له مرض اقعدده عن الحركة . واعجزه
 عن حماية المملكة . فقدم الامير الحسن الجاندار على العسكر وهاجه الى اللقاء .
 وألقاه فى الهيجاء . ثم انهزم طغرل الى الرى قادما . وعلى الراى نادما . وعلى
 وزيره واجدا . والله شكرا على سلامته ساجدا .

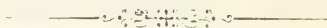


الوقت حتى حان المغرب . وخان المطلب

فعمز العزيز على الخروج فيمن معه وتسبقوا الى الابواب فوجدوها
قد أغلقت قبل وقت اغلاقها . وعند ذلك عاد وثوق الآمال بالانطلاق
بوثاقها . وطلبت المفاتيح وقد حملت الى القلعة . فباتوا على مضضهم في تلك
البقعة . فلما أصبحوا وجدوا صطماز أحد مماليك بهروز وهو شحنة الحلة على
الباب . وقد استتبع جماعة من الاوباش والاشاب . وقد ساق في ليلة
واحدة اربعين فرسخاً . وجاء لمن بالقلعة مصرخاً . ودخل على العزيز وأخذ
بيده وردده الى القلعة وقال للقوم « انصرفوا بسلام . فلا حاجة بنا الى التعرض
من صاحبنا لمعتبة وملام . وهذا السلطان مسعود ان استقرت له سلطنته
فالافاق له مدعنة . وما دام الملك لآخيه فلا مطمح له فيه » فلم القوم انهم
اخطأوا الحزم . وضيعوا العزم . فرجعوا الى السلطان وأخبروه بالحكم والعلة .
خفل به الشحنةاء من شحنة الحلة . وطلب بعض اخوة العزيز ليستخدمه .
ويتقرب به اليه ويقدمه

وكان العم بهاء الدين أبو طالب وزير آق سنقر الاحمديلي وهو في
الخدمة فرتبه في منصب الاستيفاء . وتفاوض بالصعيد الطيب من الماء .
واستوزر أنو شروان . وجل بمكانه المكان . وأخذ العسكر للملك طالباً .
ولاخيه مناصباً . وكان السلطان طغرل حينئذ باصفهان . وقد استخاف آتابك
قرا سنقر بأذربيجان فلما نهده آق سنقر مع السلطان مسعود الى آذربيجان .
ترحزح عنه قرا سنقر الى زنجان . وتحصن عين الدولة خوارزم شاه والاميران
بشكتين وبلاق باردبيل والامير الحاجب تار بأرمية وتحكم السلطان مسعود
واق سنقر في تلك البلاد . وانتظمت امورهم في سلك السداد . ونزلوا على

وقد اجتمع عليه الترك فكتب الى السلطان . يطلب ولده الب ارسلان .
ليذعن بالطاعة . والاعتراف بالتباعة . فأوجب ذلك رحيل السلطان والطرق
مسدودة . والسبل مسدودة . فتضرر الظهر وظهر الضرر . ونفقت الدواب
وتضوّر العسكر . ووصل الى اصفهان . وأنفذ الى فارس ولده الب ارسلان .
فوقعت على منكوبرس حينئذ على الحقيقة سمعة الآتابكية . ودرّت له
اخلاف الحرمات البكية .



ذكر حوادث جرت في اثناء ذلك من السلطان مسعود

﴿ وآتابك آق سنقر الاحمدبلي ﴾



قال : رحمه الله لما قصد السلطان مسعود بغداد عبر على تكريرت وكان
واليها الامير نجم الدين أيوب وعمى عزيز الدين عنده فقال مسعود لا يستتب
أمرى الا بوزارة العزيز . فان الامراء يميلون اليه واذا استوزرته كنت في
حرز حريز . فنفّذ اليه خادمه عماد الدين صوابا . والامير ابا عبدالله الدووى
ومعه مقدمين وحجابا . وطلبوه من الوالى . فظهر الامير طاعة الموالى .
لكنه اضمر نية اللاوى ولّى المناوى . فان صاحبه كان مع السلطان طغرل
فحصل في الامر المشكل . ان سلمه خشي في العاقبة عقوبة صاحبه الغائب .
وان لم يسلم خاف من سخط السلطان الحاضر العاتب . واخرجه من القلعة
الى المشهد بالمدينة . واشتغل بحمل اسباب التجميل والزينة . ولم يزل يدافع

غدر به الوزير فاستخرج من ودائعه ثلاثين الف دينار اخرى فقرته وأفققرته . وكسرتة وخسرته . وأخذ من الجمال بن منارة البيع في همدان ثلاثين الف دينار . وولى نخر الدولة بن أبي هاشم الحسين رئاسة همدان وأخذ منه عشرين الف دينار . وقرر على تاج الدين دولتشاه بن علاء الدولة ووالدته ووزيره مائة وخمسين الف دينار . وصادر الاكابر . وصدر الكبراء . وجر العظام وعظم الجرائر . ووزع على بلاد الممالك بعملة صياغات بيت الشراب والمطبخ الوفا . وثلاثة فاطم السطان طغرل على طغيانه وتسلمته فأفخذ اليه « انك اساءت سمعتي وأسمنت مساءتي . وفضحت أمرى وأمرت بفضيحتي . ألم يكفيك سلخ جلود العظام . حتى شرعت في استفراغ دماء الضعفاء . واستنزاف دماء الفقراء » فكف الوزير عن التوزيع بعد جباية الاكثر . والحياة في الاوفر .

وسمع السطان طغرل بتحرك اخيه مسعود . وخروجه مع اق سمنقر في جموع وحشود . فارتحل صوبه الى اذربيجان فلما سمع مسعود بقربه . لم يقف لحربه . وأغذ السير الى بغداد في حزبه . ودخل طغرل الى مراغة وكان الوزير في تأخر عنه فاتهن فرصة غيبته . وبسط يد معدته . فجاءه الوزير فجاءه . وجر عليه جرأة . وبطل الحق وعطل العدل . ووجه على وجوه البلاد البلاء . ومثل بالامائل والى الرؤساء اساء . وصادر زرقان رئيس تبريز . على سبعين الف دينار من الذهب الابريز . ودخلت الشتوة رقصرت الخطوة . واختار السطان طغرل دخول تبريز والمقام في قلعتها الى حين انحسار شتوتها . وانكسار سطوتها . فاجتمع عسف الوزير . وعصف الزمهير وادبار المسىء وسوء التدبير . وكان المستولى على فارس بعد قراجه منكوبرس

غير وفية .

وبرز طغرل في جنوده المتفقة . والبنود المختلفة . فلما تصاف العسكران .
وتضايق العشيران . وقع البيض على البيض . ولم ير البحر الدم يجود . من
الغيظ بالفيض . ومضى الظهر ولا صهور . وقد حي بالصدور الظهور .
وظفر العم وعم الظفر . ونفر ابن الاخ وفر منه النفر . وانهمزم آف سنقر
بداود . وباء الباقرن باغلال وقيود . وقتل في المعركة ايلر مش بن قراجه مقدما .
وبذل روحه في الملتقى مكرماً . وأخذ سعد الدولة ير نقش الزكوى فاعتقل
في همدان عند الوزير في قصره وأمضى على سبعين الف دينار فصل أمره .
وتسلم منه قلعة قزوين . وخلت منه بلاده وذوين . وأخذ أيضاً الصفي
المستوفي المعروف باوحد بهروز وحبس عند جاولى جاندار . وسأل الوزير
أن ينقله ويعتقله عنده بالدار . فما رخص فيه السلطان . ولا تمكن منه ذلك
الشیطان فانه كتب الى طغرل يقول « ان سلمتني الى الوزير . أسلمتني الى
المير . وأنا أعطيك مائة الف دينار على أن أسلم ولا أسلم . ويستصفي
الي لا الدم » .

فلما يئس الوزير من وقوعه في يده افكر في حيلة ضعف بها مال
مصادره حتى أدي مائتي الف دينار وذلك انه قال للسلطان طغرل « ان عمك
أمرني أن أضرب الدينار الركني في همدان . حتى يتفق نقد العراق
وخراسان » وتقدم بضرب الف دينار بذلك العيار . ونادى بالتعامل به في
تلك الديار . وطولب الصفي الاوحد بذلك النقد . من غير تضعيف العقد .
نم انه صادر الامراء وأمر بالمصادرات . وبيت بالاذى ذوى البيوتات .
فقرر على قتلغ الرشيدى وكان استاذ دار السلطان محمود ثمانين الف دينار ثم

يمطى وهذا يأخذ . وهذا يورط وذلك يتقذ . ووصلت رسل الامام
المسترشد بالله فلقاهم الوزير بعبوس وبؤس . ووقعهم بالنجاة . وواخهم بالجبهة
وضيع للطمع في الرشى الرشد . وضل عن نهج الضلالة التي تشد . وأفسد
ما صلح . وجرى على خاق الفلاحة وما أفلح . وانفصل الرسل ولم يستقر
بين الامام والسلطان قاعدة . وكلما ظنت متقاربة عادت وهى بمادية عادة
الوزير متباعدة .

ذكر ماجرى للملك داود بن محمود بعد وفاة أبيه

قال رحمه الله : كان داود ولى عهد أبيه . وآق سنقر الاحمد بلى آتابكه
ومربيه وهو بآزريجان فى جمع كثير . وجم غفير . وقصده خواص والده
وتغضبوا له وتعصبوا . وثابوا اليه ووثبوا . ومعهم الامير سعيد الدولة
يرنقش الزكوى وكان من أجل أمراء الخدم . وأخذهم فى احياء رسوم
البأس والكرم . ومعهم ابنا قراجه ايلر مش وأخوه . وعدة من الامراء
هم الاعيان والوجود . ومن أرباب المائم الصفى الاوحد أبو القاسم الذى
جعل مستوفيا للسلطان محمد بعد العزيز . فحملهم على التبريز من
تبريز . ونهض السلطان داود فى سنة ٥٢٦ الى همذان ولما قرب من
معسكر عمه طغرل انحازت عدة من أمراءه الاتراك الى خدمة طغرل
منهم بلنكرى وأخوه مع عصبة ذات عصية وكذلك شيمية الاتراك

ويوسف وهو طارق لا يضرع له ولا يخاطبه فضربت رقبتهما . وطويت ورقتهما . ثم انصرف السلطان سنجر ذلك اليوم وارتحل من غده فلما وصل الى كور شذبه خلع على السلطان طغرل وسايه على انفراده . ووصاه ببلاده ونلاده . واقضى اليه باسرا ره وأسرَّ اليه بمفاوضاته . وأمره بان يكون مع رضاه ونهاد عن معارضاته . فقبل عين الوزير ذا كره لما ذا كره عمه . وظن انه سرَّ يخفر فيه ذماته ويخفي ذمه . ثم دعاه وودعه . وأودعه من النصيحة ما أودعه . وانصرف الى الري راجعاً . ولمصالح الممالك جامعاً .

ذكر جلوس السلطان المعظم ركن الدنيا والدين

أبي طالب طغرل بن محمد بن ملكشاه

(ابن الب ارسلان)

قال رحمه الله : جلس طغرل على سرير الملك بهمدان بعد انصراف السلطان سنجر الى خراسان في جمادى الآخر سنة ٥٢٦ ووزيره القوام أبو القاسم ناصر بن علي الدر كزبني الانساباذي استبد بتمشية الامور . والامر والنهي على الجمهور . وكان لا يوقع في الامثلة السلطانية مظهراً انه وزير سنجر . وانما خلقه بالعراق ليهذب الممالك ويدبر . وهو في هذا الكبر نشيط . والسلطان طغرل منه مستشيط . فهو في بث العدل . والوزير في بث الجبل . وذلك

وأنه ولاد سلطنة العراق وسلطه على ولاياته وانه وليّ عهده ومالك خراسان
 من بعده . فهوى الى الارض مقبلا . وجرى القدر بملكه من السماء فاصبح
 مقبلا . وسار سنجر الى نهاوند بعد ثلاث ونفذ السلطان طغرل في العسكر
 العراق فجاءهم الخبر بان مسعود امسى عائدا الى آذربيجان على سمت دينور وما
 في عزومه ان ياقى عمه سنجر فأخذ الجماعة اليه سائرين وهجروا تلك الليلة
 الكرى . ووصلوا السير بالسري . فما اسفر الصبح الا وليل العجاج جان .
 والحطى يهتز على يمين الشجاع كأنه جان . والكوسات تذعر . والبوقات
 تنعر . وصادفوا العسكر المسعودى على موضع من عمل دينور يقال له
 بنجكشت مرت تلك الجيوش به فامتلا الملامح المرت وجاش الموت
 وطاعت راية السلطان الاعظم سنجر وهو تحت مظله . كالقصر في هالته .
 وعلى يمينته السلطان طغرل والامير قماج . وعلى يسرته خوارز مشاه وعدة
 أمراء مساعير يسعر بأسهم الهياج . خملت يسرة مسعود على يمينه سنجر
 وفيها السلطان طغرل فصدتها وهزمتها . وركض طغرل في الهزيمة فرسخين
 ثم تحيز الى عمه ووقف في قلبه . وثبت بجانبه . وحملت يسرة سنجر على يمينه
 مسعود فقرقت نظامها . واتهمت لهاها . وفرّ قراجة ووقف في خواصه وكانت
 اسنجر صفوف وراء صفوف نخرتها الى القلب . ودارت في الاحاطة بهارحي
 الحرب . وكان أشجع أهل زمانه فثبت في مستنقع الموت رجله . ولم ير في
 الاتدام بالروح بخله فلما كسر أسر . وقبض معه من أمرائه على يوسف
 الجاوش ووزيره تاج الدين بن دارسس
 ثم ركب السلطان بعد ثلاثة أيام ووقف على نامة فاحضر بين يديه قراجة

فما احترمه طغرل ولا التفت اليه . ولا قبله ولا أقبل عليه . وكان الرسول قد أرسل الى طغرل بتحنة ونسخة عهد . ابانة عن نصيح وشفقة وبذل جهد . قال : وحكى زين الدين المظفر ابن سيد — الزنجاني وهو الرسول انه اتى طغرل بخوار الري فمثل بين يديه . وأوصل هدية الوزير اليه . فلم يجعل لها وزنا . وأظهر عند رؤيتها حزنا . وذكر آتابكه شيركير وشرف الدولة ولده وأغرورقت عيناه وابدي عليهما كمده . وقال « اين هما في هذا اليوم ولو عاشا لكنا انفع لى من هؤلاء القوم » ولما عرضت عليه اليمين بان فيه اثر السخط فشرع فيها متلفظاً . ومن ان يمين متحفظاً . فلم يتفوه بروابطها . ولم يتنبه على شرائطها . ولما رجع الرسول الى الوزير عرفه ما جرى وأخبره فلم يكثر بتلك الحال . اغترار بقوة الاحتيال .

قال : وكان وزير السلطان سنجر نصير الدين محمود بن ابى توبة فأنعم على الدرگزني بفرع الري لتلك السنة فان الري كانت من الاعمال السنجرية ووالها من أصحابها الاجل المقرب جوهر المعروف بالامير الاجل فلما فرغ الوزير الفرع ووزعه . منعه الامير الاجل ووزعه . فأغلظ الوزير له في المقال . وكان ذاك من اسباب حنقه في المال . قال : ورحل سنجر الى همدان وخيم بها ثلاثة أيام . ثم نهى الى نهاوند . وحث على اتباعه الجند . لان الخبر وصل بان الملك مسعوداً وصل مستعداً للملك ومعه صاحب فارس آتابك قراجه . ولما سمع طغرل باقبال أخيه مسعود . لم يطمع من السلطنة في مسعود . فعزم على الرحيل فأحس سنجر بعزمه وسير اليه الوزير والامير الحاجب وهو محمود القاشاني . والامير قماج وجماعة من امراء العسكر الخراساني . فأتوه وهو واقف على تلمة حذاء كسكرور وبافود رسالة عمه سنجر

لشابور وكان خازن أبيه « حدث جماعات بما كان في خزانة أبي من الغالية »
 فقال شابور « كان في قلعة أصفهان منها في لاوانى الذهبية والفضية .
 والبلور والعصينة . ما يقارب مائة وثمانين رطلاً ومعنا في خزانة الصحبة
 مقدار ثلاثين رطلاً » فقال السلطان للحاضرين « اعتبروا بالتفاوت بين
 الامرين وفصل ما بين المصريين » قال : وكان محمود قوى المعرفة بالعربية .
 حافظاً للشعار والامثال الادبية . عارفاً بالتواريخ والسير . ناظراً فيما يوجب
 الاعتبار من الغير .

ذكر ما حدث بعد وفاة السلطان محمود

الى ان استقر الملك الطغرل

قال رحمه الله: كان قد تفرس الوزير فى السلطان محمود . انه مؤؤد
 وانه فى الاحياء غير معدود . وحين فارق كنفه . ورافق كنفه . استصحب
 الى الريّ مع عساكر العراق . وتظاهروا على الاتفاق . وأمرؤهم برُسُق
 وقَزَل وقراسنقر وقراطغان وغيرهم وأقاموا بها تلك الشتوة . واعتدوا بها على
 انتظار السلطان سنجر الحبوة . ولبثوا من يوم موت محمود لى حين
 وصول سنجر أكثر من خمسة أشهر فوصل الى الريّ فى شهر ربيع الآخر
 سنة ٥٢٦ واستقبله عساكر العراق مع الوزير : وجلس سنجر على السرير
 ووصل بعده ليلا طغرل سحرة . ولقى عمه بكرة . فترجل له الوزير الدركزنى

ويتضرع . ويتهل اليه ويخشع . فاستدعاه سنجر وقال « ما هذه الصلاة والدعاء » فقال « ناجيت الله تعالى وقلت هؤلاء العصابة الذين اجتمعوا في هذه الحركاه هم اصول الفتن . وفروع المحن . فاخسف بهم هذه البقعة . وانقض عنهم هذه الرقعة . حتى يسلم خلقك . ويسلم حقك » فضحك منه سنجر . واستخف النديم المتمسخر .

فلما عاد محمود سار الى بغداد وشرع في ازهاق النفوس فازهقتها . والاخذ بمشورة الوزير لنفاقها عنده مع نفاقها . لاجرم انه ماتمتع بعمره بعد قطع تلك الاعمار . وانتقل بجوره وجبروته الى جوار الجبار

قال : وحكي نجم الدين رشيد الخادم الغيائي انه حضر السلطان محمداً وهو يتقلب على فراشه في سكرة الموت ويقول « ادفعوا عني شير كير وولده فتمد شهرا سيفين ليقتلاني » وكان يكرر هذا القول الى ان قضى نحبه . ولحق بربه . وما عصبته به هذا الوزر الاعصية هذا الوزير . فانه عجل له سوء الادبار بسوء التدبير . وكان السلطان محمود محمود الخليفة . مودود الطريقة . ان ترك وطبه ولكنه بلى بانواع من البلاء من أعوانه . ونفصوا عليه مشرع ساطانه . وفرقوا في ابتداء دولته خزانة أبيه . واستضعفوا جانبه وطعموا فيه . قال : ووجد تفصيل بخط عمي الوزير رحمه الله ان الخزانة الغياثية المحمدية . كانت تشتمل على ثمانية عشر الف دينار سوى الصياغات والجواهر الثمينة وأصناف الثياب الممدنية . قال الامر الى انهم احتاجوا الى اقامة وظيفة النقاغ . فلم يجدوا ما يصرفون فيها من المتاع . فاخرجوا الى الفقاعى عدة من صناديق الخزانة التي فرغت فباعها بما بلغت وحتى طلب السلطان من شاور الخازن غالية فاستمهله أياما وادعى اقبالا . ثم أحضر ثلاثين مثقالا . فقال السلطان

واستدل بذلك على كذب الوزير في مقاتله . وأرسل الى الوزير وطالبه بالمال
 فزاع عن مطلبه . ومطل به . وسير الى أصفهان فقبض على والدى صفى الدين
 وعلى عمى ضياء الدين واعتقلهما بقلعتها ونهب وسلب . واستولى على أملاكنا
 وأموالنا واستوعب . وأما العزيز فان السلطان كتب اليه بتكريرت يعده
 ويأمره بالصبر ويقول « اذا أخذت من الوزير ما بذله فاننا لا بد أن نطلقك
 واعتقله » والوزير في كل مدة يزن له شيئاً من المال ويريه أنه من عنده
 ومن ذهبه ولا يعلم أنه جباه من مال المصادرات وجاء به ووعد به بالباقي الى
 همدان . وفي القدر ان بقاءه قد انتهى وان حينه قد حان . ورحل السلطان من
 بغداد ومرض في الطريق واشتد مرضه . ثم فارق جوهره عرضة .
 وذلك في شوال سنة ٥٢٥ . وذكر ان الوزير سمه في طعامه فانه لما قصر
 في اداء المال . ونظر في سوء المال . شرع في اغتيال السلطان على وجه
 الاحتيال . فتم له تأميله . وحين مضى السلطان لسبيله . وضع في
 التسلط سبيله

قال : وكان قد اتفق وصول السلطان سنجر الى البرى في سنة ٥٢١
 قبل مضى السلطان محمود الى بغداد فعاد الى خراسان واستصحب الملوك
 معه تأنيسا لقلب محمود . باستصحاب اخويه طغرل ومسعود . عاد محمود
 الى سريره . وتفرّد الوزير بتدبيره . ومن الاتفاقات العجيبة . والواقعات
 الغريبة . انه اجتمع في ذلك العهد في خركاه واحدة السلطان سنجر والاخوة
 الاربعة السلطان محمود ومسعود وطغرل وسليمان والوزير الدرگزى والنصير
 محمود بن أبى توبة وزير سنجر وهناك رجل يقال له الفلاك وهو من الندماء
 المطبوعين فقام وصلى ركعتين . ورفع الى السماء اليمين . وجعل يدعو الله

أنوشروان كما سبق ذكره ثم عزل أنوشروان بعد سنة وأعيد الدرگزني وما زال عمي العزيز في عصمة من شر الوزير حتى أخبر السلطان بأن عمه سنجر قد سير في طلب ميراث إبنيه وجواهرهم أرسولا فانه كان قد تزوج باحدهما فأتت ثم تزوج بالآخرى فماتت أيضاً فوضع الدرگزني من قال للسلطان « ان رسول عمك واصل اليك بسبب تلك الجواهر . وأنه لا يعود عنك بما تقررده من المعاذر . وقد رضى سنجر بشهادة العزيز فانه أمين قوله صادق . والسلطان سنجر بصحته واثق . ونحن نرى ان تحبس العزيز في بعض المعاقل . محفوظاً من الفوائل . حتى اذا وصل الرسول وأدى رسالته . وطلب العزيز وشهادته . قلت له هذا صاحبنا وقد نعمنا منه أمراً فعملناه . وقبضنا عليه وأعتقلناه . وما بقينا نرجع اليه في الشهادة . وسؤال المحبوس خلاف المادة » فلوّم السلطان محمود رتدّم . وتردد فكره وتقسم . فقاوضه الدرگزني وهوّن عليه الامر . وسهل عنده لوعر . وقال له « اذا كنت معتمنيا فما يضره العقود مصونا . وما يعيب الدرّ مكنونا . والذخر مخزوننا » قال « وانا أطلق لك من مالى ثلثمائة الف دينار اذا حبسته . وأقوم بادائه اذا أجلسته »

فقال الى المال . وحال بالحوال . فاستدعى عمي العزيز من داره وعرفه بنرضه ثم أمر بالتوكيل به على أجل وجه وكان ذلك والسلطان حينئذ ببغداد في أوائل سنة ٥٢٥ ثم قالوا للسلطان الصواب انفاذه الى مقل فقد قرب وصول الرسول فسلم العزيز الى بهروز الخادم شحنة بغداد حتى سيره الى تكريت فلم يلبث السلطان بهد حبسه الا قليلا . وكم نلا (يا ليتني لم آخذ فلانا خليلا) وذلك انه لم يسمع من رسول عمه عند حضوره ما قيل عن رسالته .

الائمة والاولياء ذوى الكرامات . وقد خلف ابا حامد الغزالي رحمه الله
 في المؤلفات الدينية والمصنفات . فحسده جهال الزمان المتلبسون بزي العلماء .
 ووضعهم الوزير عليه فقصده بالايذاء . وافضى الامر به الى ان صابه
 الوزير بهمذان . ولم يراقب الله فيه ولا الايمان . وكذلك الملك علاء الدولة
 يزيد سمي في دمه وهتك حرمة . وكذلك رئيس ساوہ اعتقله ثم قتله وتبع
 البيوت الكبار واقتتلها . والجبال المعظام فزعزعا . ومن جملة افعاله القبيحة .
 واقواله العائدة على الدولة بالنقضية . انه حسن للسلطان وقد وصل الى بغداد
 في سنة ٥٢٠ ان زحف بمسكركه الى دار الخلافة وقالوا وفعلا ما لا يحسن ذكره .
 واعتمدوا كل ما قبحت سمعته وعظم وزره . وكان حينئذ وزير الخليفة
 المسترشد بالله رضى الله عنه جلال الدين ابو على الحسن بن على بن صدقة
 فتوسط للامر بكفايته . وكشف تلك الضلالة بهديته . وكان صديق عمي
 العزيز رحمه الله . فتماونا على الاصلاح . واساوا الجراح . وحملوا السلطان
 على معاودة طاعة امامه . والتصرف على اوامره واحكامه . وذلك في
 اواخر ذي الحجة سنة ٥٢٠ أو اوائل المحرم سنة ٥٢١

ولما قرب مسير السلطان من بغداد حدث به مرض ضعف منه
 جسمه وقلبه فاعتمد ان ذلك من شؤم خلافة الخليفة . جلس في محفة ووقف
 على باب الحرم للمواقف الشريفة . وأبدى الاعظام والاجلال . وطلب
 العفو والاستحلال . فخرج اليه التوقيع الامامى باجمل جواب . والطف
 خطاب . وطابت نفسه . وزاد بذلك أمسه في البر وأنسه . ووصل الى
 همذان وقد ابل وتوفرت له حصص الصحة . وشكر الله تعالى على رواح المنحة .
 قال عماد الدين رحمه الله : وفي هذه السنة عزل الدرگزني وولى

ارغان . وامراته خلف الستر قهرمانه السلطان . فلما رأيت اتفاقهم على ما فيه قلت في نفسي لا يظهر لي مع الناقضين فضلٌ . ولا يقبل منهم صرفٌ ولا عدلٌ . فاستعفيت واخترت العزل على التولية . وحدث نفسي عن الولاية بالتعزية والتسلية . ونفضت يدي من صحبتهم . وقات العفاء على تربتهم ورتبتهم . وعاد الدرگزني الى الوزارة فانه ارغب ارغان الحاسب بالرثى . ومشى بدغرضه فشى . ورجع كالكلب الكلب . والبغل الشغب . وهابه من لم يكن يهابه . وامتلاً بالاثوم والشراباه

قال : فعدت الى بغداد مستأنساً بالوحشة . آلفاً بالوحدة . فلما وصل الدرگزني الى بغداد اجتهد ان ينالني شره . فمعدني الله من كيد . لا لاساءة اليه مني سبقت . ولا اضغينة عليّ بقلبه عقلت . فاني كنت اسلفته في حال حبسه وعزله احساناً . وقلدته امتناناً . ولم أترك في الانعام امعانا . ولما كلاًني الله من غائلته مديده الى مالي . وانزل النوازل باسبابي . وقد كنت بنيت على دجلة داراً فادعاهما لنفسه ملكاً . واستحضر عدواً لا شهيداً له بالملكية زوراً وإفكاً . وانتقل الى الدار بحكم الشرع . وصير باطله حقاً بيناته الكاذبة في الاصل والفرع .

قال : واجترأ على الاجترام . واجترأ الآثام . وسفك دم الكرام . فتارة يظهر التسنن باراقة دم الملوية . وآونة يدعى التشيع في قتل الائمة السنية . فمن جملة من سفك دمه . ورام عدمه . علاء الدولة رئيس همذان وكان شاباً حسناً شريفاً النسب . كريم الحسب . وكان باصفهان قد حضر مجلس الوعظ فقام اليه رجل من أصحاب الدرگزني فضربه بسكينه . وفردى بدميته حبل وتينه . وكذلك عين التضاد الميانجي بهمذان كان من الاكابر

يدخل اليه ويلقاه . وكان في كل يوم يدخل اليه ويجلس بين يديه ويخاطبه
 بيا مولانا . وأنت أولى منا بالمنصب الذي خصنا به السلطان وأولانا . فسقطت
 حرمته . وذهبت هيئته . واتضعت وزارته . وعرفت حقارته . وخيف
 عود الدر كزبني بعد استقرار سلامته . الى منصب كرامته . فشرعوا في
 اعادته . وجروا على ارادته . وهو جالس في دار أنوشروان . والناس متناوبون
 اليه لتقرير وزارة السلطان . فما شعر أنوشروان حتى أخرج من داره .
 وزد الى مقره على قراره . وأذن لانوشروان في العود الى موضعه . والغيبض في
 منبعه . فرأى الغنيمة في الاياب . واغتم السلامة التي لم تكن له في الحساب .
 قال : وكانت وزارته سنة واحدة على ما أوردته في بابه . والآن أذكر ما ذكره عن
 نفسه في كتابه

— ذكر وزارة شرف الدين أبي نصر أنوشروان بن خالد —

قال أنوشروان : كنت قد اتخذت بغداد مدينة السلام . دار المقام .
 وأنا من حفظ الله في أوفى ذمام . نجاءني كتاب السلطان محمود وخاتمه .
 ووصل رسوله وخادمه . يستحثني في الوصول اليه . ويستعجلني في المثول
 بين يديه . حين حضرت الخدمة شافني بالتقليد . وخصني بأمره الاكيد .
 وكل لي تشريف الوزارة . وخلعها . وأدواتها محلاها ومرصعها . ودواة الذهب
 والسلاح المجوهر فجلست في الوزارة سنة وأشهر لا أقدر على الخطاب في
 مصلحة . ولا على التنفس بفائدة مترجمة . وصاحباً يميني ويساري الشهاب
 أسعد الطغراني والصفى أبو القاسم المستوفي والامير الحاجب الكبير حينئذ

حتى غدت تلك المجاهل منهم وكأنما هن المناحر من منى
قال : ولما عاد من حجه . استعفى السلطان من شغله . فما أجابه الى مراده .
ولا مكّنه من انفراده . وأعادته الى منصبه على العادة . وأشرق به مطلع
السعادة . وأصبح الوزير يجول في مكر مكره . ويسر له ما يرجع بشغل
سره . وعادت تلك الصداقة عداوة . والمعرفة نكرة وغباوة . وعبرت على
ذلك مدة فثبت العزيز على الاستعفاء . وترك منصب الاستيفاء . فقال
السلطان « اذا كنت مستعفيا . ولا تؤثر أن تكون مستوفيا . فإلى أعز من
الولد والمال وقد سلمت اليك خزائني وأولادى وبهذا يحصل مرادك
ومرادى » فلما خلا منصبه منه . ورغب العزيز عنه . تولى الصفيّ أبو القاسم
الجنزى ديوانه . وجلس مكانه . فتوازر هو والوزير والجماعة على قصد العزيز
فلم يقدروا له على مضرة . ولم يعثروا له على عثرة . ومضت على وزارته ثلاث
سنين وشمل العدل بغير النثام . وسلك الملك بلا نظام . والمعاهد غير مبرمة .
والقواعد غير محكمة . وتفرغ العزيز لاعلام السلطان بالتشويش والتشويه .
وحصول كل أمر كريم به في الامر السكريه . فأمر السلطان بقبض الوزير
واعتقاله . وسلمه الى العزيز ليريح الناس من شره وعتياله . فرأى أن اهلاكه
على يده شنيع . وان ذكره بالفتك وهو ليس من أهله فطيع . ودبر في تولية
وزير يسلمه اليه . وهو لاجل الخوف على منصبه منه يقضى عليه . فسمي
في استدعاء شرف الدين أنوشروان بن خالد بن محمد من بغداد فلما حضر
واستوزر حمل الدر كزبني الى داره على حاله . وصيّره في اعتقاله
وكانت في أنوشروان ركافة ظاهرة . ووضاعة لخلق الرفعة قاهره .
فلما تسلم الدر كزبني ضرب له في داره الخركاه . وأذن لكل صاحب له أن

قال : وكان عمي العزيز يحسب انه انسان . وأن جزاء الاحسان له منه احسان . فلما أحس بشرارة شرّه . وضراوة ضرّه . افكر في طريق الانزواء . والخلوص من تلك الالهوال والاهواء . فاستأذن في الحج فسار في سنة ٥١٧ أو ٥١٨ وكان حاج تلك السنة بأجمعهم في ضيافته وكرامته . وعمهم شمول عارفته حتى قال الرئيس أبو الحارث البغدادى فيه

يا كعبة الاسلام مالي أرى اليك تسعي كعبة الجود
تقصّد في العام وهذا التقى لم يلف يوماً غير مقصود

وهناه عند عوده القاضي أبو بكر الارجاني بقصيدته النووية المشهورة التي أولها

فمن المحدث نفسه أن يجتنى	ورد الحدود ودونه شوك القنا
شبا الحروب لان مددنا الاعينا	لاتمد الايدي اليه فطالما
والحي قد نزلوا باعلى المنحنى	ما ان جفوت الطيف الاليلة
لعزير دين الله فكرى موهنا	لما ألم وقد شغلت بمدحة
حكى وقد كانت لها هي أزيئا	في ليلة حسدت مصايح الدجى
بتنا ثلاثنا ومدحك شغلنا	قللى بها حتى الصباح وشمعتى
لما تشاهرنا عليها الالسننا	حتى هزمننا للظلام جنوده
سهرنا فاصبحنا وأسعدهم أنا	أفناهما قطى وأفنيت الدجى
عنا لنازلة النوائب مضعنا	لله مقدم ماجد أضحى به
مدكان لم يحسن سوى أن يحسنا	أمنت اساءته عداه لانه
فقضيت أيضاً فرضها المتعينا	أتبت غزوتك الحميدة حجة
في الارض خلف بنى الجبائث مشخنا	وجررت أذيال الكتائب موغلا

الاشفاق . وعرف الدركزني ان نقصه مع فضل أبي الفضل باد . وأن أمره مبنى لعمى دهره عنه على غير عمد . فلم يزل يعمل كيده في نكبته . ويتساق بالمسكر على هضبته . وباطن الباطنية في قتله . وفرغ فكره لشغله . فوجده متحرزاً متيقظاً . متحرساً متحفظاً . فبث عليه حبائله . وأدب اليه غوائله . وسير الى خراسان عدة من الملاحدة . فتوصل منهم واحد الى أن خدم في اصطبل الوزير المختص سائساً لدوابه فأراد يوماً عرض الحيل فخر ذلك السائس وهو غريان . وقد خبأ سكينته في ناصية حصان . فأطلق حصانه من يده حتى شغب . واستخرج من ناصيته السكين ووثب . وتعهد مقتل الوزير فأصابه . وعظم على الكرام مصابه . وبضع السائس في الحال تبضعياً ومرتجلاً . وذلك في شهر ربيع الآخر سنة ٥٢١

وما زال الدركزني يتتبع الاكابر منهم من يقتله جهاراً باذن من السلطان . ومنهم من يقتله غيلة بمن يتخذ من أولئك الاعوان . قال : وكان سبب ميل الباطنية الى الدركزني ان الامير شيركير رحمه الله كان مشتغلاً بمحاصر قلعة الموت وقد قارب فتحها . وشارفت الآمال في أخذها نجحها . فلما توفي السلطان محمد وتولى ابنه محمود وتمكن الدركزني من الدولة أعمل الحيلة في استدعاء شيركير ونفس عن القلعة ثم لم يزل يدقق الاحتيال حتى جعل لشيركير عند السلطان ذنوباً اختلقها . ومساوى لققها حتى اعتقل ذلك الامير مع ولده شرف الدولة ولم يزل يطلب غرة السلطان في أمرها حاتئاً سكره وصحوه حتى أخذ رخصة في سفك دمهما الحرام . وأذهب بقتلها قوة الاسلام . واتخذ بذلك عند ذوى الاحاد يداً . واستكثر له من أعوانهم مدداً

به عند عوده من رسالة خراسان . وقد حضر للصلاة في جامع همدان .
فاستشهد قبل ان يشهد السلطان . وذلك في سنة ٥١٨

قال وكان حينئذ بالموصل آق سنقر البرسقي . الغازي المجاهد النقيّ
النقيّ . فدخل في وزر ذلك السعيد الوزير الشقيّ . فانه كان قد قمع أهل
الاحلاد . وغمه أمر هذا الوزير الذي سد باب السداد . وتوسل الوزير عند
السلطان في عزله فلم يقدر . وبالع في كل مكيدة ولم يقصر . ولما أعياه
أمره استدعى اخوانه من الباطنية . حتى جلسوا له في جامع الموصل بزى
الصوفية . وقفزوا عليه وضربوه بالسكاكين . فجلّ به مصاب المسلمين .
وذلك في ذى القعدة سنة ٥٢٠ . وكان وزير السلطان سنجر في ذلك العهد
الاجلّ معين الدين مختص الملك أبو نصر أحمد بن الفضل بن محمود وقد
مضى ذكر كرمه وفضله في زمان السلطان محمد وتولاه ديوان الاستيفاء .
واقدم كان موثلا لاهل الرجاء . وهو من ممدوحى القاضى أبى بكر الأرجاني
وله فيه قصيدة صادية أولها

روّحاً ساعة متون القلاص واحفظا وقفة بتلك العراص
يا خليلي من سراة بنى الاقسيال والغر من بنى الأعياص
واسياني فلا أخلاء قدما بالتواصي في الننايات تواص
كيف أشكو خطباً ومختص ملك الأرض أضحي بالقرب منه اختصاصي
وإذا استنصر الهمام أبو نصر أطاعت لنا الليالي العواصي
ذوندى يستهل كالديمة السكب ونشر كالكوكب الوباص
وبنات يريك للقلم الننا حل فضلا على القنا العراص
قال : فأنف من وزارة الدركزنيّ بالعراق . ولقد كان على الدولة شديد

وعدمت الملاذ لاجل الملاذ . فلما وصلت الى حضرة اخلافة وجدت
الاکرام . والانعام والاحترام .

— ذكر وزارة الدرکزینی فی سنة ٥١٨ هـ —

قال : لما وضع عليه اسم الوزارة . تبدلت الغزارة بالوزارة . وهو أول
فلاح ترك العمل بالقدان . فدان له عمل الترك . وحل البقر عن الملك . فخل
فی دست الملك ففتك وهتك . واستباح الدماء وسفك . وشرع المنكرات .
وانكر المشروعات . وعادی الکرام . وبدد النظام . وظاهر الباطنية . وأظهر
السنة الجاهلية . وشرع فی الفتك بالاحرار . والهتك للاستار . فمن جملة من فك
به القاضي زين الاسلام أبو سعد محمد بن نصر بن منصور الهروی وكان
أوحد دهره . ونسیج وحده . والمعروف باسداء المعروف . والمرجو لاعداء
الملهوف . وهو حبر العالم وبحر العلم . والحاكم بالعدل والعاقل فی الحكم .
وقد ملك من قلوب السلاطين القبول . ولم يروا من نصحه واثارته العدول .
وكان من متعصبی عمی العزیز . المخصوصین فی الفضل والافضال بالتبیز .
فتقررت له بعد وزارة الدرکزینی رسالة السلطان الاعظم سنجر . وسار الى
خراسان فی البهاء الابهر . والجمال الاوفر . فصعب علی هذا الوزير أمره .
وتقسم سره . وعرف انه اذا حضر هناك انهتك ستره . فانه كان موه
ولبس . وأخفی أحواله عند السلطان سنجر ودلس . فعرف ان الهروی
یهريه . وينزع لباس ثلبیسه ويعريه . فقرر مع عدة من الباطنية أنهم فتكوا

كما قيل

نزلت على آل المهلب شائياً غريباً عن الاوطان في زمن محل

فما ذال بي احسانهم وافتقارهم والطافهم حتى حسبتهم أهلي

قال : ويعنى أنوشروان بآل المهلب الامام صدر الدين عبد اللطيف بن محمد بن ثابت الحنبدى باصفهان وكان أجود الامجاد . وأعجب الاجواد . فلما ضافه أنوشروان أكرم مشواه . وقبله وآواه . قال : قال أنوشروان فصرف الى الاصدقاء المهم وحقق اكرامهم عندى السكرم . واستقرضت من تاجر غريب جملة . وكتبت له على وثيقة لجأنى بعد حين انسان وقال مخدومى عزيز الدين يسلم عليك . وقد نفذ هذه الوثيقة اليك . وقال لك ابطلها فان الدين قد قضى . وصاحبه قد رضى . فعجبت كيف توسل فى اسداء هذه اليد الى . وافضاله على . فبقيت مدة فى تلك الضيافة . آمناً من المخافة . سالماً من الآفة . حتى استدعانى السلطان بعد قتل الوزير . وأهلنى للتدبير . فامتنعت أياماً . وطلبت من الخطر زماماً . ولما وصلت الى الدركاء رأيت كلا من الجماعة . يقول ما استحضر الالسبب . وما استقدم الالارب . قال : فراجعت فكرى . وندمت فى أمرى . وقلت أعمال السلطان عوارى لا بد من ارتجاعها . وملابس لا بد من انتزاعها . ولو خلصت فرحت فرحت . ولو استخرت الله فى الانزواء لاسترحت . وكان السلطان فى الاذن لى متوقفاً وأنا قد ملت الى الوحدة والانفراد . وقصرت همى على هذا المراد . فما زلت به حتى استأذنت منه فاذن فى الانصراف . وخصنى من مواعيد عوائده الجميلة بالالطاف . فساعدنى أرباب الدولة من الخيل وغيرها بما حمل أثقالى . ومن الازواد وغيرها بما ثقل أحمالى . وتوجهت من أصفهان الى بغداد .

ابن حامد وكان حينئذ مستوفى المملكة وجاذب زمامها . ومالك، نظامها .
فسكن السلطان اليه . وعول عليه . وعرض الوزارة عليه فاباها . ووجد
مغارس المملكة ذوية فرواها . وقال أنا أنفذ أمورك وأوامرك . وأصني
مواردك ومصادرك . ولا أدع مصلحة تقف . ولا منفعة تنصرف . لكنتي
لا أتمم بالوزارة ولا أئخذ وزرها . على اننى أئخذ أمرها . فاذا حضر صديق
أبو القاسم الانساباذى جملة صدرها . وما عرف ان صداقته عند عوده تعود
عداوة . وانه يجبر مرارة سم ماضنه حلاوة . فبكث سنة بالمناصب متوحداً
وبالمراتب منفرداً . وعاد السلطان الى مقر ملكه محبواً بالظفر مجبوراً .
محمود الاثر مشكوراً . واستمر الشهاب أسعد الطغرائى فى الإنشاء ومنصب
الطغراء . ولما عاد الدرگزى قال العزيز للسلطان « قد وصل من يكفل بالامر
ويكفى فى الحل والعقد . فانهضه للوزارة فانى غير ناهض بأوزارها .
واتركنى ومضائى فى غير هذه الخدمة ولا ثقتانى بمضارب مضارها . وأنا ان
خلت الوزارة اسماً فما أخليها نظراً . واعذقها بسواى وأكون عليه بحكمي
مستظهِراً . فيكون أبو القاسم لي قسيماً . وأصبح أنا له مقعداً فى المصالح
مقيماً » فقال السلطان « ما أعرف سواك . ولا أول الا على حجتك وحجلك »
وسياتى ذكر الحال فى ذلك

قال أنوشروان : وفى تلك المدة استدعانى السلطان الى بابه وانتهت شدة
حالي . وانقضت مدة اعتقالى . واتقذنى اللطف الربانى من كيد الخصوم .
وعرفتني التجارب انه لا محيد من المحتوم . وعلمت انه لا يجدى طالب
العز فى زمان الذل . ولا يوجد الخصب فى سنة الازل . وصممت فى
الاعتزال حد العزم . ونزات على آل المهلب ذوى الكرم والفضل والعلم

• تقاطعة • مبلغها أربعون ألف دينار فبطل حق تلك المواضعة بوضع الباطل •
 وطال المقام في تلك البلاد لدفع البلاء • ورفع الأهوال والأهواء • وكان هذا
 القرار على شروان من عهد سلطان ملكشاه بن الب أرسلان فانه لما عبر على
 أرآن وصل الى خدمته الملك فربرز صاحب شروان بعد امتناعه والتزم بحمل
 سبعين ألف دينار الى الخزانة وما زالت المسامحات تدخل في القرار • الى أن
 وقف على أربعين ألف دينار • فباء الوزير بالوزير • وقبح الذكر • ولم يحظ في
 مدة سنة واحدة من وزارته بما يذكر به الا حبس أنوشروان • وتخريب
 شروان • ولما أبصر السلطان اختلال الأحوال • واختلاط تلك الاعمال •
 سخط على الوزير شمس الملك بن نظام الملك وقتله بالسيف صبراً • وذلك في
 آخر ربيع الاول سنة ٥١٧ باب يلقان

قال أنوشروان : وكان الذي جرى على من الاخذ والذهب باب حلوان
 أيضاً في آخر ربيع الاول سنة ٥١٦
 من ير يوماً ير به والدهر لا يغتر به

قال عماد الدين : وسبب قتل هذا الوزير ان أبا القاسم الانساباذي
 كان رسولا عند السلطان سنجر • وقرر من أمر بن أخيه السلطان محمود
 مقرر • وذكر له أن الوزير هو الذي اذهب الهيبة وشتت شمل الاجناد •
 وبث حبل السداد • وتوسل بكل طريق حتى تنجز كتاب السلطان سنجر
 الى بن أخيه في طلب وزيره • وأمره بتسييره • فحار محمود وخشى انه ان
 سيره اطاع على سره • وان لم يسيره اسخط عمه بمخالفة أمره • فأشير عليه
 بقتله • وتسيير رأسه • فبغت الوزير أقوي ما كان رجاء في الحياة ببأسه •
 قال عماد الدين : وعاد حكم المملكة كله الى عزيز الدين أبي نصر أحمد

في كل بلد بالاخيار والاشراف . وسلطوا اقوياء الشرط على المتضوين
قال : وكان قد عزم السلطان في هذه السنة على الغزاة فصدوه وعرضوا
عليه كتاباً . من بعض أمراء بلاد شروان يذكر فيه اننى قد استخلصت لكم
المملكة الشروانية . وأهلها ينتظرون الراية السلطانية . وان الملك شروانشاه
محصور . وان الفرج عليه محذور . فان أردتم تملك الخزان . واستخراج
الدفائن . والاستيلاء على الممالك فاصرفوا اليها الاعنة . وأشرعوا نحوها
الاسنة . فثنوا عزم السلطان الى قصد بلاد شروان فلما وصل وجد الامر
بخلاف ما ذكر وخرج اليه الملك شروانشاه راجياً انه قد عاد عيده . وان
يتحلى بعد المثل بطوق الانعام جيده . فانه كان فقيراً قد قنع الرعية بملكه .
وأنفوا الانخراط في سلكه . فحين وطئ البساط طوى بساطه . وعقل نشاطه .
وسحب وحبس . وغبن وبخس . وانتظر أهل البلد انه يعود اليهم مملوكا
مكملاً . مشرفاً مجملأً . فحين عرفوا الحال أكثروا الصراخ والبكاء . وأثاروا
الرجال والنساء . وخرّبوا الجامع ورموا منارته . وشعثوا البلد وأذهبوا عمارته .
فما نفعهم ذلك وجرت عظام ثأف منها العظماء . واجترحت كبار ثأبها
الكبراء . وجرت ذلك الخبط خطباً . لم يدع يابساً ولا رطباً . وطمع الكفار
المشاغرون فأغاروا . وأبادوا الاعمال وأباروا . وقتلوا خلقاً من المسلمين ونزلوا
قبالة السلطان في ثلثين الف عنان على فرسخين لكن الله تدارك رمق
الاسلام . بكسر أولئك الاغنام . ونهض السلطان محمود اليهم محموداً .
ولم يدع في هزمهم مجهوداً . وعاد منصوراً مسعوداً .

ولما حبس الملك وقع الشروع في مصادرة الرعية فلم يحصلوا على طائل . ولم
يظفروا بحاصل . وكانت للخزانة السلطانية . في كل سنة على الاعمال الشروانية .

المطاع . لما رعيت حرمة أولئك الرعا . ولما دوا وحكوا انهم لقوا منى رجلا .
ولركبوا من الخوف الايل جلا . فامتثلت الامر وسلمت اليهم موجودى
وخرجت من مالى كالشمرة من العجين . ووقع الهجان بتوقيع الهجين .
وسلمت نفسى الى الحبس . وبقي امرى على اللبس

قال : عدنا الى الحديث عن شمس الملك بن نظام الملك قال : فعاد الملك
به الى أدنى استقامة . ووجد الى كفايته أيسر استقامة . لكنه لم يطو بساط
الظلم والمصادرة . ولم يقبض عن التعمدى الايدى المتجرئة على المبادرة .
وكان الى الناس مبعوضاً . ولحقهم متعرضاً . فلم يكفه ذلك حتى استتاب بغيضاً .
واستطب لمرضه مريضاً . وهو الكامل ابن الكافى الاصفهائى الذى مضى
ذكر مخازيه فى وزارة الخطير . ووصف بالشؤم والسوء فى الادبار والتدبير .
وهذا الكامل ما ناب عن أحد الانابه خطب مبير . ودعاه ملم كبير . كما
قال البحتريّ فى سعد حاجب عبيد الله

يا سعد انك قد خدمت ثلاثة كل عليه منك وسم لائح
وأراك تخدم رابعاً لتغييره فأرق به فالشيخ شيخ صالح
يا حاجب الوزراء انك عندهم سعد ولكن أنت سعد ذابح

فبدأ هذا النائب فى الاول بأخذ مخلفى الوزير المستشهد وكانت خزانته
قد نهبت . وذخائره قد ذهبت . وهم فى بيوت الاحزان . يرجون عواطف
السلطان . فلم يرض لهم بالعدم حتى سجنهم وحبسهم . وضاعف عليهم مخنم
وعرق عظامهم . وفرق نظامهم . ثم أمر باستمادة الرسوم والادارات .
ولم يقتصر على قطع الصلات . حتى كتب الى جميع البلاد باسترجاع ما أخذه
أرباب الصدقات لستين . ومن اخذ عرضا باداراه ألزم برده العين . فوكلوا

والكسوة والطعام . رتعل الآداب وحفظ القرآن . ومعرفة الحلال والحرام
وصح له التحكم على الوزير . باحكام التدبير . وتولى ديوان الطغراء والانشاء
الشهاب أسعد وكان معلما السلطان في أيام والده وتجز حظه انه يوليه الطغراء
اذا انتهت اليه السلطنة ولما تولى لم يتغير عليه وبقي الى آخر عهده في الطغراء وتولى
أبو القاسم الانساباذي ديوان العرض وكان أنوشروان عارضا وهو غائب . وفي
مقامه عنه نائب .

قال أنوشروان : كنت انا قد تخلفت في بغداد في ذلك الاوان لشغل
أقضية . وأمرأ مضيه . فاجتمع هؤلاء القوم واغتموا غيبتى . وأخذوا باخذني
وتعويقي توقيعاً . وشنعوا على عملي وعملوا شنيعاً . وكان مضمون المثال السلطاني
ان الامر المطاع أعلاه الله ان أنوشروان ان كان في حدود بغداد ألزم بيته
باب المراتب . وسدت عن لقائه طرق الاقارب والاجانب . وإن كان قد
وصل الى بلاد اجل فيقعد في ولاية الامير برسق بقدة كفراس . ويشترط
عليه ان لا يطلب المنصب والمماش . ويحضر ماليكه الى الدركاه لينتقلوا الى
الخواص من الامراء . ويحمل ثقلهم عنه مع الانزواء . قال وكان المثال
بخط الوزير وقد مد الطغراء عليه أسعد وعلامة الوزير فيه أحمد الله على نعمه
وتوقيع السلطان اعتصمت بالله وما وجدت من أنسب اليه هذا القصد غير
العزير . فان الآخرين كانوا مسخرين له وهو المتوحد بالتميز والتبريز . وكتب
الوزير بخط كاتبه ان شغل العرض قد فوض الى العميد الاجل الاخزين
الدين ظهير الدولة أبي القاسم يسنى الدرزيني فتختم جميع دفاتر العرض
وأوراقها وتنفذ حتي سلم اليه

قال : وأنهم ضوا الى طريق جماعة من النرسان لولا اعظام الامر السلطاني

بعين العيافة . مقبل على الآخرة والتقوى قد ألبسته شعار المخافة . وتولى أخوه
نحر الدين محمود الاعمال الفاخرة الى آخر زمانه . وظهر قدر مكانه . وقدرته
امكانه . والعرض الزاهد فيه زاهد . وفي صرف جاهه عنه جامد . وكان بينهما
تضاد . وتباغض في الدنيا لا تواد . وعضد الدين يرجع الى فضل وافر . ووجه
عن الحق والحقيقة سافر

قال عماد الدين : عدنا الى ما ذكره أنوشروان

ذكر وزارة شمس الملك بن نظام الملك

أنشد أنوشروان فيه متمثلاً

لئيم أتاه اللؤم من عند نفسه ولم يأت من عند أم ولا أب
قال : قال لما صرع الكمال . واتسع المجال . سمت همة شمس الملك لطلب
الوزارة . وخطب عروسها مع المبرز عن افتراء البكارة . فاجتنب لبأسها . وأنارت
شمسه من مطلعها . وورد على الظماء البرح عند مشرعا . وتولى عزيز الدين
أبو نصر أحمد بن حامد منصب الاستيفاء . وقد نضل بالفضل والكفاية جميع
الاكفاء . ومن جملة مبتدعائه في الخير انه جعل للمعسكر السلطاني بيارستان
محمل آلاته وخيمه وأدويته والاطباء والعلماء والمرضى مائتا بختي ومن جعلها
أيضاً انه بني بمحلة العتّابين ببغداد مكتباً للايتام . ووقف عليها وقوفاً مستمرة
الجدوي على الدوام . والايتام مكفولون منها الى ان يبلغوا الحلم بالنفقة

وكذلك هيت والانبار وأعمال الفرات والرحبة وعانة وكذلك أعمال الموصل ونصيبين والخابور قد تغلب على كل منها أمير والذي بقى للسلطان أقطع جميعه . وما انحفظ ربه . وانخفض رفعه . ولما لم يكن للسلطان خاص لم يكن له عمال وبطل الديوان . وتدون البطالان . فانه لم يبق للديوان شغل الا أخذ أموال ذوى اليسار . وإسعاد نار الاعسار .

وقال عماد الدين في ذكر كمال الملك الوزير : وبينما هو وزارته في ريعانها . وسعادته في عنفوانها . ودولته في كمال سلطانها . فلم يشمر حتى عاجله القدر بجاءه فجأة . واستحال في الحال كل مسرة مساة . وذلك في سنة ٥١٥هـ فان السلطان خرج من بغداد عائدا الى همدان . فتخلف عنه الوزير يوما على انه يتبع في غد السلطان . فلما بكر ركب وقد رتب الموكب والسيوف بين يديه مسلولة . والغاشية محمولة . فوثب عليه قوم من بعض تلك الدكاكين . وضربوه بالسكاكين . فحمل جريحاً . وبقي في حجرة من غرف السوق طريحاً وأحضر من يداويه . واستقل بالجرح آسيه . فلم يحسوا الا برجل قد قفز من السقف . ونزل عليه بمديّة الختف . فأنلف مهجته . ومحا من الزمان بهجته . فتولى عمي الرزيز حنظ مخلقيه . وحلم عنهم حد الزمن السففيه . واستشهد وله ولدان أحدهما عضد الدين محمد والآخر نخر الدين محمود فتمصب الولد الكبير ذى الفضل الاوفر . والاعتقاد الانور . والدين المتين . والعلم واليقين . فولاه السلطان أشرف المناصب . وأرفع المراتب . فزهد في الدنيا مع القدرة . وسلك طريق لانكسار والقناعة بالكسرة . قال عماد الدين : وهو الى اليوم من سنة ٥٧٩هـ حسن السيرة . صافى السريرة . خشن العيشة . قال للمعيشة . يلبس السمل البالى ويألف المنزل الخالى . ويأمر بالمرروف . ويأخذ بيد المملوف . ينظر الى الدنيا

فما زالوا يحسنون منابه بالباب . ولا يصوبون رأيه بالاغباب . فلما ركن الى ركنهم وركب . وكرب ان يجلو بقاء السلطان عنه الكرب . جردوا اليه ثلثمائة فارس فاعترضوه . وأخذوه من طريقه وقبضوه . وكان الامير قيصر تولى بابداء الود اخفاء ختله وختره . فحمله الى قلعة يقال لها فرزين فاعتقله . وأحكم قيده وثقله . وهي قلعة منيعة . والعة رفيعة . تمدها النجوم من اترابها والسماء من أسبابها . فلطف الله به . وأوضح له مذهب مهربه . وذلك انه توسل حتى اشرف على السور . في جنح الديجور . وألقى بنفسه من المكان العالي . وفعل فعل الآيس من حياته السالى . وسلمه الله حيث لا ترجى السلامة . ونزل نزول الغيث حدرته الغمامة . وتوقل في تلك العقاب . وتسلم من تلك الشامب . ووقع الى ولايته . وسر الناس بعود الانس والسرور بعوده الى بلده . وعلموا ان خطى الخطوب لا تصل في طورها الى طوده . وكانت عاقبة الامير قيصر انه ضربت ببغداد رقبتة . وأودت به في سبيل العقوبة عقبته

قال انوشروان : وكان الملك في عهد السلطان محمد مجموعا . وجانبه من الاطماع ممنوعا . فلما صار الى ابنه محمود فرقوا المجتمع . وضيقوا المتسع . وجعلوا له فيه شركة . ولم يتركوا له منه مسكة . وذلك عند حضور السلطان سنجر فأول ما اقتطعه سنجر لحاصه ما زنديران وطبرستان وقومس والدامغان والرى وذبأوند وأعمالها وما أفردوه للملك ركن الدين ظفر بن محمد ساره وآبه وسارق وسامان وقزوين وأبهر وزنجان وجيلان والديالم والطاقان . وللملك ساجق اخيه ولاية فارس بأسرها وشطر من أصفهان من الخوز . وتغلب الامير ديس بن صدقة بن منصور على البصرة وأعمالها والمضافات اليها من البطائح

قال : وفي سنة ٥١٣ جرى بين السلطان محمود وأخيه الملك مسعود مصاف بقرب همدان . وكان النصر فيه للسلطان . وذلك ان الملك مسعود كان مسلماً الى الامير جوشبك وهو آنا بكه بالموصل وعسكر الشام وديار بكر في خدمته . وهو ينعت في ملك الغرب لحد مملكته . فجمع آتابك جوشبك جيوشاً كثيرة وجعاً جمّاً فغير اوطمع في أخذ السلطنة وجعل الاستاذ اباسماعيل وهو مؤيد الطغرائي وزير مسعود . ولم يعلم انه لا يتمكن فيها من مسعود . فعلم السلطان بحشده فجاء في حشره . وجاء جوشبك بمسعود تحت جتره . ولما اصطف الجمان . وكاد يلتقي البحران . ويجتمع الصفان . بصر مسعود بأخيه محمد فحن اليه . وضبطه جوشبك فلم يرج عليه . وصاح ايجي ايجي وهي كلمة بالتركية للاخ الكبير . فتشوش على جوشبك جميع ما قدمه من التدبير . وساق محمود ووقف الى جنب السلطان محمود أخيه . وأسلم للسلب والنهب جميع ما كان معه من جنوده ومواليه . فأول من أخذ وزيره الاستاذ أبو اسماعيل الطغرائي فأخبر الوزير كمال الملك به فقال للشهاب اسعد وكان طغرائياً في ذلك الوقت نيابة عن النصير « هذا الرجل ملحد » فقال الوزير « من يكون ملحداً يستحق ان يقتل ظالماً » فقتل ظالماً . وقتل من الفضلاء الاكابر الاستاذ زين الكفأة أبو الفتح وكان وزير البرسقي فأحسن محمود الى أخيه وأعادته الى عظمته ورتب آخر لا تابكيتته وخدمته

قال : وكان من بقية أولاد ملوك الديلم في الخدمة السلطانية المغيشية الملك عضد الدين علاء الدولة أبو كاليجار كر شاسف بن مؤيد الدولة علي بن شمس الملوك فرامر بن علاء الدولة وكان من السلطان بمنزلة الاخ . وقد انزله بالحل الاشمع . وكان مع ذلك محترزاً من حاسديه فلزم بيته في مدينة يزد

ذلك الطائر المشوم قنفصه . وكان مجبوساً في موضع سبيل الخلاء نخل سبيله
فقدّر الله ان الشافع فيه بعد عشر سنين كان قتيله . فما عرف والدى ولا عمتي
رحمها الله انهما يسعبان في قلع البيت بخلاصه . ويحصلان بتيسير أمره على
تعبير أمرهما واعتياصه . فقد كان هذا أبو القاسم للدماء سنّاً كا . وبالكرام
فتّاً كا . وتفرّس فيه الوزير كمال الملك الشر فأراد أن يريح الناس من غائلته
وأراد الصحيح فما صح له ما أراد . ومابدا من الدر كزني ما بدامنه لوباد .
ولكن القدر لا يطاق . والمقدور ما يعاق

وأصلح الوزير بقتل علىّ بار قلوب الجماعة . واستألمهم الى الطاعة . فقد
كانت في نفوسهم منه احن . وتمت عليهم باستيلائه محن . فوجدوا بانزعاجه
الثبات . وبقتله الحياة . وتقدم الامير قيصر وترقت درجته . وقامت بالقيام
في الدولة حجته . وارتفع شأن أمراء كانوا متضمين وتحالفوا على طاعة السلطان
وترجيح جاذبه . والاضراب عن مقاصد عمه سنجر ومطالبه

قال انوشروان : فشرع الوزير في المصادرات . وسمى ديوانها ديوان
المفردات . قال عماد الدين : ولم يكن كما ذكر . ولا على وفق ما أنكر . وانما
طالب اصحاب الامير علىّ بار بأمواله . وأمر بمحاسبة عماله . والبحث عن
اسبابه وأحواله . وأعاد رونق سلطنة العراق غصّاً . وضم من نشرها ما كان
منفضاً . وخرج في خدمة السلطان من اصفهان على عزم بغداد . وقد حكمه
في الامر وأعطى حكمه النفاذ . ولما قبض الدر كزني وعزل وليّ الوزير كمال
الملك منصب الطغراء أخاه النصير . وناط به ذلك المنصب الكبير . وكان النصير
رصيناً . ثقیل الطبع رزيناً . ولم يكن فيه ما كان في أخيه الوزير من التلطف .
والتطفل على المكارم والتعطف . وكانوا يقولون نعم المولى وبئس النصير .

صعب عليه انحطاط حظوظه الى الخضيض . وانحراف مزاج شغله للحظ
المريض . وعرض للوزير كمال الملك بايات غير واقعة في موقعها . وتمثل
بتثيلات باردة ليست في موضعها . وكأنه ما سمع للقاضي ابي بكر الارجاني
فيه قبل ان يلي الوزارة وهو مشرف المملكة قصيدته التي يقول فيها

دع عنك يمنى ويسرى غير مجدية واقصد أمامك واطلب منتهى السبل
واعلم اذا قلت رد بالعيس بحر ندى أنى على غير عز الدين لم أحل
البحر أسماؤه شتى وأشهرها على اصطلاح بنى الآمال كف على

قال عماد الدين رحمه الله : سمعت من والدي رضى الله عنه انه لم يكن
في وزراء الدولة السلجقية أكل من كمال الملك حزامه . وصرامة وشهامة .
وكتبه بالفارسية تدل منه على فضل عزيز . وعلم كثير . ومن معانيها تعرف
قواعد الوزراء وقوانينها . وهى رياض ناضرة للناظرين ازهارها . فاغمة للمستشقين
باليارباحينها . قال : قال انوشروان فأول ما شرع فيه الوزير كمال الملك من أمر
وزارته أنه لما وصل الى أصفهان . تقدم بقراءة منشوره بوزارة العراق من
خراسان . ثم دبر فى قتل الامير أحمد بن بغراء . وبعث السلطان على القتل بالامير
على بار وأغري . حتى أفلت منه هربا . واتخذ الليل جملا وادج رعبا . فأركب
وراءه من رجل نفسه عن بدنه . وأخرج روحه من جسده . ووكّل بوزيره
الدركزنى واعتقله . وهم بأن يقتله . قال عماد الدين رحمه الله : قال والدى وكان
الدركزنى حينئذ صديقى فاستدعاني ولما بصرتى دعا على نفسه بالويل
واستجار بي وأخذ منى بالذيل . فقال « أسألك ان تتوسل لى فى أمانى من
القتل فقد أيقنت انى . تموت . وان لم تنصرنى فانى لاشك مخدول » فشغمت
فى حقه الى أخى عزيز الدين فإزال بالوزير كمال الملك حتى خلاصه . وفتح على

وعلى بار ووزيره . على ما يتم به تقرير أمر السلطان محمود وتديره . وأنه يجب ان يترك رسم السلطنة احتراماً لعمه . وأن يكون مدة مقامه عنده بحكمه . وذلك انه اذا استقبل بجنب السلطان يركبه ليحسن أدبه . وانه ينتقل من نوبتيته الحمراء . نوبتية بيضاء في سوداء . وانه يأمر بإبطال ضرب طبله . ما دام في ظله . وانه اذا دخل على عمه قبل الارض وانه يقوم عنده على قدمه وانه يمشى في ركاب عمه راجلاً من الباركاه الى السراشق . وانه لا ينفرد عن عمه بسراشق . بل ينزل في جوار خيمه . وفي موضع أولاده وحرمة . وأن يبقى عشرين يوماً على هذه القاعد ليستعطف عمه في عود مرضيه المتباعدة

قال : وكان من حلم سنجر انه يُغضى عن يغضب . ويجدى على من يجذب . فصفع عن كباثر ذنوبهم . بعد ما تصفح سرائر قلوبهم . وأفاض عليهم الخلع . واصطفي كلا واصطنع . وكتب منشوراً للوزير كمال الملك بتقريره على الوزارة . ومنشوراً للملّى بار بتمكينه في الامارة . ومنشوراً لابى القاسم الدرگزى بتمنصب الطغراء والانشاء . ثم انهم طلبوا من السلطان سنجر خلوة حسنوا له فيها من سفك الدماء كل قبيح . وأعلوا عنده كل صحيح . وكان من جملة من ضربت رقابهم الامير منكوبرس وقراتكين القصاب . ثم قفل السلطان سنجر بعساكره الى خراسان . وقرر عليهم ان يبسطوا العدل والاحسان . وعاد الوزير الكمال . وله الأبهة والجلال . والدرگزى في ديوان الطغراء . وشمس الملك بن نظام الملك في ديوان الاستيفاء

قال : وكان عمى العزيز في ذلك الوقت ينوب في الوزارة والاستيفاء والوزير كمال الملك لا يرجع الا الى كماله . ولا يعول الا على اشتغاله . بل السلطان لا يأنس الا به . ولا يصغى الا لخطابه . قال : ولا شك أن انوشروان

السبق . وأن يكون هو الذى يتولى بالرِّثق والفتق . فقال للسلطان « هذا عمك فى مقام والدك وله عليك حقوق . وعصيانه عقوب . ومن حسن الادب استعطافه . واستجداد رضاه واستئنافه . وانا امضى اليه لامضاء الالية . وارضائه بالكلية » وخاف انه ان وصل الدرگزنى يصير الامير على بار للامر متولياً . ويبقى هو عن الشغل متخلياً . وانه يصير تابلاً . وماءه غائضاً . وماء جاه الدرگزنى نابلاً . فتوجه الى الرى . من جى . وقطع الطريق بالنشر والطفى . ولقى الدرگزنى فى طريقه . وأخبره بتوثقه من السلطان سنجر وتوثيقه . فلم يرجع على تصديقه . وقال له « انى قد قضيت الشغل فلا تتعب . وعرفتهم زهدنا فلا ترغب . فاجتهد بكل طريق فى اعادته عن طريقه » فما التفت ولا اكثرث . وأخذ السير ومالبت . فمضى الخبر الى السلطان سنجر بأن الوزير كمال الملك قد قدم . وان ابن اخيك أرسله اليك لعذر لما ندم . فسرّ بذلك وأمر الامراء باستقباله . واحتفل فى حفله لتوفير اقباله . وأبصر الوزير من تعظيم خطره ما لم يخطر بباله . فحبط عمل وزير على بار وبار . وانهدم كل ما كان بناء وانهار . وأخذ يد السلطان على شدة أواخيه . لابن أخيه . واعلمه بارادة الوفاق وتوخييه . واستوثق منه فى كل ما استوقفه . واستدرك بالروية فى رأى كل ما فاته واستلحقه . وأقام الوزير وسير الى سلطانه من عنده رسولا يستدعيه ويستحثه . ويعلمه ان عمه لا ينتظاره اطلال مقامه وابشه . فأقبل محمود الى وزيره حامداً . والى عمه وافداً . فأكرم وفادته . وأنجح ارادته . ولم يجد على بار بداً من الاتباع . وحضر ضيق الذرع قصير الباع . وخرّ لتقبيل الترب . واعترف بالذنب . فأبدى له السلطان الرحيم صفحة الصفح . ومنحه العفو وأعفاه عن المنح . ثم اجتمع كمال الملك

في المعركة جماعة مبرأون . وسلم المجرمون . فلما أصبح السلطان سنجر سأل عن ولد أخيه . ولم يحمد ما كان من تأخره عن حضرته وتراخيه . فإرسال اليه رسولاً ليقبض زعره . وبسط عذره . وانه يؤثر حفظي قلبه والانس بقربه وتنفيس كربه . وانه يتدراك ما فرط بالتألفي . وانه يتم التقصى عن عهدة تلك الهنات بالتصافي . فاستخّر الله ولا تستأخر . واستأثر لقاء من على لقاءك لم يستأثر .

وكان أحاط أولئك المذمومون بالسلطان محمود لا يهدونه الى الصواب ولا يصوبونه الى الهدى . ويصدون عنه رى الرى ولا يروون منه الصدى . وكان قد سبق أبو القاسم الدرگزى صاحب الامير عليّ بار الاعظمي خضر لاصلاح أمر صاحبه وأحضر قدراً من المال الذى اختزله من الخزانة السلطانية فنثره وبذره . وقدم الرشى حتى أمن ما حذره . وأراد أن يكون هو المتوسط فى الصلح والصلاح . والمتحدث فى الانجاز والانجاح . وكان السلطان يؤثر أن لا يطول مقامه فتقتل وطأته . وتكثر مضرته . ولم ير أن يترك البيت متداعى البنيان غير معمود . ويريد الانصراف راشداً وقد طالت عليه غيبة محمود . وما صدق بحضور الدرگزى على بابيه . وظن انه قد حصل من النجح على ابابه . فأمر باحضاره فلما بصر به قال « اين علىّ بار فانه لا امر ولدى ضمين » فتلا « انا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقويّ أمين » قال « فإني ولدي » قال « انا آتيك به قبل أن يرتدّ إليك طرفك » وانه يسمعه عطفك وعزفك » فندبه الى اصفهان لاحضارهم . وأجري الامور على ايشارهم . فبلغ الوزير كمال الملك السميرميّ انس الدرگزى بالخضرة السنجرية وانه اصل بالجرأة . فسبق بالرأى ورأى

— ذكر وصول السلطان الاعظم شاهنشاه المعظم —

معز الدنيا والدين أبي الحرث سنجر بن ملكشاه يمين أمير المؤمنين
(من خراسان الى حدود العراق وظفره وعفوه وعوده)



قال : فأنتهى الى هذا السلطان المعادل . الكامل الشامل . المحبوب
الشماثل . ان أمر ابن أخيه محمود غير محمود . وان ملكه ان لم يتلاف مؤد
الى التلاف مؤود . فصوب رايته صوب الرى . ونشر لواءه ليعيد اللأواء الى
الطى . وكان كالشمس أضاءت من مشرقها . وأثارت من أفقها . فلما أطل
عسكره على العراق . وسد عثيره جوانب الآفاق . برز السلطان محمود
سرادقه . وعرض فيالقه . ولم ينب أحد فى تلك النوبة من العساكر .
ونلاطمت أمراج بحارها الزواخر . وكان مقدمي عسكر السلطان الاميران
الاصفهلاران على بار ومنكوبرس وبينهما تباين . وتضاد وتضاغن . فلاجرم
لاختلاف رأيهما . واختلاط أهوائهما لم يستقم تدبير . ولم يتسدر تقويم .
ولم يتضح فى المصلحة تأخير ولا تقديم . ودرج الوزير الربيب فى تلك الايام .
وسكن فى حمى الحمام . وتولى الوزارة كمال الملك أبو الحسن على بن أحمد
السميرى وذلك فى سنة ٥١٢ وذلك قبل المصاف بين السلطانين بثلاثة أيام
وجرى أمره على نظام . فى غير وقت انتظام . وكان العسكران مشغولين
بالتعبية فلما التقى الجمعان . واختلط النعمان . انهزم عسكر محمود وكسر جيشه .
وانكسر جأشه . ولما ضل عن النار فراشه . ظل كأنما على النار فراشه . وقتل

بار الى خزائنه فاخذ صناديق الجواهر النفيسة واليواقيت الثمينة فاودعها عند وزيره الدرگزى فلما قتل على ما سذكروه حصل بها ولم يسأل أحد عنها

قال عماد الدين : وأذكر طرفا من هذا الانساباذى وأنسابا ضيعة من إقليم الأعلم قريبة من دزگزى فنسب نفسه الى درگزى لانها أكبر قرى تلك الولاية . ومعظم أهلها أهل الاباحة والغواية . وأكثرهم من المزدكية الحرمية . وشرهم شائع فى البرية . وكان أبوه فلاحا منهم فجاء به الى أصفهان وعلمه الخط . والجرأة والخبط . وما زال مخالطا للمتصرفين غمرا ذا غمر . ووترا فى الشر أثار . ما أحسن اليه أحد الا قتله . وما آوى الى جبل الاززله . وأول من استخدمه بين يديه كمال الملك السميرى وعمى العزيز فلقى كلا منهما الامرين . وقابل بالاساءة منهما الحسنين .

قال : وجرى وزير الوقت على تلك القاعدة فى الافساد . ولم يرى مخالفتهم على المراد . وكان من خرقه وخرق أصحابه انهم جعلوا خطاب الامير على بار بوصى السلطان وسيروه أخص ألقابه فانه الزمهم بذلك وقال يجب ان القب به وعزلوا الخطير من شغل الطغراء وناطوا به وزارة الملك سلجق المنسوب الى فارس مع الامير قراجه الساقى . ومقصودهم ان يبعدوه عن الدركاه فلا يقع منهم له التلاقي . وفى كل ما عملوه لم يستظلموا رأى السلطان ولا استأذنوه . وحقوقه واستضعفوه . وتواترت أخبار هذه الفضاخ . وتواصلت أثناء هذه القبايح . فاتحى السلطان سنجر لبيته الذى شرعوا فى هدمه . وتحركت على ابن الاخ الشفيق الشقيق شفقة عمه .

رخصة في قبض الامير الكبير انوشتكين شير كير وهو أمير ذلك المسكر
فرحلوا عن الحصار بغير ترتيب وتبعهم أهل الموت فقتلوا خلقاً . وذهب
الباقون غربا وشرقا . ونقلوا الى القلعة من العدد الكثير والازواد والميرة .
ما يزيد قيمته على مائتي الف دينار . ووصل الامير الكبير كندغدي الى
الباب . وكان عظيما من أولى الالباب . فولود اتابكية الملك طغرل أخى
السلطان ثم حذروا السلطان منه خاف كندغدى على نفسه وعلى ملكه فادلى
به ساريا . وذهب متواريا . فلم يحوها بعد ذلك دار . وصار من ذلك للقب
اشتغال . ولنار الفتنة اشتعال

والمفسدة الثامنة ان الامير قراجة الساقى سلموا اليه الملك سلجق أخا
السلطان وولود بلاد فارس فلما سمع الامير قيصر بقدمه وكانوا قد ولوه
فارس من قبل هرب وحصل عند السلطان سنجر بخراسان وهو مورتور .
ونفت شكايه التي هو بها مصدور

والمفسدة التاسعة انه كان للسلطان ممالك صغار . كأنهم اثار . وكان
عليهم من الحصيان الخواص رقباء . وعلى طوائفهم من جنسهم نقباء .
فاخذ كل واحد منهم عدة واقتسموا بالعلمان الروق . وأقاموا ألف
سوق للفسوق

والمفسدة العاشرة أنهم أخرجوا الجوارى المطربات . والاماء المغنيات .
من دور الحرم الى دورهم . وآثروا حضورهن مجالس حضورهم . وركبوا فى
النسق كل مركب . وذهبوا فى الخزى كل مذهب . وتسلطوا على السلطان
واجترأوا عليه بما اجترحوه . وتمشى لهم بصبوته كل ما اقترحوه

قال انوشروان : ذكر لى انه لما توفى السلطان محمد دخل الامير على

والمفسدة الرابعة ان جماعة كانوا مقيمين فى الخدمة من أمراء
مازندران وأمرأة الشبانكارية وهم جيل من جنس الاكراد فى جانب بلاد
فارس . بلادهم ممتعة . وقلاعهم مرتفعة . وكان السلطان الماضى قد الف
قلوبهم باحسانه . وقادهم باليد الى سلطانه . لانه كانت الطرق منهم مخوفة .
والفرقة منهم مؤلفة . فأساء الدركزبى وصاحبه ومن وازرهما اليهم فاشتطوا
عليهم . فنزروا وعادوا الى حصونهم . فأظهروا من الشر ما كان كمن . وحركوا
من الفتنة ما كان سكن

والمفسدة الخامسة انه لم يخلف أحد من السلجقية ما خلفه السلطان محمد
من العين والاثاث فتصرفوا فيه وتقاسموا به وفرغوا الخزانة من العين .
فى أقرب من شهرين . فلما ذهب الذهب فضا ختم النضة وفضوها .
واستخرجوا وجود الماملات الراجحة واستنضوها . ثم تصرفوا فى المصوغات
من الحلى والاونى والآلات . ثم فى الجواهر ثم فى الثياب . ثم فى الخيل
المسومة العرب . ثم فى الجمال ولم يبقوا شيئاً حتى تفرقوا بأغنام النتائج .
وتقاسموا بالكباش منها والنعاج . فصيروا الملك الآهل قترًا . وأضعفوا
بعد الغنى فقاره فقرا .

والمفسدة السادسة انهم قالوا ان هؤلاء ممالك السلطان لا يطبوا
بطاعتنا نفساً . ولا يجدون بتابعنا أنساً . فاحتالوا فى شت شملهم وراموا كل
سهم منهم الى هدف . وكل سهم منهم الى طرف .

والمفسدة السابعة وهى المفسدة الكبرى ان العساكر التى كانت
مشغولة بحصار الموت وقد شارفت فنحها . وشاهدت نبحها . شرع
الدركزبى فى تفريقها ليليه الى الملاحدة . ووعد لهم بالمساعدة . وأخذ

وقالوا له انا نقصد السلطان سنجر وهو لاشك يتوجه الينا اذا توجهنا للقائه
والرأى ان تأتى أنت من ورائه . فيقع الخصم في الوسط ويحصل في التورط .
وكان هذا رأى القائل . أول ما أدب الادبار وأهبط دبوره . ومحامن
الاقبال حبره وأذهب حبورده . ومن جملة تدبيراتهم المدبرة أيضاً ان الامير
ملك العرب ديس بن صدفه بن منصور بن ديس بن على بن مزيد
الاسدى كان مقيماً في خدمة السلطان منذ عشر سنين وقد سلا عن بلده
وقنع بما في يده . ورضى من السلطان بالرضى . وانقضى طعمه في ملك ابيه
الذي انقضى . وبلاد الحلة والولايات في تصرف نواب السلطان والامير
المجاهد بهروز الخادم الخصى نائب السلطان ببغداد والراعى آمنة والاذايا
مأمونة . والنعم راهنة والذمم بشكرها مرهونة . فبدلوا تلك القواعد
وحلوا تلك المعاهد . وارتشوا من الامير ديس وأعادوه الى العراق .
فقامت الحرب على ساق . وكتبوا ملطمة بالقبض على بهروز . ومحاسبته
واستخراج سر غناء المرموز . وكل هذا عاد بالفساد وفسد الدوائد . وأفاد
التحقيق ومحقق النوائد . والمنسدة اثاثاً ان بلاد فارس كانت على أحسن نظام
وأوفق مرام . وطاعتها شائنة . وشيعتها طائفة . والبذول فيها حاصلة . والحمول
منها متواصلة . واتفق في ذلك الوقت ان عامليها كان حاضراً بأصفهان فأشار
الدركزى على مخدومه بالقبض على العامل . ومطالبته بالحاصل . فأخذه
وعذبه . وما صدقه ان المال بعد ممد بفارس بل كذبه . فلما نعى الخبر الى
أمير فارس طمع في المال وكان مبلغاً وافراً وضمن برده واستوحش . وجاهاى
بالمصيان وأفحش . وكان للسلطان جسر ان بتلك البلاد فاستاقها . وأذخار
فاعتاقها . فاختل نظام الولايات الفارسية بتلك الآراب السيئة والاراء المسيئة

قال أنوشروان : وتقدم الوزير الربيب وصعد الى السرير للتهنئة وتقبيل اليد ونزل وتقدم الخطير بحكم انه كان وزيراً يفعل مثل ما فعل . وكان على كل حال للشيخوخة والتقدمة يستحق ان يقدم ويجل . فزاحمه السكالم السميري وأخره وتقدمه . ولم يعرف سابقته وخدمته للدولة وقدمه . فاقام الخطير رسم التهنئة بعده . ولزم كل منهم في ذلك المقام حده . وأنا أيضاً أقمت رسم التهنئة . ووفيت حق التوفية . وكان السلطان حينئذ في سن الحلم . متوقد الذكاء كالنار فوق العلم . مشرقاً وجهه مع صغر سنه ببناء العظيم .

وفي ابتداء هذه الدولة انتقلت الخلافة الى أمير المؤمنين المسترشد بالله ابن المسنظر بالله رضي الله عنهما وبويع له وجدد تقليد السلطان على الشرائط المشروعة . والرسوم الموضوعة واجتمع أرباب الدولة السلطانية واصطلحوا على التحالف وتحالفوا على الصلاح . وأجالوا بينهم في مظاهره البعض للبعض ضرب القداح . وكان أبو القاسم الانساباذي الدرگزني وزير الامير الحاجب على بار فصار يلقي مخدمه ويفهمه . ويدله على طرق الضلال ويريه انه يرشده . ويقول ان الوزير والمستوفى ينبغي ان يكونا بحكمك . وهذا السلطان صغير ينبغي ان يكون تحت حجر . ولا يأمر الا بأمرك . فادخل في رأسه ما لم يخرج منه في آخر الامر الا السيف . فأول ما دبر انه ذكر للسلطان ان صلاح دولته في افساد عمه . وانه يغلب على دواته برغمه . وكان عمه سنجر السلطان الاعظم عماد آل سلجق وسلطنته ببلاد خراسان الى العراق الى ما وراء النهر الى غزنة وخوارزم والترك قد عمت ونمت . ودواته قد علت وسمت . وهو شيخ البيت وعظيمه . وحافظ عزه ومديعه . فاحضروا الشهاب أسعد كاتب الانشاء وأمره ان يكتب الى خان سمرقند

دولته . وأصحت سماءه . وطاب هواؤه . وصفا مأؤه . وآلت آلاؤه . أن يغنى الفقير
ويجبر الكسير . ويفك قلاع الأسير . ويكف العسير . وينصر الإسلام .
ويكشف الأظلام . ويقلع الملحدين . ويعلى اعلام الموحدين . قبض القضاء يده
وقصر أمله وأمدده . وغيض بحره . وغيب بدره .

بين الصفائح والثرى ريحانة قد كان لي من قربها مستمتع
واذا تذكرت الذى فعل البلى بجمال وجهك جاء ما لا يدفع
قال : وتوفى أمير المؤمنين المستظهر بالله رضى الله عنه بعد وفاة
السلطان محمد رحمه الله بمدة يسيرة وتحوات الدولتان . وتفصلت الجملتان .
وخلف السلطان محمد خمسة بنين وهم محمود ومسمود وطغرل وسليمان
وسلجق وكل منهم تولى السلطنة سوى سلجق وسيأتى ذكرهم فيما بعد
إن شاء الله تعالى

ذكر جلوس السلطان مغيث الدنيا والدين أبى القاسم

محمود بن محمد بن ملكشاه يمين أمير المؤمنين

.....

قال : جلس على التخت مكان والده . واستقر من المالك فى أعلى وسائله .
وأحكم قواعده . وحضر الناس على طبقاتهم للثناء . وجلوه فى دست السنا
والسناء . وقبلوا الأرض . وأدوا من إقامة الرسم الفرض . ووقف العظماء
والكبراء سماطين على ترتيب أقدارهم وقدر مراتبهم . وتناسقوا على درجاتهم
فى مراقى مراتبهم .

وأيقن ان القدر لا يرعى له زمام ما بقى من الدماء . ولم يكن يدخل اليه الا
الامير الحاجب على بن عمر بن سرمة فهو الذي يسمع كلامه . وينفذ بالتبليغ
احكامه . وسمى حديثه وصية وجعل نفسه وصيا . وعد مصدقه مطيعاً
والمستريب برأيه الرائب عصيا . ولما قرب الاجل . وحل الوجل . ذكر الامير
الحاجب ان السلطان أمر باخراج مائتى الف دينار من الخزانة لارضاء الخصوم
واشكائهم . والاستحلال من فقراء الرعايا وأغنيائهم . فقتل ذلك المال
وقبضه . وتصرف فيه على ما وافق غرضه . وكان وزير الامير الحاجب
الكبير حينئذ أبو القاسم الدرگزني ويلقب بزین الدين . فن ذاك المال
تمول . واستكثر العبيد والحول . وكان ذلك مبدأ غناه . وريعان نجاحه .
وأمر العسكر بمبايعة ولى العهد ومتابعته . وطاعته ومشايعته . وانه لا بد من
جلوته على السرير واجلاسـه . ووقوف الامراء على رأسه . وقيل للسلطان
مرضك سحرى . ومضضك خفى . وانما سحرتك زوجتك فاعضل دواءك .
وحملوا السلطان على ان كلها وسملها . وحبسها في بيت ضيق واعتقلها . وأنف
عدة من حواشيها . وعصاة من جواربها . ثم أخرجوا خاتم السلطان وقالوا
انه أمر بخنقها . ودخل اليها من شد الوتر في حلقها . ومن عجيب القدر ومقدور
العجب . ان الزوجين توافيا ساعة واحدة على العطب . فالخاتون في بيتها
خنقت . والسلطان على فراشه نفسه زهقت . وذلك في أواخر سنة ٥١١ وقد
كانت أيامه أيامن للأيامى . ومرامهم لليتامى . ورسومه جائزة غير جائرة .
وأحكامه راضية غير ضائرة . وحصاه رصينا . وحجاه رزينا . ودينه متينا .
وشرع علمه في العمل بالشرع مبينا . وكان رجل السلطانية الكامل . وغلهم
البازل . وله الآثار الحميدة . والآراء السديدة . ولما حسنت سيرته . وكلت

عملا . ولا يستنجد ما طال أمد عمره أملا . وخلوا سبيله وما خلوا له الى
ثروة سييلا . وأخذوا ما كان له فلم يتركوا له كثيرا ولا قليلا . فأفلت بجريرة
الذقن . وعد سلامته من المنح في تلك الحن . فتولي ديوان الاستفتاء كمال
الملك الشميرى . وعلا منه الامر . وحل له المر . واستقل واستقام . وسما
وسام . ورمى ورام . والوزير هين لين . وعجزه عن البشاش بين . وكال الملك
فارس ذلك الميدان . وحاكم ذلك الديوان .

وأما الاستاذ ابو سماعيل الطغرائى فافهم لما لم يروا فى فضله مطعنا . ولا
على علمه من اللقدح مكنا . اشاعوا بينهم انه ساحر . اونه فى السحر عن
ساعد الخدق حاسر . وان مرض السلطان ربما كان بسحره . وانه ان لم يصرف
عن تصرفه فلا أمن من أمره . فبطاوه وعطاوه . واعتزلوه وعزلوه . وعاد
الخطير لذي كان وزيراً يمد الطغراء خطه . ولم يضره عن درجة الوزر حظه
وكان قد خلا دركاه السلطان من الامراء والكبراء فانه كان شغلهم بحصار
قلعة الموت مع الامير الكبير . انوشتكين شركير . ولقد كان شهما شديدا .
وسهما سديدا . وسما ذعافا على العدو . وموتا زوا على اهل الاحاد والعوا
ولولا موت السلطان لتسلط على الموت . ولم يترك فرصة فتحها ان تفوت .
وهو فى ذلك لها حاصر . والله له ناصر . فصير السلطان على ابن عمر حاجبه
الكبير . وأسمى مكانه الاثير . وكان أمير البار يعنى أمير الاذن وأمير البار
هو الآذن عن السلطان اذا جتمع الاكابر . والامير الحاجب الكبير هو لذي
يسمع مشافهة السلطان ويؤديها الى الوزير فهو الناهى الامر

قال : ولما مضى شهر اشتد مرض السلطان وبلغ الرجاء فيه اليأس . ووجد
بالعدم الاحساس . وأصبح يعد الانفاس . وأمر بالحجاب وحجب عن الامراء .

ذكر وزارة ربيب الدولة ابى منصور ابن الوزير

ابى شجاع رحمه الله

قال عماد الدين رحمه الله : ذكر والدى أن أرباب المناصب لما عرفوا ميل السلاطان الى تولية وزير يكفى المهام . ويحفظ النظام . ويكفل الامور العظام . خافوا من استنابته الى بطل بطاش . ومستجيش بثبات جاش . وانهم يبلون إما بذى حنق عليهم . وإما بذى فرق منهم فيدب كيده اليهم . فحسنوا للسلاطان طلب وزير من تربية دار الخلافة فانه ليس بالحضرة من يصلح لهذا المنصب . فاستدعى ربيب الدولة من بغداد الى اصفهان . وسد به المكان . فصار له اسم الوزارة بالوراثة . وكان لاثقاً بتلك الدولة المريضة الملتأثة . وكانت علامته الحمد لله على النعم

قال : قال انوشروان وكان قد بقى من أيام عمر السلاطان مقدار اربعين خمسين يوماً وقد استحصد زرعه . وانتسخ شرعه . فجاءوا بهذا الصنم وودسوه فى الدست . وقصدوا بترتيبه شغل الوقت . واتفق موت الكفأة . وضمهم جبل الوفاة . وتناثروا تناثر ورق الخريف . وتفرقوا تفرق سحاب المصيف . ولم يبق فى تلك المدة اليسيرة من المعروفين كبير . وصوف . ولا من الامراء الا كابر معروف . فصار الاتباع اصولاً . والاقطاع نصولاً . والدراريئ شمساً . والاذناب رؤوساً . ولم يبق فى الدولة من القدماء الا مختص الملك المستوفى . والاستاذ ابو اسماعيل الطغرأتى . فاما المختص فانهم عزلوه واعتقلوه وقرروا عليه خمسين الف دينار للخزانة ثم أخذوا خطه بأنه لا يخطب ما عاش

المنشئ والمشرف يكفيمان بخطى وتمثيلي . ويتأثلان في شغلها بتأيلي . حتي
يُقضى كل مهم . ويُقضى كل ملم . وبقيت الرعية مرعية . والسيرة رضية
مرضية . والدهماء ساكنه . والغبراء آمنة . وطال حبس الوزير تلك المدة .
ولقي الشدة . وكان خلف الزمان رجلين من أولاد الكافي من بقايا السيوف .
وزوايا الحتوف . فحبسها السلطان معه وأختها التي كانت زوجة الوزير على
مائة وخمسين ألف دينار . وسامهم في تلك المصادرة كل خسار وصغار . وباح
السلطان بما كان يُضمره من أمر الوزير ولا يظهره . وكشف الغطاء عما
كان يستره . والزمه بتطليق زوجته ابنة الكافي . ورماده من مفارقتها
بثلاثة الاثاني .

قال : وكانت الدولة السلطانية قد شارفت انقضاءها وانقضاءها . وقارب
خطو انتهائها . لما قاربت انتهاءها . وبدأ بالسلطان مرض طويل اضناه
وأخله . وألهاه عن المملكة وأشغله . ووقع الفناء في أمراء دولته . وأكابر
مملكته . وبقي السلطان من مرضه في ذوب . ومن عيشه في كد وشوب .
فأراد أن يولي وزيراً يوصي اليه بولي عهده . ويستكفي به مهام الدولة حيث علم
أنه لا يستقل بها من يقوم من بعده .



وثاب سروده وثبت سريره . وبقي كذلك متولياً مستولياً . ومتغلباً مستعليماً . الى ان قضى الامير العميد نخبه فسولته وزارتها بالاصالة . وخصته بالايالة . ثم تعصبت له عند السلطان حتى ولته إشراف المملكة فدانت له الامم . وأطاف به الحشم والخدم . وصار السلطان يكتب اليه خطه . ويطلع على حاله . رضاه وسخطه . ثم شوش على أرباب المناصب قلب السلطان حتى تغير رأيه في وزيره الخطير . وردّ وردّه الى التكدير . ونقله من بنى جنسه الى بناء سجنه . ومن مجلس عزه الى محبس عزله . وسلمه الى الامير الحاجب عمر ابن قراتكين ليخرجه ويستخرجه . وليروج ماله ويورجه . قال : ونظم أبو طاهر الخاتوني بيتين فارسيتين عربتهما وقلت

كان حماراً وزيرنا ومضى فما يملك السلطان من خلال
لكنما في صدور دواتنا ليس لذاك الحمار من بدل

وكان شمس الملك عثمان من نظام الملك قد بقي في حبس الوزير سبع سنين فأفرج عنه ليواقف الوزير على أوزاره . ويقرب خطي الخطير الى اخطاره فكان حبس ذلك لهذا فرجا . ودخوله في المحبس له مخرجاً . وجمع لسلطان أمراء دولته وأرباب ديوانه وفاوضهم في وزير يفوض اليه وزارته

قال انوشروان : فأجمعوا على ان اكون المتكلم عنهم بالصواب . والمبلغ للخطاب . وكان رأي مائلا الى مثل ما حكى عن المعتضد . انه كان قد حُرِّص على عبيد الله بن سليمان وسُيِّع عنده عليه . وكان يقول « اذا فكرت فيما ينتقض من التدبير . ويضيع من الامور بين صرف وزير وتقليد وزير . وان كان المتقصد اكفى اضربت عن نكبتة » فاتفقوا ان اكون الناظر في الامور . ومتقصد مصالح الجمهور . ومنفذ الاوامر . وجامع يشمل الاكابر والاصاغر . وان

أُمس من أتباعه . وأريد ان تكتب منشورا بأنهم في اهتمامي . وان امر معاشهم
 ببرم بابرامى « فأجاب السلطان سؤالها . وكتب لها مثالها . فسيرت الكتب
 السلطانية . وأمر بخدمتها الامراء الآذربيجانية . فتبادروا الى بابها بتقيل
 العتبة . ونأمل المرتبة . ووصلوا بالهدايا والتحف . والالطاف والطرف .
 وازدحت على بابها وفود الملوك . واتسق الى قصدها سلك الفج المسلوك .
 فرأت من الدولة شيئا ما رأت . ورعت من الدولة روضا ما رعت . فتبركت
 بموضع كمال الملك . وسمع الامير العميد بان نائبه قد جاءه الجاه . وقبلت يديه
 الشفاه . فقام وقعد . وابق وارعد . وكتب بصرفه . والغض من طرفه .
 ومطالبتة بفرعه . وعمل الحساب وورفعه . فلم ثلثت الخاتون الى قوله في كتابه .
 ولم تكثر بخطابه . وكتبت « ان هذا النائب عندى مرضى . وحقه مرعى .
 فما لك ان تصرفه . بل عليك ان تعرفه . وتعرف له حقه وتنصفه . وهو ان
 حقيقته فليس لك بنائب وانما هو شريك . وان امرنا بالانكار ان قصيد منك
 أو شيك وشيك . وأنت تعلم أيها العميد ان دور الحرم . مبرمة لها معاقد
 العصم . محكمة لها قواعد العظم . فما يجوز ان يتولاه في كل قريب غريب .
 وما يحسن ان يتجدد في كل حين لها مستناب ومستناب . وهذا عرفناه بك
 فالاولى ان تبقيه . والابق لجاهك ان توليه »

فعرف الامير العميد ان الامر خرج عن يده جدد للكمال بشغله
 منشورا . وطوى من شره فيه ما كان منشورا . وكتب الى خاتون « ان الآن
 قد قوى ألى حيث مكنت نائبي . وعرفت ضجة صاحبي . واني ما أردت
 صرفه وانما أردت تهذيبه . وورمت تجريبه . وقد وفرت عليه ثلث الرسوم .
 وأشركته معي في أصل الفرع المعلوم » فاستقل الكمال واستمر مريره .

ووزيرها حينئذ الأمير العميد والكمال لسبب شغل والده وانجاح مقاصده متردّد إليه متودّد . ومتصدّد لأموره مسدّد . فاستجلاه واستجلده . واستكفاه وأحمده . واستنابه في خاصه حين استبان نصحه . واستوضح في ليالي نوابه بالنجح صبحه . فوفر ماله . وثمر حاله . وجعل له في العيون هيبه . وفي الصدور رهبة . فبقى الأمير العميد لايتماد في أموره الا عليه . ولا يسكن الا اليه . فلما اتفق مسير الأمير العميد الى بغداد في تولى العماره لم يكن له بد من اقامة نائب في وزارة كهر خاتون يلزم الدركاه . ويقيم له بخدمته عنه الاسم والجاه . فرأى ان الكمال أوفق وأوثق . وأشفي لصدره في التصدر وأشفق . فاستنابه على انه لا يستعين فيما ينوبه الا بالعزير وكان العزيز ابو نصر احمد بن حامد رحمه الله عمي ول ماشب ومضى في البلاغة شباه . وعقد بحب العلي حباه . وصرف اليراعة بنانه . وعرف البراعة بيانه . وهو في الديوان الخاتوني نائب على الاصل يحكم . وشاب عند مشايخ صدور يجهلون ما يعلم . فلما تولى الكمال نيابة وزارة كهر خاتون انضم اليه العزيز فضم نشره . وحسن اثره . وأرشده ودبره

وكان الديوان الخاتوني في الوزارة العميدية خاملاً خامداً ماله غير رواتب موظفة . ووظائف مرتبة . ومعاش مرسومة . وعوائد معلومة . ليس لنوابه في غيرها أمر ولا نهى . ولا لورّاده من سواها شرب ولا ري . وخاتون راضية بالهدو . متغاضية عن الثمو . فعرفها الكمال ما في الخمول من ذهاب رونق السلطنة . وعزل ولاية القدرة المتمكنة . وكانت هي ابنة الملك اسماعيل البغاني من آذربيجان . وكان كبير الشأن . فقال لها « قولي للسلطان ان اجناد آذربيجان من صنائع والدي وأشياعه . وهم صاروا متبوعين فقد كانوا

ومشورة في تكدير ذلك الممين حتى بلغ فيه ماتناه . والخصى يفتخر بزُبّ مولاه (وسياتى شرح ذلك في موضعه) وتوفى الامير العميد الطغرانيّ في وزارة الخطير . وخمد شررُ شره المستطير . وجلس مكانه في ديوان الطغراء . وصدر الانشاء . الاستاذ أبو اسماعيل الكاتب الاصفهاني وكان ذا فضل غزير . وأدب كثير . وكان في حياة الامير العميد منشئاً على سبيل النيابة عن الطغراء . ثم تولاه بالاصالة متصدراً في دست العلاء . وكان مع ذلك بطيّ القلم كليلاً . ملثاث الخط عليه . وهتف به أبو طاهر الخاتوني في نظمه . وسلط سفيه الهجاء على حلمه . وأشار الى القلم في يده وقال كأنه وهو يجره برجله . مذنب يعاقبه بجرمه . وكانت بديهته ابيه . ورويته روية محببة . فاذا أنشأت روى بطيماً . وتفكر ملياً . وغاص في بحر خاطره ثم أتى بالمعاني البديعة . والاستعارات الغريبة . وسندكر أحواله فيما بعد . وحال الوزير الخطير لما خانه السعد .

ذكر تولى كمال الملك عليّ السميرميّ أشرف مملكة السلطان

محمد بن ملكشاه وابتداء أمره

قال : كان كمال الملك عليّ بن أحمد من مدينة بقرب أصفهان يقال لها سميرم أهلها ذوو فطرة زكية . وفطنة ذكية . وكانت هذه المدينة في معيشة كهر خاتون زوجة السلطان وأبو كمال الملك زارع غلاتها . وقابض ارتفاعاتها

يخونه وان كان بحاله عليما . فحفظ قلب الوزير في نيابة ابن الكافي لما عزله .
 وكان في نفسه مؤاخذته بالمال الذي اختزله . مراعاة لقلب الوزير . ومحافظة
 على خطر الخطير

قال : وجلست في النيابة عنه . على الكره منه . وكان احترامه للوزير
 لا تبجيلاً . بل تدفيعاً لاوقت به وتأجيلاً . فأجلسني في الديوان مكرماً .
 وعلى الصدور مقدماً . لكن الوزير اعتقد اني للسلطان عليه عين . فهو
 يستثقلني كأني ممن له قبله ثأر أو دين . وكانت صحبته لي على مضض . وصحة
 ملقاه لي عن مريض . وصدور الديوان عن يمينه ويساره . مؤثروب
 لا يثاره . يبدون لي بشري . ويضمرون لي شراً . واتفقت كلمتهم مع افتراق
 طبائعهم على مضادتي . واعتقدوا حصول محابهم في محادثتي . فما
 اشتريت بشعيرتين سبالهم . ولا شغلت بالي بما شغلوا به بالهم . ولما عجزوا
 عن ايقاعني في مصائد المكيد . شرعوا في تعويق الرسوم والفوائد . وتوقفوا
 في توجيه واجباتي من الديوان . وتوافقوا على قطع ما أطلق لي من صلات
 السلطان . فكنت أنسلي بقول القائل

إن لله غير مرعاك مرعي نرتعيه وغير مائك ما

إن لله بالبرية لطفاً سبق الامهات والآبا

قال : ولم أخل من قصد الجماعة في نوبتي الوزارين الضيائية والخطيرية .
 وما زالت تأتي منهم قوارض الاذية . وكان بين الوزير الخطير وبين المعين
 المختص مناوشة ومناوأة . ومواحشة ومنافاة . وما كان يقدر أحدهما مع
 المبالغة في قصد صاحبه ان يبلغ فيه غرضه . وكانما يخفي مرضه ومضضه .
 حتى مال الوزير الى كمال الملك السئيرى فصار بينهما موازنة في أمر المعين .

وكم يذق في خدمة الشاه ساعة تفرز لما صار في سابع الدست
 ولى أخدم السلطان سبعين حجة وها أنا حتى للاضافة كالميت
 قال : وملاً هذا الوزير الخطير مخازن مخازيه . والكامل بن الكافي
 موازنه وموازيه . ولم يكن عنده من الله خبرٌ . ولا في قلبه من الدين أثر
 وكلما طال عليه الدهر تطاول على نبيه حتى تأسست بالشرّ مبانيه . وحلت
 له مكاسب لا يرضى المجانين بها مجانيه . والسلطان لهم كارهٌ . وضميره له
 بما هم فيه مشافهٌ .

— ❦ — ذكر جلوس شرف الدين أنوشروان بن ❦ —

« خالد في نيابة الوزارة »

قال أنوشروان : فراسلني السلطان بخادم من خواصه . وشكا من
 الوزير اعتياد اعتياصه . وقال « هذا الوزير قد أيست من فلاحه . ولا مطمع
 لي في اصلاحه . وفي كل وقت يحكم في بيتي من أولاد الكافي . غير كاف
 واذا رمت وفياً جاء فيه منهم بجاف . وقد عرفت يا أنوشروان طريقتك .
 وعلمت حقلك وحقيقتك . وأنا أؤثر ان تنوب من قبلي في الوزارة . وتعمّر
 ما بيني وبينك في السفارة . حق العماره » فقبلت الأرض . وأديت في تولى
 خدمته وشكر نعمته الفرض . وقدمت عذراً لائقاً بالحال . فلما انكره
 سارعت الى الامتثال . وكان السلطان كريماً حليماً . لا يعجل مؤاخذه من

سرح الوشاة . ونسبوا اليه التقصير والتخليط . والافراط والتفريط . وأحال
الوزير عليه بمائة الف دينار وانتهز في أمره الفرصة . وأخذ في استدعائه
من جرجان الرخصة . فاستحضره وتشدد في إرهاقه . واستصفي ماله فعاد
ذلك باملاقه

قال القمّح بن عليّ البنداريّ الاصفهانيّ منتخب الكتاب : رأيت
بخط جدي رحمه الله اب موفق الدولة قال في تلك الحالة أحياناً مطبوعة
بالعربية ومن جملتها قوله

نهبوا ماملكت في بغدادى واستباحوا ذخائري وعتادى
فأنا اليوم غير ذقني وسنى مثلما كنت ساعة الميلاد
وهما الآن رهن قلع وتنف تحت هذا الابرار والارعاد

قال : فأحوجته الحوالات عليه الى الاستقراض . وانضاف اشتغال ذمته
الى الانقراض . وكان للاستاذ الموفق معرفة بالسكّال السميّرى وبينهما
صدّاقة صادقة . ومودة صالحة من كأس الصفاء غابقة . وسيأتى ذكر
السكّال عند انتهاء ديوان الاشراف اليه فى الايام المحمدية . وعند استقلاله
بالوزارة فى الايام المحمودية . ولقد كان من أوسع الصدور صدراً . وأرفعهم
قدراً . وأحسنهم تدبيراً . وأجملهم تأثيراً . وكان يلقب بعز الدين وهو فى منصب
مشهور . ومذهب فى السماح مشكور . فلما ألقى الموفق كتب اليه أحياناً
ذكره فيها بحقوق خدمته . وعقوق حظوته . وشكا فيها حاله . وهجا الوزير
وأشكّاله . قال عماد الدين . ولم بات لى تعريبها : ولم يأنس بخاطرى غريبها .
فأضربت عن ضربها . لما عصانى ضربها . وله فى شكوى حاله . ما عربت
منه نساء على منواله . وقلت

وكان الاستاذ الموفق ابو طاهر الخاتوني من صدور الدولة . وأعيان المملكة . وأفاضل العصر وامثال الدهر . ذافصاحة وحصافة . ولطافة وظرافة . في النظم والنثر جامعاً لادوات خدمة الملوك . خبيراً في مناهج المناهج بالسلوك . قد قلب الأُمور ظهراً لبطن . وجرب الحالين من قوّة ووهن . ولم يزل منذ نشأ الى آخر عمره صدرّاً كبيراً . ومشاراً الى صوبه وبالصواب مشيراً . وما زال الخاتون مستوفياً . وديوان السلطان بكفايته مكتفياً . فلما تولى هؤلاء عرفوا نقصانهم عند فضله . وانخفاض محلهم في البراعة عند ارتفاع محله . وعلموا انه لا يفضى عن عيهم عينه . وانه لا يقضى الا من عروض عرضهم ان قارضوه أو عارضوه دينه . فتخيلوا من تربيته وانتقاده . وتحيلوا بكل طريق بعد تقريبه في ابعاده . فتمحلوا له من جرجان شغلاً . وعدّوه له أهلاً . وجرّوا الى جرجان . جرّجان . ونقل من أعز مكانة الى أذل مكان . قال الامام عماد الدين رحمه الله . وشكا في أبيات عجيبة أعجام حظه واتهامه . واقلال قلمه واعدامه . فعربتها وقلت

لمرتبة الكاب في عصرنا على رتبة نحن فيها شرف

وما عاد ذو قلم مفلحاً فان الفلاح لطبل ودف

قال : وكان مختص الملك ، قد شمر جفنه للشعر فيه فعاد كأنه شكل مثلث في عين رأسه . فقال فيه الموفق الخاتوني بيتاً بالفارسية مشتملاً على

معنى بديع وهو انه ينظر من مثلث عينه الى الناس نظر تربيع فقلت

لصدر الصدر ضيق في اتساع ويطمع في كمال من قصور

على التثليث ناظره ولكن من التربيع ينظر في الأمور

قال : وما زال الوزير يصنفي فيه الى السعاة . ويسيم في مرعى سمعه

الاصفهانى الناقص المنقب بالكمال . الطويل بغير طائل . والثيم الذى كان له
عند الكرام طوائل . طنّازٌ غمّازٌ . همازٌ لماز . وكان من نواب الدهر .
كونه نائب الصدر . يمينان أخته تحت الوزير . وهو بذلك بالغ القدرة
واقدر . وهو من الذين قال ابن الهبارية فيهم من أبيات في ذم أصفهان
بلد أبو الفتح اللّيم عميده والقاسم بن الفضل قيل رئيسه
وطريفة الكافى الطويل وشيخه مع انه دنس المحل خسيه
وابن الخطيبيّ الصغير محله قاض وجرو المندوى جليسه
فاتفق جميعهم على الواقعة فى زين الملك ابى سعد بن هندو . حتى بلغوا
فى مكروهه ما ودوا . فباحوا بسر سرائره . وحملوا السلطان على أخذه
بجرائره . وانما تمشّى لهم السعى فيه بما كثروا عند السلطان من ثروته . وقالوا
اننا نقل ما أتى الف دينار الى الخزّانة من خزانته . فأمر السلطان بأخذه
وتسليمه الى التونتاش . وأوقعه فى مخاب ذاك البطاش . فخلعه من اصفهان
الى مدينة ساوه وصلبه يوم الجمعة فى شارعها . فلما قتل تصرفوا فى ماله .
وتدينوا باستحلاله . وأنسوا السلطان المائى الف دينار . وتحكّم ابن الكافى
فى ذلك المال . واستوعبه الكامل على الكمال . وأعيد فى وزارة الخطير ديوان
الاستيفاء الى معين الدين مختص الملك فتولى بعد العزل وتمكن من الشغل
وعبث بهم ابو طاهر الخاتونى فى أبيات فارسية قال الامام عماد الدين :
وعرّبت بعضها وقلت

صدور ما بهم للملك اى---راد واصـدار

خفاف لو نفختهم---هم فى دستهم طاروا

رائتهم---م كما كانوا وأعرفهم---م كما صاروا

لولا ابنة الشيخ ما استوزرت ثانية فاشكر حراصرت . ولانا الوزير به
 وكان رجلا جسيماً ملء التابوت . وعقله أوهن من بيت العنكبوت .
 فاذا استند الى مسنده في الديوان . اعتقد انهما مسندان محشوان
 وزير غاص في شحم ولحم ولم ينسب الى عقل وفهم
 اذا لبس البياض فعدل قطن وان لبس السواد فتل خفم
 وكانت علامته الحمد لله المنعم . وكانت له في الجهل نوادر شوارد .
 وبوادر بوارد . ومن جملة ذلك انه كان يوماً ببغداد راكباً في زى حسن .
 وموكب خشن . وجمع جم . وبهم وذم . وجلال الدين عميد الدولة أبو
 علي بن صدقة الذي وزر للمستترشد مسيره . والجند قد عقدت بروايته
 ورويته اسماء ونواظره . فالتفت الخطير الوزير وقال « قد أشكلت على مسألة
 لا بد من حل أشكلها . وانشاط قلبي من عقابها . هذه المواطة سنة قديمة
 سبق اليها القدماء . أو رسم مستحدث أحدثه السفهاء » فقال له بعضهم « هذا
 رسم قديم لقوم لوط » فقال الخطير « ومن كان لوط » فقالوا « نبي من أنبياء
 الله » فقال « متى كان قبل نبينا أم بعده » قالوا له « كان نبينا صلى الله عليه
 وسلم خاتم النبيين . وسيد المرسلين . ولا نبي بعده » قال « فما الذي قال
 فيه » قالوا له « قد أنزل الله في قوم لوط إنكم لتأتون الرجال شهوة
 من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون » قال « ما معنى تجهلون » وكان عجباً
 لا يعرف كلمة عربية فقالوا له « أي لا تعلمون » فقال « هذا حسب فالامر
 اذا سهل وعذر فاعله انه ذو جهل وأنا اعتقد انه أعظم وزراً وأفزع أمراً »
 فانظر الى جهالته في ضلالته . ونزارته في وزارته . وكان مهذاراً مكثاراً
 لا يستر شواراً . ولا يحذر عشاراً . وما كفاه ذلك حتى استتاب بن السكافي

وخرّبوا بسوء التدبير تلك الاعمال الجليلة

قال : وقد كثر تعجبي من السلطان يتأنق في تخير كلاب الصيد وفهوده .
وانما يقتنى منها ما يراه موافقاً لمقصوده . فيسأل عن فروعه وأصوله .
وانقطاعه ووصوله . فما باله لا يتخير لحيوانه . ومراتب سلطانه . من الكفاية
الأفاضل . والصدور الامثال . من عرفه ذلك . وعرفه زاك . وعرفه كريم .
ومجده قديم . وطريقه في الكفاية مستقيم . لقد كان هؤلاء أولى
بالاختيار . وأجدر بالاختبار . فانهم أمناؤه على مملكته . ووكلاؤه على
دولته . وسفراؤه في خدمته

— — — — —

✽ وزارة خضير الملك أبي منصور محمد بن الحسين الميمني ✽

— — — — —

قال الصادق عليه السلام : كل شيء يحتاج الى العقل الا الدولة . قال :
وقد عرف انه معدم من كل آلة وأداة . غير لائق برعاية يراعة . أو الاقة
دواة . حمار راح . جانح جامع . عضوض رفوس . حرون شمس .
معدن الغش والدغل . منبع المسكر والحليل . وكان قد وزر مرة أولى .
وعرفوا ان يده في القصور طولى . لكنه توسل في هذه المرة لعوده الى
الوزارة بجنس توصل بن جهير في الوصلة الى نظام الملك بابنته . وهذا لم
يكن له وصلة شرعية ولكن تم له الامر بمثل وسيلته . والى ذلك أشار بن
الهبارية في وزارة بن جهير

قل للسوزير ولا تقزعك هيبته وان تعاضم واستعلى بمنصبه

والمكان . وكان خالياً من أدنى فهم . جاهلاً بكل علم . ومن جملة ذلك انه سلم اليه كتاب قرار ليكتب خطه بما جرى من قرار الديوان فكتب كذا الاستقر بالالف واللام وكتب فلان بن فلان

تمس الزمان لقد أتى بعجاب ومحا صنوف العلم والآداب
وأتي بكتاب لو انطلقت يدي فيهم رددهم الى الكتاب

وكان الوزير ضياء الملك رجلاً سهل المحجة . صادق اللهجة . اذا جلس في صدر وزارته . وأحدق الصدور بوسادة سيادته . انار دسسته . وحسن سمته . وكان كل منهم اذا اجتمعوا سلقوه بالسنة حداد . وكدروا ورده فيما هو قانون الوزارة من الاستقلال والاستبداد . قال : ولما لم يكن مباشرة للوزارة صائبة . وكانت الآمال في نجه خائبة . لم تلق مدة ولايته تمكيناً وبقي بعد صرفه اثنتي عشر سنة مسجوناً . ولقى أضعاف كرامته هواناً . ولم يصادف من زمانه واخوانه الا خوانا

قال : وتوفي الامير السيد أبو هاشم الحسني رئيس همدان فنقل من خزانته الى خزانة السلطان بعد ما أداه مبلغ مائتين وخمسين ألف دينار وما أثر ذلك في حال بيته . وقام حيه بتأثيل مجد ميته . وزاد تقرب السلطان لولده . وقوى يده على رئاسة بلده . وظهرت مخايل عصيان ملك العرب صدقة بن منصور بن ديبس بن علي بن مزيد الاسدي وذلك في سنة ٥٠٠ فتغير رأى السلطان فيه حتى جرّ اليه عسكره . وكدراليه مورده ومصدره . وجرت بينهما وقعة غلبه السلطان فيها وقتله . واستضاف مملكته الى مملكته . واستخلص ما كان في يده من ولايته . وحيز أقليمه بقلم الحيازة الديوانية . وتصرف فيه كتاب الدولة السلطانية . ومنقوا بالتبذير تلك الاموال الجزيلة

قال : وكان شمس الملك بن نظام الملك أخو الوزير حاضراً و كنت متولياً لعرض الجيش فنقل هذا المنصب منى اليه بعد أن أخذ منه ألف ديناراً خدمة أوصلها الى الخزانة وبقي في قباب السلطان من مختص الملك شئ من الارتباب به لم يزل . ومن يسمع يحل . ولم يكن ظهرت بعد احتمالات القاضي فأزال السلطان اختصاص المختص . وتعهد قوادم شغله بالحص . وكان الامير العميد محمد الجوزقاني عميد بغداد فاستدعاه ونقل اليه منصب المذكور . واعتمد عليه في تلك الامور . وهو منصب الطغراء . وليس أكبر منه بعد الوزارة الا منصب الاستيفاء . ثم الطغراء . ومن جملته ديوان الرسائل والانشاء . ثم الاشراف ثم عرض الجيش . والطغرائي هو وزير السلطان في الصيد لغية الوزير وعليه المعول . فصار الامير العميد طغرائياً . وكان من كسوة الفضائل عريا . وتولى أيضاً وزارة كوهن خاتون بنت الامير سماعيل ابن ياقوتى زوجة السلطان وكانت وزارتها أيضاً منوطة بكفاية المختص فصرف من الشغلين . وتسلم الامير العميد المنصبين . وهذا محمد الجوزقاني كان ولد خطيب جوزقان . خرساني المولد والاصل وانما كانت الرغبة فيه خرسانيته . لا لانسانيته . وتعرف الى السلطان بالمذهب الحنفي ومشاغبتة فيه . وادلاله بالتعصب بين ذويه اذا سلم عليه واحد لم يسمح له برد السلام . حتى يقول له ما مذهبك من أهل الاسلام . وكان قبيح الجبه . شديد النج . صفيق الوجه . كابي براقش في ثلونه . وكالعق في قلبه . وكالذئب في ثوبه . وهو خارج عن الحد في تعصبه .

قال : وكان قد خلص زين الملك أبو سعد بن هندو من الحبس ونزل في المعسكر بغير شغل ثم داخل صدور الديوان . واستولى على المسكنة

بما أمكنه . وقال له « لا بأس عليك ولا سبيل للإذى إليك » ولقنه أسامي مائة
نفس من خدام السلطان . وأعيان البلدان . وقال له « اذا سئلت عمن تعرفه
من الباطنية فاذكر هؤلاء . وعدهم على الولاء » فردده الى موضعه وقال
« لا تخف فانك ان أخذت أنجيتك . وان أخذ منك أعطيتك » فلما عاد
الرجل الى مكمنه حضر الخطيبي عند السلطان وقال : « قد دلت على رجل باطنى
فى موضع كذا وأرجو أن يقع فعله يفتح علينا بشئ من أمر الباطنية » فامر
الحاجب بانفاذ من يأخذه فأخذ واحضر وسئل عمن يعرفه من الباطنية فى
البلاد والعسكر فاعاد ما لقنه من الخطيبي وأجري ذكر مختص الملك أبى نصر
والصفى القسّى أبى الفضل نائب الخطير فى ديوان الاستيفاء وكذلك عد قريباً
من مائة من المعروفين فأخذوا وسلموا الى الأتراك . وتعرفوا منهم فى الدور
والاملاك . وتشت أهلهم . وتفرق شملهم . وفى أثناء هذه المكايد
والحيل نزل الخطب بالخطيبي وضرب بغتة بسكين سكنت حركته . وأسكنت
نامته . واشممت به خاصة الزمان وعامته . وبقي المكذوب عليهم فى السجن
شهوراً . وانتقم الله ممن جاء فى أمرهم بهتاناً وزوراً . ثم تبين للسلطان بعد
قتل الخطيبي انه كان محالياً مستحلاً . مستبداً بالاحتيال والاعتقال مستقلاً .
وعرف أن ذلك الباطنى ذكر من ذكره بتلقينه فندم السلطان ولات
حين مندم . وأمر بالافراج عن أولئك المساكين . ولم يسمع السلطان بعد
ذلك حديثاً فى اعتقاد . ولم يصدق نسبة مسلم الى الحاد . واذا جرى عنده
حديث الباطنية قال « انهم فى القلاع وهى موضعها ونحن نقصدها ونقلعها »
وشعف بمحاصر حصونهم وفتح قلاعاً لو بقيت الى الآن فى أيديهم لم
العالم الكفر

وقرروا عليه سبعمائة الف دينار احر . سوى ما يلزمه من توابع ولوازم هي
اكثر من ان تحصر

قال انوشروان : فامرني السلطان بالمسير الى همدان لاستيلاء هذا
المال . وعاد السيد ابو هاشم وهو شيخ كبير قد ضعف بصره . واختل
نظره . فعظم عنده ما قرره عليه واستكثره . فحضت له النصيح وضمنت له
النجاح . وعاهدته على مساعدته . وعاهدته على معاضدته . ووعدته بالسعي
في اصلاح حاله . وانجاح آماله . ونقد سبعمائة الف دينار عتيق في سبعة ايام
من موجود خزانته . ولم يستعن بأحد من اهل مدينته . وحثا على المسير .
ولم يأذن لنا في المقام اليسير . فحين اوصلت المال الى خزانة اصفهان . ولقيت
السلطان . شافهته بحقيقة امره . وعرفته اختلاف اصحاب الاغراض بالباطل
في حقه . فامر السلطان باعادته . الى رئاسته . ومنصب سيادته . وسير اليه
الخلع السنية والتشريفات اللائقة بشرفه . وأحيى متلد مجده بمطرفه

قال : ولما حصل ذلك المبلغ في الخزانة سلمها الى . وعول في دخلها
وخرجها على . فتوليت الخزانة والزكى ذوكيسة فيها . وكذخداية الخزانة
به منوطة . وامورها بامانته مربوطة . ولما سار السلطان الى بغداد فتك
بالزكى هذاني سوقها فقتل في الحال قتله . ولم يعرف من اى وجه غالته غوائله .
قال : وقد سبق القول بأنه لم يخلص من طعن الخطيبي سوى مختص المالك
الكاشي . فلم يثبت على تلك الحالة فانه شرع عند السلطان يقدر في دينه .
ويجري من اشر في ميادينه . ثم انه قد نقش في لوح خاطر السلطان ان
الباطني لا يعرفه غير الباطني فاجتهد حتى دل على رجل من الباطنية من
الحوف مخفف . وفي بعض الزوايا مكثف . فاحضره وآمنه . وقوي نفسه

باستخلاصه . وأعطي سياسة ملكه حقها . وجلا بسناء احسانه أفقها . قالت الحكماء : « منازل السياسة اربع فالاولى سياسة الرجل نفسه . والثانية سياسة أهله وولده ومن يضمه منزله . والثالثة سياسة بلد واحد يتقلده . والرابعة سياسة الملك كله . ففى عجز عن منزلة من هذد المنازل فهو عن التى نلها عجز » لا جرم ابتلى هذا الوزير بشفعة نسبه . وهو غير خبير بسلوك مذهبه . ولم يكن من شغله ولا من اربه . وكانت علامته احمد الله على نعمه . فقضى حقه بشغل عجزت اللقاة الدهاة عن القيام به ووقع اسم الاستيفاء على الخطير كما يدعى بالجهل . اسم النبوة ابو جهل . فلم يكن للمنصب المأهول دسسته بأهل . وخواجه مختص الملك صاحب ديوان الرسائل . معدم من الفضائل . وهو عند اولئك اكتب الكتاب ويعجز عن كتب خمسة اسطر بالفارسية فضلا عن العربية

قال انوشروان : وانا ولانى السلطان الخزانة فانه استدعانى الى خلوته وخصنى بكرامته . وسلم الى خزائن ممالكه وكان هؤلاء الاكابر انما يصلون الى السلطان فى الباركا اذا جلس لعامته وانا اختص بخلواته واستسعد بمحادثته . فعظمت وجاهتى بمواجهته . وحسدنى اكابر الدولة على منزاتى . وانتظروا زاتى ومنزاتى . واتفق فى ذلك الوقت ان الامير السيد ابا هاشم الحسينى رحمه الله رئيس همذان . قد تغير عليه رأى السلطان . وذلك لان قوما من ارباب الدولة تناصروا عليه . وادبوا عقارب مكايدهم اليه . وأطمعوا المتوج بن ابى سعد الهمذانى فى ايلة همذان ورئاستها وكان المتوج هذا من جهة الرئيس منكوبا . وبسدد مضروبا . فاوقعوه فى معارضته . وعرضوه لواقعته . وأنما تواعلى الامير السيد وعلى اولاد باب داره . وسدوا عليه طريق فراره .

هذا الاوث بزمانى وباصحاب ديوانى فقال اولئك كانوا من أصحاب خراسان .
 وهم أهل الدين والاحسان . وهؤلاء أهل العراق . أهل الاحاد والنفاق .
 فتخيل السلطان صحة مقاله . واستحكم تقريب الخراسانيين وابعاد العراقيين فى
 خياله . واعتقد انه ليس فى العراق مسلم . وان افق الملك بغير الشرفيين مظلماً .
 وكان بالعراق جماعة من أهل خراسان محرومون مهجورون من كل جاهل
 مجهول . وساقط ذى خمول . ومنزوا الى ناحية . ومتنح الى زاوية . ومتنمس
 بالرياء . ومتهوس بالكيمياء . وبطل مرجف . وعمل محترف . فلما عرفوا
 ميل السلطان اليهم رفعوا رؤوسهم . وعرضوا نفوسهم . وخطبوا المراتب .
 وطلبوا المناصب . وغفلوا بل غفل السلطان عن هذه النكتة ان خراسان
 عش مذهب الباطنية . وبها افرخ وباض . ومنها شاع وفاض . وفيها حصونه
 التى لم تفتح . وعيونہ التى لم تمتح . وانقضى عصر سعد الملك سريعاً . وصار
 بالسكر الصريح سريعاً . وعاد الملك المريع منه مروعا .

— ❦ —

— وزارة الامير ضياء الملك ابى نصر احمد بن نظام الملك ❦ —

— ❦ —

قال: لما نكب سعد الملك طمح الى الوزارة عمرو وزيد ووصل يوم
 نكبته الامير ضياء الملك وخطير الملك ابو منصور محمد بن الحسين الميبذى
 وكان قد استدعى من فارس فاختلفت عليهما الآراء فرأى السلطان حفظ
 الجانبين . وأمر بتوايه الصاحبين . وجعل دست الوزارة للنظامى .
 ومنصب الاستيفاء للميبذى . والف بتأليفهما قلوب خواصه . وخص كلامهما

واتفقت صلبته مع صلبته . واستدعى مختص الملك أبو النصر القاشي في وزارة سعد الملك وصرف به من ديوان الانشاء محمد بن . مؤيد الملك فعُبل هذا وذاك طُرد . وأقيم ذلك وهذا أقعد .

قال : وخلا الميدان للخطيبيّ فصار محكاً للإسلام . وهو عند السلطان متبول الكلام . وأصحاب السلطان عنه خاشون . والى بابه غاشون . وكان اذا سأله السلطان عن واحد كيف تعرفه أجاب مرة بلا أدري ومرة بلا أعرفه وتارة أمهاني فاني ابحت عنه واكشفه وتارة يشهد عليه بما يهدر دمه

قال : وحدثني ابن المطلب وكان وزير الامام المستظهر قال ما زال هذا الخطيبيّ ببغداد يتوصل حتى ابصر قهرمانةً لدار الخلافة فقال لها اليوم أجرى معي السلطان حديث هرون أخى الامام المستظهر وسألتني عنه فدخات القهرمانة الى الدار واوصلت الى سمع أخيه ما حدثها به الخطيبيّ فقامت قيامة الخليفة وتمكن الاستشعار من نفسه الشريفة فكتب الى الوزير يأمره بالركوب الى الخطيبيّ ويحمله على الاضراب عن ذكر أخيه . ويحمل اليه ستة آلاف دينار اميرية يدفع بها شره ويكفيه

قال : فاستأذنته في الركوب اليه في الليل . فانه اخفى لاليل . فما صبر ولا وجد القرار حتي ركبت اليه وأرضيته بما حملته . واستغفيتها عن حديث هارون واستنزله

قال : وكذلك لم يترك من خواص السلطان أحداً الا لوّثه . وشوش عليه رأيه وخبّثه . ولم يغادر أحداً من الخاصة والعامة الا طرّق اليه ظنة . او قلده بسكوته عنه مئة . وقال له السلطان يومنا كيف كان أصحاب دواوين والدي وجدّي في أديانهم . وانهم كانوا لا قدح في ايمانهم . فكيف اختص

ذو كيسة من جملة التجار وكان قد هرب من أبي مسلم رئيس الري والتجأ
الى سعد الملك، فارا الوزير أن يكون بينه وبين السلطان من يتردد في المهمات .
ويأتيه بجواب المواشرات والرسالات . والذي يتولى هذا الشغل يقال له في
العجم وكيلدر أي وكيل الباب ومنزلة أخص من منزلة الحجاب وينجب أن
يكون منطيقاً بليغاً . متجرعاً في مضائق الكلام الغصص مسيغاً . مستتلاً
باقامة الحجة عند الحاجة . متجنباً للسماجة . بقول ينسب الى السماحة عارفاً
باخلاق السلطان في أوقات رضاه وسخطه . وقبضه وبسطه . فاذا وجدته منقبضاً
لنطف في تنشيطه مما ينفق عليه من الحديث الرائق . والقول النافق . حتى
اذا رأي منه سياء القبول حدثه بمقصوده . والا جرى في الامساك على
مهوده . فان السلطان لا يثبت خلقه على حالة . ولا بد له من ضجر وملالة .
وكان هذا القزويني خالياً من هذه المعاني كلها لكنه التمس الى سعد الملك هذه
الولاية فأجابه الى ملتمسه . ووافقه على هوسه . لسلامة نفسه . وذهب عنه انه
سوقي قفز من الدكان الى باركاه السلطان فزاحم أركان الدولة بالمكانة والمكان
وكان اذا خاطب السلطان وشافه حدث له عجب فانخرج وانخلع . وخرج
عما فيه شرع وجمع بين الاروى والنعام . والضباح والبغام . ثم لا يتكلم
الا بكل ما يضر . ويسوء ولا ييسر . واستنصر سعد الملك من جانب ذلك
العاجز بغير قصد منه في حقه وأي ضرر أقوي وأمكن من كونه قتل في
جبل خنقه . وكان عارض الجبش في وزارته أيضاً أبو المفاجر القمي وكان قد
غاب عليه في اسطلاح الخاصة والعامة نعت طرطنيل . وما عرفوه بغير
هذا الاسم الثقيل . وصرف في وزارته وولي عمله عز الملك بن السكافي
الاصفهاني وبقي فيه شهراً فلما أخذ سعد الملك اقترنت نكبته بنكبته .

اهلاكهم آلهما . وذلك انه كان عارفاً بمكاتبات كانت بين الخطيبيّ ورئيس الباطنية أحمد بن عبد الملك بن عطاءش في مبادئ أمره . وكان مطلعا على سره . فأراد ان يستدعى بعض تلك المكاتبات بخط الخطيبيّ ويقول للسلطان هذا الرجل رءائي بما هو مذهبه وشأنه . وخطه هذا حجة قولى وبرهانه . وأرسل فى ثقاته فى هذا المهم من كتب على يده بخطه توقيعا بالجواز . ولم يوصه بالاحتراز . فظفر بالرسول من كان مرتبا لحفظ طريق القلعة . ومنع الميرة عنها والطعمة . فوجدوا خط الوزير معه بالجواز فأخذوا الخط وكان من أعظم أسباب ذلك الخطب وذلك ان السلطان حفظ خطه الى ان قبضه . ثم عرضه عليه فصرح له ان كتابه للتلف عرضه . فلما أوتى كتابه لم يمدّ جوابه . وما نبس بكلمة . ولا فاه بنت شفة . ولو قال لما سمع . ولو اعتذر لدفع عذره ومنع . وكان من أمره ما كان . ولقى الرحمن . ولقد كان رجلا خيرا لى الأديم . كريم الحليم . جامعا لآلات الوزارة . وأسبابها لا تشاء بقلم السيادة ودواتها

قال : وكان المستوفى فى وزارته للسلطان زين الملك أبو سعد بن هندو ولم يكن له أصل ثابت . ولا فرع ثابت . ولما تولى خرج واستخرج . وأمر وأمرج . وأخذ الاموال جزافا . وأسرف فيها اسرافا . ولما انقضى أمر سعد الملك رفعت عليه رفاع وأخذ وحبس واستصفيت أمواله ونهبت دورره وتخبطت أموره وبقي فى الحبس سنين . ولقى العذاب المهيّن . وكان صاحب ديوان الانشاء فى وزارة سعد الملك نصير الملك محمد بن . مؤيد الملك وكان مع جهله وعدم فضله للديوان به أهبة وجلالة . وحلية وحالة . فزات به قدمه . ولم يأخذ أحد بيده . وبقي مشنوءا مهجورا مهجورا بكدمه . وكان وكيلدر السلطان فى وزارة سعد الملك اميرى القزوينى المعروف بالزكي

وكذلك افتتح قلعة خان لنجان . وهي أيضاً بقرب أصفهان . وكانت قد خربت تلك الولاية بما لاهلها فيها من النكايه . وكان بأصفهان رئيس يقال له عبد الله الخطيبي وهو حاكمها والمستولى على رئاستها وهو رجل جاهل من أنواع الموم خال محال . يبدى تمسكاً باظهار زهد وورع محال على محال . ولم يكن له سوى ضخامة جثة . وفخامة حية كثة . وكان لقائه الامى مقبولا . وكلامه السمي معسولا . وكان من هذا الوزير خائفاً . وبمعرفة الوزير باطن شره عارفاً وطلب من السلطان خلوة غر السلطان فيها بتنميسه . وروج لديه سوق تلبيسه . وتم نفاق نفاقه . وبرز هلال محاله من محافه . وجرى من مناصبيه على سعد الملاك انه حقق في اعتقاد السلطان انه صديقه الصادق . ورفيقه الموافق . الا ان فيه عيباً واحداً وهو انه الى الباطنية مائل . وبمذهبهم قائل . وانه مجتهد في ازالة هذا الاعتقاد من قلبه . والمبالغة في نصحه . اشفافاً على ما أجد من حبه . فانه يعزى على فساد مثله مع فضله ونبله . واعتقد السلطان صدق قول الخطيبي وحسبه خالياً من الغرض . حالياً للنصح المفترض . ثم أغفل مدة وعاد اليه وآيسه من قبوله . وأسف على ما فاته اليه من سوله . وصار يشفع الى السلطان في تأجيل أمره . لاجل ما عنده من مودته . وان لا يعجل في عقوبته . وقد وضع من خواص السلطان صبيحاً على الوقوع في الوزير . وانه باطني الضمير . ولم يزل به حتى أوقعه في الحبس . ولما قيد رتب جماعة من الاوغاد شنعوا على الوزير في دار السلطان في مجمع من الامراء والقاضي حاضر . وقال كل منهم هو ملحد وكافر . ومازوا بالسلطان حتى صلب الوزير مع عدة من أكابر ديوانه . بهت عدوه وبهتانه . وذكر انه لما اطلع الوزير على مكيدة خصمه . دبر في مكيدة عليه . فعاد على الوزير وبالها . وآل الى

وبلغ من العمر خمساً وعشرين سنة ووقع عليه اسم السلطنة وله اثنا عشرة سنة وقاسى من الحروب واختلاف الامور ما لم يقاسه أحد فتفرد بالسلطنة أخوه محمد ودان له المشرقان . وتصرف بيده زمام الزمان .

قال أنوشروان : فجاءني يوماً توقيع سلطاني على يد أمير من بعض الخواص فاستدعاني واستدنانى فوصلت الى بغداد والسلطان محمد بها في وزارة سعد الملك ابني المحاسن سعد بن محمد الآبي وكان وزيراً سعيداً حسن الطريقة زاهد وهداية ورأى وكفاية . فجمع العساكر على الطاعة السلطانية وأطفا نائرة التتنة الشيطانية . وكان الامير الاسنهمسلار اياز مقدم العسكر البركيارقي فلما توفى بركيارق صار اتابك ولده ملكشاه فقام مقام والده . ورد ملكه به الى قواعده . فاهتم سعد الملك باستمالته . وحلف له على سلامته . فلما مكن من نفسه قتلوه . وأخذوا ملكشاه بن بركيارق فسللوه . وذلك في سنة ٩٩٩ : فزال الشنب وسكنت الدهماء . وكانت للوزير سعد الملك في هذه الحيل اليد البيضاء . قال : وسرت في الخدمة لما ساروا الى أصفهان . ومادام هذا الوزير في ولاية السلطان . ظهرت له آثار حميدة . وآراء سديدة . وكانت علامته الحمد لله على نعمه وكانت له في الباطنية نكيات . ورفعت له في فتح قلعة شاهدزرايات . وكانت قلعة منيعة على جبل اصفهان تناصى السماك . وتناظر الافلاك . وقد تحصن بها أحمد بن عبد الملك بن عطاش طاغية الباطنية في طائفته . وبلت أصفهان وضياعها ببليته . فسلها سعد الملك بالرأى العائب . والعزم الثاقب . وتلطف في افتتاحها . ودبر في استئزال من فيها على ايشار الملة الاسلامية واقترحها . فأنزلوه من معقل الى عقال . وبدلوه آجالاً من آمال . وأصقوا خد تلك القلعة بالترب . ووضع الهناء فيها مواضع النقب ،

بركيارق بيده عنقه. وكان قصد والدته السلطان والسعي في دمه أوبقه. فاعدم
مثل ذلك الشخص العديم النظير. وأعنى ذلك الوزير في حز عنق ذلك
الوزير. وهيهات أن يلد الزمان مثله في دهائه. وزكائه ورأيه وحياته. واطنه
وظرفه. وليمه وعطفه.

قال: وآلت وزارة بركيارق الى الاستاذ عبد الجليل الدهستاني ولم يكن
له أثر محمود. ولا يوم في الكفاية مشهود. بل تفاقم شره الى أن أخرج املاك
الناس في الاقطاع. وكان في الظلم مستطيل اليد طويل الباع. ولم تطل أيامه فانه
بقر بطنه باطنى على باب اصفهان. قال: وبقيت حتموق مؤيد الملك عند
السلطان محمد محفوظ. وبعين الرعاية ملحوظة. فاعتقد ان نصير الملك ولده
النجيب وانه اذا ولاه قضى حق أبيه. فولاه وزارة بنيه. وكان يأنف الكلاب
من ائمه. واليوم من شؤمه. ومعاييه لا تعد. ومخازيه لا تحدد. وعن له ان
يشغل بعلم الاوائل فبلغ منه الى حد التعطيل. ووقف عند محار الدليل. وقد
صنف ابو ظاهر الخاتوني فيه كتابا سماه نذير الوزير. الزير الخنزير. وبطل
بعد مؤيد الملك ذلك الترتيب. وظهر على وجود الايام التقطيب. واستمرت
سنين بين محمد وبركيارق مصافات. وتمت مخافات وافات.

قال انوشروان: وكنت قد جعت بمصرع مؤيد الملك وأثر في قلبي
مؤلم ملمه. وأزعجني عن المقام مقيم همه. حتى حصلت بالبصرة فأقمت بها مدة
ثلاث سنين. وصادفت اخوانا صادقين. من جملتهم الشيخ الامام ابو محمد
القاسم ابن علي الحريري صاحب المقامات يوافقني في الجد والمزحل طائعا فينظر
من عيني ويسمع من سمعي. وفي هذه المدة التي أقمت فيها بالبصرة درج
بركيارق وكانت وفاته بالسل والبواسير وير وجرى في ربيع الآخر سنة ٤٩٨

رجلا مواظبا على الخيرات والصيام والقيام . واقامة الصلاة . وايتاء الزكاة .
 مديماً للصلات والصدقات . لم يسع قط في دم . ولم يخط الى مضرة أحد
 بقدم .

— ذكر خروج السلطان أبي شجاع محمد بن ملكشاه —
 قسيم أمير المؤمنين من جنزة وأرن الى الري وأصفهان —

قال كان هذا السلطان مؤيداً موفقاً . محققاً لارجاء فيه مصدقا . ميمون
 النقيية . محافظاً على تقواه مع الشبيبة . يحب الاقتداء بآثار جده البارسلان
 في سياسة المملكة وعلو الهمة . وكان وقوراً مهيباً . أريباً لبيباً . فلما جلس
 على سرير ملك أبيه وجده ووجد قواعد الدولة بآيالة أخيه مختلة . وعقودها
 منحلة . ضم النشر . ونظم المنتشر . وأحكم القواعد . وأبرم المعاهد . وأعاد مؤيد
 الملك الى منصب أبيه في الوزارة . وملاً بسناه أفق السيادة . فلبس هذا
 الصدر الامور بصدر واسع . ورأى رائع . وتدير لشمل السداد جامع .
 فاستقلت الدولة باجتهاده عن كبوتها . وزالت نوبة نبوتها . وبقى سنين وقد
 انتقم من خصومه باخذ الثار . وشفاء غل الاوتار . وحاز مال مجد الملك وسعى
 في قتل زبيدة خاتون فلا جرم عاد مرتها بجرمه . وعثرت قدمه في ظلمة
 ظلمه . وأسرده عسكر بركيارق في مصاف جرى بين الاخوين على حد
 همدان وأحضره بركيارق بين يديه وأوثقه كتافاً وعصب للقتل عينيه وهو
 قد رفع صوته بكامة الشهادة ولم يظهر منه جزع . ولا خور ولا فزع . فضرب

من رسوم الوزارة الا علامته وهى الحمد لله على نعمائه وقال مؤيد الملك فيه
بيتين بالدارسية عربهما عماد الدين وهما

ماذا أقول عن امرئ * جمع المعابر والمعاب

عادت مناقب والدي * من شؤم منصبه مثالب

قال : وخلص مؤيد الملك من الاعتقال وأقام مدة مديدة فى حماية بعض
الكبراء تارة فى نهاوند وتارة فى مشكان مظهراً انقطاعه الى العبادة ثم انه
قصد سرير الملك المحمدي فى جنزة ورأى ان اقبال محمد على ادبار بركيارق
غالب . وانه لاحالة الملك أخيه وارث أو سالب . وكان فى نفس محمد طلب
السلطنة فتقواها مؤيد الملك وحقق رجاءها فيها فقبله الملك محمد واصطفاه
واستأمنه خلواته . واستشاره فى عزيماته . ثم سلم اليه وزارته وشعف بقربه
واسكنه صميم قلبه . وقاب مؤيد الملك . وكل بالانتقام . ورأيه معمل فى تسديد
مراعى ذلك المرام . ولم يزل يقرب على السلطان محمد البعيد . ويلين عنده
الشديد . ويحبب اليه الجد وينض اليه اللبس حتى حرك اليه ساكن ارادته
وسار من أران به فى شزيمة قليلة وبلغ به فى مدة يسيرة الى دار الملك أصفهان
فتبوا بها سرير سروره . واجتأب حبير حבורه . وسمل اليه العساكر
واستقاد الى بهجته ونهجته الاسماع والنواظر . وأجلاً بركيارق من الاوساط
الى الاطراف . ومنى بالاغتراب ولاعتساف . وقبض على خاتون زبيدة
وحبست فى قلعة الري ثم سعى مؤيد الملك فى خنقتها خنقت وأحاطت به
أوزار قتلها وأحذقت . وأما مجد الملك فأنهم أفسدو عليه قلوب العساكر وأضروها
بمضرته . وأغروها بطلب غرته . فبضعوها بين الجمهور بسيوفهم أعضاءه .
ووزعوا أشلاءه . وذلك فى سنة ٩٢ : وله إحدى وخمسون سنة . وكان

النظام والنثر . فتقدم ونظم تلك الامور المنشورة . وطوى تلك السيئات المنشورة . وكانت علامته الحمد لله على النعم . فتوجه الى مصاف تتش وقال لمجد الملك أبى الفضل وهو منزو باصفهان « قم وصاحبني » فاجابه « فاذهب أنت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون » فلما ضرب المصاف كسر تتش وقتل في المعركة وتوحد بركياردق بالمملكة واستبرك بالوزير

قال أنوشروان : كنت معه في المصاف وذلك في سابع عشر صفر سنة ٤٨٨ عند قرية يقال لها داشلو على اثني عشر فرسخاً من الرى فوصل مؤيد الملك الى السلطان في المعركة وهناك بالفتح فابتسم سروراً بما آتاه الله من المنح وقال له « كل هذا ببركتك ويمن تقيبتك » فأمن الناس من أنه معزول . وانه وزير مقبول . وكانت وزارته في ذى الحجة سنة ٤٨٧ ولما وصلوا الى الرى بعد الوقعة بادر مجد الملك أبو الفضل الى الرى من أصفهان واستمال فلب والدة السلطان في مبدأ الامر وتمكن من الدولة وقبض على الاستاذ على المستوفى فسمي واعمى . وبقى مؤيد الملك وحيداً يتوقع البلاء ويتعرض . ويتمثل أكلت يوم أكل الثور الابيض . وكان أخوه نخر الملك أبو الفتح المظفر اكبر سناً منه وهو حينئذ بالرى متمطش الى الوزارة فاطمعه مجد الملك في موضع أخيه . وساعده على توليه . واعتقل مؤيد الملك وحبس . ورتب نخر الملك في الدست وأجلس . ولما كانت والدة السلطان صاحبة العناية بمجد الملك أعانت على مؤيد الملك فكتب من الحبس اليها أياً بالفارسية يستمطفها ويتضرع اليها . واستقل مجد الملك بالاستيفاء وغلب على الوزارة وبقى نخر الملك صورة بلا معنى . وكان أيضاً خالياً من الكفاية والفضل والادب . وعلما لكل شيء غير النسب . وهو أسير تصرفات مجد الملك وتابع رأيه وليس له

كبيران في الجاه والقدر . كافيان في حفظ الثغر . وهما آق سنقر وبرزان .
فتابعا الكتب والرسل الى السلطان . بخروج عمه الملك تنش بن الب ارسلان .
وانه قد خرج من دمشق وقد حشد جموع التركمان . فاقرا لهما كتابا حتى
يئس الاميران ووقعا في ورطة الشر وظنا انهما يقاومان تنش في رده عن
قصده فوقعا في طريقه حتى حصلا في قبضته . وقتلا بسيف سياسته . وتوجه
تنش نحو الري وهمذان وقم وجرباذقان وأمراء الدولة البركيارية كل منهم
في بلده مشغول بما هو فيه من القصف والذرف . قال : ومما قاله أبو منصور
الآبي أحد فضلاء العصر بالفارسية في قتل الاميرين ما معناه

قد غرقنا في الشرب والسكر حتى لم نفكر في سنقر وبرزان

ما ظفرنا بالبيدق الفرد في الدسست ولكن قد أسلم الرخان

قال : والاجناد طلبوا اصلاح حالهم وتركوا بركيارق واتصلوا بعمه
ووقع هو الى اصفهان وكان بها من بقايا الدولة الخاتونية جماعة اقوياء خبسوهم
واتعبوهم فمنهم من مات في اعتقاله . ومنهم من فجع دون نفسه بماله . قال :
وكانت خراسان أيضا مضطربة وكانت بين ولدي الب ارسلان بوري برس
وأرغو مقارعات هرب منها مؤيد الملك ابو بكر عبيدالله بن نظام الملك الى
اصفهان فرأوه أهلا للوزارة في ذلك الوقت فخلعوا عليه خلع تامة للوزارة
وعاد به الملك الى النضارة . وكان مصرفا للسيف والقلم . عارفا بلغتي العرب
والعجم .

له بين العوالي والمعالى وما بين المهندة الذكور

مقامات شرفن فما يبالى أمات على جواد أم سرير

ولم يكن في أولاد نظام الملك اكفى منه وكان أوحده العصر . بليغا في

نحمود ومات والدته ولم تنقض سنة وتم الملك ابركيارق

سـ وزارة عز الملك أبي عبدالله الحسين بن نظام الملك سـ

سـ

قال: كان شريفا خميّرا . لا يصيب رأيا ولا يحسن تدبيرا . بعيدا من الكفاية .
 قريبا الى الغواية . خاليا من الممانى . معروف بالقصور والعجز والتوانى . فلما زاد
 اختلال الملك . بعهد نظام الملك . ظنوا انه يرجع الى نظامه باحد اولاده
 فاستوزروه ووقروه وعززوه . وكانت علامته احمد الله وأشكره وكان
 له أخ صغير اسمه عبد الرحيم فجعلوا اليه منصب الطغراء وقالوا أن هذا المنصب
 لا يحتاج الى فضل وليس الا مجرد ذلك الخط القوسى . وكان الاستاذ على
 ابن أبى على القمى وزير كمشتكين الذى كان قديما مرييا لبركيارق وآتابكه .
 فحين ولى السلطنة نفذ أمره ومضى حكمه حتى كأنه فى الملك شاركة . وتولى
 الاستاذ على ديوان الاستيفاء وجرت بايالة هؤلاء فى الدولة أمور شنيعة
 وأحوال فظيعة ولو تمشى أمر من الأمور فأنما كان بكفاية الاستاذ على فانه
 كان يرجع الى نظر لودعى . ورأى ورى . والباقيون كالاصنام لا يضرّون ولا
 ينفعون . وأم السلطان قد خلعت عذارها ووافقت كمشتكين الجاندار على المنكر
 ومعاقرة المسكر والسايطان مشغول باللعب والعشرة مع عدة من الصبيان
 والوزير أيضا منهمك فى الشرب مع الاخذان . والمساخر والمجان . ووصلوا
 الى بغداد واختاروا المقام فيها . والهتم مغانيها وغوانيها . وصار الامر مهملا .
 والعدل مغفلا . وكان من أكابر الامراء فى ثغور مصر والشام أميران

« ذكر حال ولاية السلطان أبي المظفر بركيارق »

« ابن ملكشاه برهان أمير المؤمنين »

قال : كان للسلطان ملكشاه أربعة بنين وهم بركيارق ومحمد وسنجر
ومحمود وكان محمود طفلاً فبايعوه على السلطنة لأن أمه ترکان خاتون كانت
مستولية في أيام ملكشاه فلما درج بقي بحكمها ولأن الأمراء والوزراء كانوا
من صنائعها فاختاروا ولدها ولأن الخاتون المذكورة كانت من أولاد الملوك
ففضلوا ابنها على أن بركيارق كانت أمه ساجقية ولكن لم يكن من بني
السلطان بنفداد حاضراً إلا ولدها الطفل فبايعوه وساروا إلى اصفهان
وأجلسوه على سرير الملك وأخرجوا تلك الأموال العتيدة . والذخائر الطارفة
والتليدة . فقرقوها بأمر خاتون

قال : وفي أول العهد فتك بسلج الملك مماليك نظام الملك فانه كان وزيراً لخاتون
وولدها ولما سمع مماليك نظام الملك أن خاتون وولدها قد قصدوا اصفهان
خرجوا ببركيارق منها إلى الري وشرعوا في جمع العساكر عليه وحماتهم على
ذلك دخلهم القديم الذي في قلوبهم من تاج الملك وكانوا ينسبون إليه قتل
نظام الملك . وفي مبادئ هذا الأمر تولى المستظهر بالله الخلافة وأخذوا منه
بيعة محمود ثم جاء بركيارق إلى اصفهان محاصراً . ولم يكن معه أحد من أرباب
الدولة حاضراً . فان الكابر كانوا محصورين . واجتمعت عليه جماعة من أبناء
الدهر غير معروفين . ولما سمعت والدته باصفهان واسمها زبيدة خاتون انه
على قصد ما سفر وجهها للسفر . وخبر ما كانت فيه من ذمام الخفر . ومات

قال: وفي النصف من صفر خرج من بغداد الى خراسان . وأما النوبة الثانية من دخوله الى بغداد فانه دخل اليها في الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة ٤٨٤، ومعه نظام الملك وتاج الملك وأكابر مملكته وأرباب دولته وبرز أمين الدولة بن الموصل لا لاستقباله . وخرج خروج الوزير في جميع أحواله . وخرج السلطان منها ومضى الى خوزستان في صفر سنة ٤٨٥ بعد ان سیر قسيم الدولة آق سنقر الى حلب والامير بوزان الى الرُّها وحرَّان . وأما النوبة الثالثة فانه دخلها في الرابع والعشرين من شهر رمضان سنة ٤٨٥ بعد قتله نظام الملك ومعه تاج الملك وكانت وفاته بها في شوال

ذكر حوادث

قال : في ليلة السبت السادس والعشرين من شهر رجب سنة ٤٧٨ توفي قاضي القضاة أبو عبد الله محمد بن عليّ الدامغانى ومولده سنة ٣٩٨ ودخل بغداد سنة ٤١٩ . وولى القاضى أبو بكر المظفر بن بكران الحموى الشامى قضاء بغداد . وتوفي نخر الدولة أبو نصر محمد بن محمد بن جبير بالموصل في سنة ٤٨٣ ومولده بها سنة ٣٩٨

قال الامام عماد الدين رحمه الله : عاد الحديث الى تعريب كتاب أنوشروان

في اليوم الثالث الى الحلبه ولعب بالأكره وأنفذ اليه الخليفة أفراساً والطافاً
وتصافيا وتهاديا ومضى نظام الملك الى المدرسة والى دار الكتب بها وقلبها
وتصفحها . ورمّ أحوالها وأصلحها . وعاد الى دار ولده . وثيد الملك فأقام بها
لياليتين . وفي سابع عشر المحرم سنة ٤٨٠ استدعى الخليفة السلطان الى حضرته
على لسان ظفر الخادم فبشر وجهه وسفر ونزل في الطيارة فلما وصل الى باب
الغربة قدّم اليه فرس من مراكب الخليفة . حتى انتهى الى السدة الشريفة .
وأمره الخليفة بالجلوس فامتنع . وتواضع حتى ارتقع . ثم أقسم عليه حتى
جلس . وزاد في ايناسه فأنس . ولم يزل نظام الملك يأتي بأمر أمير الي تجاه
السدة ويقول للامير هذا أمير المؤمنين . ليعفرتبقييل الارض الجبين . ويقول
للخليفة هذا فلان وعسكره كذا وولايته كذا وكانوا فوق الاربعين وكان
فيهم آيتكين خال السلطان . فانه استقبل القبله وصلى ركعتين . ومسح وجهه
للنبرك بأركان الدار من الجانبين . وعاد السلطان وعليه الخلع السبع والطوق
والسوار . وقد ظهرت عليه من آثار الجلالة الانوار . فمثل بين يدي السدة
الشريفة وقبل الارض مرات وأمر الخليفة مختصاً خادمه فتلده بسيفين وقال
الوزير أبو شجاع « يا جلال الدين سيدنا أمير المؤمنين الذي اصطفاه الله لعز
الخلافة . واجتباه لشرف الامامة . واسترعاذ للأمة . واستخلفه لادين والملة .
قد أوقع الوديمة عندك موقعا . واصطفي الصنيمة عندك موضعا . وقلدك
سيفين لتكون قويا على أعداء الله تجوس بلادهم وتذلّ رقابهم . ولا تألو في
مصلحة الرعية مقاما . ولا تدخر عنها اهتماما . فبطاعته تقبل عليك الخيرات
من جوانبها وتدرّ البركات بسحائبها » وسأل السلطان في تقييل يد الخليفة فلم
يجب الخليفة الى تقييلها . فسأل في تقييل خاتمه لترفيفها وتبجيلها

عند قبر ابراهيم عليه السلام وكان . ولده بكنكوز سنة ٤٣٧
ولما عزل أبو شجاع تولى أبو سعد بن الموصلايا النظر في الديوان .
وكان كبير الشأن كثير الاحسان . تولى ديوان الإنشاء بعد سنة ٤٣٠ وعاش
الى أن ناب عن الوزارة المقتدية والمستظهرية ثم أعيدت الوزارة الى عميد
الدولة بن جبير في السابع والعشرين من ذى القعدة سنة ٤٨٤ وكان السلطان
ببغداد فركب نظام الملك وتاج الملك وأكابر الامراء الى دار عميد الدولة
لاجلاله . والتنويه بمنصب اقباله . وفي سنة ٤٨٢ درّس أبو بكر الشاشي في
التاجية ثالث عشر المحرم . وفي جمادى الآخرة توفى أبو القاسم الشريف
الدبوسي مدرّس النظامية . وفي محرم سنة ٤٨٣ قدم الشيخ أبو عبد الله
الطبري بمنشور نظام الملك متولياً للتدريس بالنظامية . ثم وصل بعده القاضي
أبو محمد عبد الوهاب الشيرازي للتدريس بالنظامية أيضاً وتقرر ان يدرس
هو يوماً والطبري يوماً . وفي سنة ٤٨٤ قدم الشيخ أبو حامد الغزالي الى
بغداد للتدريس في المدرسة النظامية وكان في العلم بحراً زاخراً . وبدرّاً زاهراً .
وأشرقت غرائبه في المشرقين والمغربين . وملاّت حقائب الماوين . وثقلت
غوارب الثقلين .

ذكر دخول السلطان ملكشاه الى بغداد

فأما في النوبة الاولى فانه دخل الى بغداد في رابع ذى الحجة سنة ٤٧٩
واله زير أبو شجاع خرج لاستقباله . وتوفية حق اعظامه . واجلاله . وركب
(١٠ — آل ساجوق)

وكان خراباً من دهر . وقدم بغداد و تلقا الوزير أبو شجاع ووصل الى حضرة الخليفة ليلة الاربعاء ثامن ذى الحجة وخلع عليه . وأحسن اليه . وكان قد علق به السبل فسار لوقته الى اصفهان ونوفى بها في سنة ٤٧٧ هـ . وكان قد توجه جمال الدولة عفيف الى اصفهان في اتمام العقد للخليفة على بنت السلطان فماد الى بغداد فخلع الخليفة على بن أبي شجاع وسنه يومئذ اثنتا عشرة سنة ولقبه ربيب الدولة وأخرجه لاستقبال عفيف واستمر أبو شجاع في وزارته جريئاً في الشجاعة شجاعاً في الجرأة . أهلا لمحمود الزمام ذاماً لاهل الذمة . وألزم اكابرهم بابس الغيار . وأداء الجزية على وجه الصغار . حتى اسلم الرئيس أبو غالب بن الاصباغى غيرة من الغيار . ونفضاً لما كان على صفحات أحواله الحالية بموضع النصرانية من الغيار . وأسلم الرئيس أبو سعد بن العلاء بن الحسن بن وهب بن الموصلايا صاحب ديوان الانشاء وابن أخيه أبو نصر بن صاحب الخبر وكان في رتبته في السماء وذلك في رابع عشر صفر سنة ٤٨٤ هـ وثقلت وطأة الوزير . على الصغير والكبير . وترك المحابة في الدين . ووافق ذلك وصول كتاب من السلطان في عزله . ووقع ضجر الخليفة من فعله فخرج التوقيع بصرفه في تاسع عشر صفر فانصرف وهو ينشد
تولاها وليس له عدو وقارقها وليس له صديق

قال : وكانت أيامه أنضر الايام . وأعوامه أحسن الاعوام . فخرج ثلثي يوم عزله يوم الجمعة ماشياً الى الجامع من داره . في زى شاهد باستبصاره واعتباره . وانشأ الناس عليه يصاحفونه فانكر ذلك عليه وألزم داره . وضيق الخليفة عليه أعذاره . ثم سافر في الموسم الى الحج وتوفى بالمدينة على ساكنها السلام في النصف من شهر جمادى الآخرة سنة ٤٨٨ هـ فدفن بالبقيع

قد قبض . وان مبرم أمره قد نقض . فخلع على عميد الدولة بن جهير وأنفذه الى ولايته . وكاتب التركان بطاعته . وأنفذ معه الامير آقسنقر قبل أن يصير صاحب حلب وسار في صحبته . واتصل به الامير ارتق وصار في جملة . ووصل الى الموصل فأطاعه أهلها . وتسهل له وعرها وسهلها . وتوجه السلطان الى بلاد مسلم بن قريش . في أقوى جاش وأوقى جيش . فلما علم سلامته ونجائه . وانه بالمكر قد فاته . أرسل اليه مؤيد الملك بن نظام الملك ووثقه بالايامن وأمنه بالمواثيق وقدم به الى السلطان وهو بالبوازيج . فأحلى له جنا الجناب المريع وأسامة في مراد المراد البهيج . وكانت أحواله قد ذهبت . وأمواله قد نهبت . واستقرض ما خدم به وقدم خيله وفيها بشار وكان فرساً سابقاً مذكوراً وهو لذى نجا به يوم آمد وسبق ووثب الخندق وراهن السلطان شرف الدولة على مسابقته . فأجراد مع الخيل في حلبته . فجاء سابقاً ولما طلع صبح غرته من ظلام قتامة قام السلطان للاعجاب به وأظهر انه لاكرامه . وفي صفر سنة ٤٧٨ هـ تجرّع شرف الدولة كأس الحمام . فانه فتك به خادم له في الحمام

قال : وكان المظفر أبو الفتح ابن رئيس الرؤساء قد رتب في ديوان الخليفة بعد خروج بنى جهير واستقل بكل ترتيب وتدير الي أن وزر أبو شجاع محمد بن الحسين في سنة ٤٧٩ هـ لأمير المؤمنين وخلع عليه خنعة الوزارة ولقبه ظهير الدين مؤيد الدولة سيد الوزراء صفى أمير المؤمنين . وخرج في خقه توقيع من انشاء أبي سعد بن الموصلايا ووصل عماد الدولة سرهناك ساوتكين الى واسط ومنها الى النيل في شهر رمضان وزار المشهدين الشريفين وأطلق بهما للاشراف مالا جزيلا وأسقط خفارة الحاج وحفر العلقمى

وفي السكة باسمه

ثم أنفذ السلطان في سنة ٧٧٠؛ أرئق بن أكسب صاحب حلوان مع التركمان الى نخر الدولة مددا . وتوفى وتقوى بهم عُدَدٌ وعددا . وكان بن مروان صاحب ديار بكر قد استنجد شرف الدولة مسلم بن قريش وأعطاه يده على ان يعطيه آمد اذا أمده وأيده . وقصد بن جبير الصالح وقال : « أكره أن يحل بالعرب مكروه أنا سبيه » وعلم التركمان ما رآه . خالفوا هواه . وركبوا ليلا وأحاطوا بالعرب فربوا ورهبوا وطلبوا . في كل واد وناد وسلبوا . ولم يحضر تلك الواقعة بن جبير ولا أرئق وإنما أصطلى نارها الأمير جبق وحقق دماء العرب واستولى على جميع جبالهم . وعامت أيدي العامة في أموالهم . وألجئ شرف الدولة مسلم الى فضيل آمد فعزت الحيلة وأعوزت الوسيلة . ووصى نخر الدولة بن جبير الأمير أرئق بأن يأخذ عليه الطريق وقال اذا حصل شرف الدولة في اليد فتحنا للسلطان البلاد . وحوينا العاراف والتلاد . فبذل شرف الدولة للامير أرئق مالا لينرج عنه فمال الى المال وأظهر الغضب عن تحكم نخر الدولة ونفس عن خناق مسلم فسار الى الرقة وذلك في حادى عشر شهر ربيع الأول وقصد فخر الدولة ميافارقين ومعه الامراء الاكابر سيف الدولة صدقة بن بهاء الدولة وأياز وترشك وخمارتاش فى عسكر كهرايين ولما قصد خلاط رجع هؤلاء عنه الى العراق وفى سنة ٧٩٠؛ خرجت ديار بكر عن نظره وسلمها السلطان الى العميد أبى على البلخى . فاما شرف الدولة فانه لما وصل الى الرقة . أحمد عاقبة المشقة . وعدا ما بذله لارئق من الحقوق المستحقة . فأنجز الوعد وأرسل المال . وصدق المقال . ولم يشك السلطان لما نمي اليه الخبر ان شرف الدولة

أحسن بالموت فاستدعي أخته ليوصي إليها فقضى نحبه قبل ان تقع عليها عينه .
 وكان السلطان قد رحل ونظام الملك قد سبقه فسار مغدًا أربع منازل حتى
 لحقه ودخل الى الوزير ولم يعلم بوفاة ولده فعزاه وقال : أنا ولدك والخلف
 عمن ذهب . وأنت أولى من صبر واحتسب

قال : وفي سنة ٤٧٥ هـ سار الشيخ الامام أبو اسحق رسولاً من المقتدى
 الى السلطان بعد ان أوصله الخليفة اليه وفأوضه شفاهاً وشكا من العميد أبي
 الفتح بن أبي الليث شفاهاً . فوصل الى خراسان وناظر مع الامام أبي المعالي
 الجويني وكان في صحبته من اكابر تلامذته الشاشي وابن قنان والطبري
 وكان معه جمال الدولة عفيف الخادم وعاد الشيخ أبو اسحق الى بغداد
 والقلوب الى حضرته . متعطشة . والعيون من غيبته مستوحشة . ثم توفي قدس
 الله روحه في ليلة الأحد الحادي والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٤٧٦ هـ
 ورتب مؤيد الملك أبا سعد المتولي مدرساً فلم يرض نظام الملك به وجعل
 التدريس للشيخ الامام أبي نصر الصباغ صاحب الشامل . فاتفق خروج
 مؤيد الملك وخارج معه المتولي فعاد متولياً . وفي رتب السمو متعلماً . وقد
 لقب شرف الامة وأبو نصر الصباغ مدرس . وتوفي يوم الخميس النصف من
 شعبان وبقي المتولي مدرساً الى أن توفي في شوال سنة ٤٧٨ هـ . وعزل عميد
 الدولة في صفر سنة ٤٧٦ هـ بكتوب خرج اليه من الخليفة واجتمع يارق
 الحاجب والشحنة والعميد وأصحاب مؤيد الملك على باب عمورية حتى خرج
 بنو جهير بأهلهم وحواشيهم . وكملهم وناشيهم . وساروا الى المعسكر .
 وحصلوا على المنصب الأظهر . فان السلطان عقد على نخر الدولة بن جهير
 ديار بكر وخلع عليه وأعطاه الكوس والعلم وأذن له في الخطبة لنفسه .

ذكر جمال الملك أبي منصور بن نظام الملك

قال: كان كبير أولاد نظام الملك وفيه دهاء وجراءة وعزّة ونخوة وخاطبه أبوه في أيام الب ارسلان ان يوزر لولده ملكشاه فأظهر امتناع أبي . وقال « مثلي لا يكون وزيراً أصبى » ثم أقام ببلخ متولياً . وعلى لك الممالك مستولياً . فسمع ان جعفر ك مسخرة السلطان . تكلم على والده نظام الملك باصفهان . وقرر الوزارة لابن بهمنيار فهاج وتغيظ وثار وأغذ السير من بلخ حتى وصل الى الحضرة وأخذ جعفر ك من بين يدي سلطانه وتقدم بشق قفاه وإخراج لسانه . فقتضى في مكانه . ثم أوقع التدبير في حق بن بهمنيار حتى أخذه وسلمه . ثم توجه مع والده في خدمة السلطان الى خراسان وأقاموا بنيسابور . ودبروا الأمور . فلما أرى السلطان ان يرتحل استدعى بعميد خراسان أبي علي وقال : أنا مفض اليك بسرّ خفي فقال أنا من كل ما أأمرني به على أقوم سنن فقال : رأسك أحب اليك أم رأس أبي منصور ابن حسن فقال : بل رأسي أحب . وأنا لما تستطعني من داءه أطب . فقال : له ان لم تقتله قتلته . وصرفتك عن ولاية الحياة وعزالتك . فخرج من عنده ولقى خادماً بخدمة جمال الملك مختصاً . وعرف في عقله نقصاً . فقال : ان السلطان قد عزم على أخذ صاحبكم وقتله غداً . والصواب ان تصونوا بآبادته حرمتكم أبداً . فظن السخيف العقل . ان ذلك عن أصل وجهل النظر ونظر عن جهل . وخاف على تشتت آل النظام بهذا الولد فعمد الى كوز فقاع فسمه ولما انتبه صاحبه بالليل وطلب القناع أناه بالكوز المسموم فلما شربه

ومضى الى السلطان وعاد في ثاني عشر صفر سنة ٤٧٤ بمكة قوية وقوة متمكنة . وقد تقرر عليه أربعون الف دينار في كل سنة

وفي شوال سنة ٤٧٤ خلع المقتدي على الوزير نخر الدولة ابن جهير وتوجه ليخطب للخليفة من السلطان ابنته وسار بعده أبو شجاع محمد بن الحسين الى المعسكر فان نظام الملك كان يكتب في ابعاده . وكان الخليفة راغباً فيه لسداده . فكتب بخطه الى نظام الملك يأمره بالعود الى المهود في حق أبي شجاع وأنفذ معه مختصاً الخادم فعاد الى بغداد في رجب سنة ٤٧٥ في حرمة وافرة وحشمة ظاهرة . وأما الوزير نخر الدولة ابن جهير فانه لما وصل الى المعسكر بجبل وعظم ومضى نظام الملك معه الى ترکان خاتون وخاطبها في معنى الوصلة بابنتها فقالت ان ملك غزنة وملوك الخانية قد أرسلوا في خطبتها وبذل كل منهم عن ولده لها أربعمائة الف دينار . فان بذلها الخليفة فاني أختار شرفه وهو أشرف مختار . فمرقتها ارسلان خاتون زوجة القائم ما يصير اليها من الجلال والجمال . وبين لها الفقيه المشطّب جلية الحق وحقيقة الحال . وقال هؤلاء عميد الخليفة ومثله لا يقابل بطلب المال . فحينئذ أجابت وسددت الى الغرض وأصابت . وأخذ نخر الدولة يد السلطان على العقد وعاد في صفر سنة ٤٧٥ الى بغداد . وفي جمادي الاولى ورد مؤيد الملك من اصفهان الى بغداد ونزل في داره وضربت على بابه الطبول في أوقات الصلوات الثلاث . وعد ذلك من منكرات الاحداث . ووصل بعتاء رضيه وقطع به ضرب الطبل . وأذنت الحباء بوصول الجبل . وفي شعبان من السنة جلس مؤيد الملك للعزاء بأخيه جمال الملك وركب اليه نخر الدولة وعميد الدولة وأقامه فخر الدولة من العزاء في اليوم الثالث ومعه الموكب

مملوكيه بزنان صاحب الرها وأق سنقر صاحب حلب أن يطيعاه على هذا
 الغرض . ويساعده على اداء هذا المفترض . وأمر سعد الدولة كهرايين بفتح
 بلاد اليمن . واستخلاص زبيد وعدن . فسير اليها جيشاً قدّم عليه ترشك
 فضى اليها واستولى واستملى ومات بها وعمره ٧٠ سنة وهو مجذور وتولى
 مكانه يرتش صاحب قُتلغ أمير الحاج . وجري في الاستيلاء على ذلك
 المنهاج . وأوغل ملكشاه في بلاد الترك حتى أطاعه صاحب طراز وكانت
 حلة الدولة بجلالة جلالها ذات طراز

وفي سنة ٧٣٤ عرض العسكر وأسقط منه سبعة آلاف رجل من
 الأرمن المتشبهة بالترك فمضوا الى أخيه تكش بقلعة ونج فقوى بهم جانبه
 وشق عصاه بالعصيان والشقاق وما زال السلطان ملكشاه يقصده فتارة
 يصلحه وتارة يكافئه حتى ظفر به في سنة ٧٧٤ وقد كان عاهده أن لا يؤذيه
 فنقض السلطان أمره الى ولده أحمد فأخذه وسلمه . وفي سنة ٧٨٤ دعا
 الاقيس تاج الدولة تتش بن الب ارسلان الى دمشق واثقابه خارجا عن
 خلفه وخرج اليه من دمشق مسلماً . ولحكه مستسلماً . فضرب رقبتة صبرا .
 ووغادره عارياً بالعراء غدرا . ودخل الى البلد مستبداً . وأصبح الملك به مستجداً .
 في هذه السنة استولى شرف الدولة مسلم بن قريش على حلب . وفي المحرم
 من سنة ٧٨٤ عاد السلطان ملكشاه من كرمان الى اصفهان وكان قد ورد
 اليها عام أول وخرج اليه ابن عمه سلطان شاه بن قاورد وعاهده وعاقده .
 وأخذ على العهد يده . وفي صفر تسلم مؤيد الملك من المهر ياط تكرت وقلعتها
 وأحكمها ووفر عدتها . وفي ليلة الاحد عاشر شوال توفي دبس بن علي بن
 مزيد وكانت امارته سبعاً وستين سنة وقام بالامر بعد بهاء الدولة منصور

مملوكي وقد وهبته لك فتدنى نفسه عنه بثلاثة دينار . وأثرى صاحب البطيخ
بعد اقتار .

وكان محباً للصيد وقيل انه كان حصر عدد كل ما اصطاده بيده فبلغت
عدته عشرة آلاف فتصدق بهشرة آلاف دينار . وكان بالعمارات ذا اهتمام .
وبالزراعات فيها ذ غرام . خفر أنهاراً . وأوثق على المدن أسواراً . وأنشأ
رباطات في المغاوز . وقناطر للجائز . ومن جملة جميل صنعه في العمارة عمارة
مصانع طريق مكة ومنازلها . وتسهيل ما توعر من مسالك قوافلها . وخرج
سنة من الكوفة لتوديع الحجاج فجاوز العذيب وبلغ السبيعة بقرب الواقعة
وبنى هناك منارة ترك في أنائها قرون الظبي وحوافر الجر الوحشية التي
اصطادها في طريقه والمنارة باقية الى الآن تعرف بمنارة القرون وكانت قد
خرج الى الصيد وعاد في ثالث شوال فابتدأت به حمى محرقة من امعانه في
أكل لحم الصيد فتوفي في سادس عشر الشهر . وعاد الملك بظهور وفاته
منتصم الظهر . وكانت قد جرت بينه وبين الخليفة في تلك الايام وحشة
أساءت الظنون . ونسبت الى عوارضها المنون . ومن أسباب الوحشة اقتراحه
على الامام المقتدي انتقاله عن بغداد الى حيث يختاره من دمشق أو الحجاز .
وعدم من جانبه الامام ما يجب من الاكرام والاعزاز . فطالب منه المهلة .
ثم كفى أمره ولم يخف النقلة .

قال : وقد كان قرر فتح أقاليم الدنيا فجعل الامير برسق لاروم فضايقها
حتى قرر على قسطنطينية له في كل سنة حمل ثلثة الف دينار لاسلطات .
وثلاثين الف دينار له جزية يؤديها الرومي بالصغار والهوان . وسير أخاه
تاج الدولة تثنش الى الشام وقرر معه فتح ديار مصر وبلاد المغرب وأمر

واحدة موت السلطان والوزير وجميع أركان الدولة . كل شيء هالك
الا وجهه .

قال الامام السمد عماد الدين محمد بن محمد بن حامد الاصفهاني
الكتاب رحمه الله و قدس روحه

ذكر نبذ من حوادث وأخبار في أيام ملكشاه

اغفلها الوزير أنوشروان

قال رحمه الله : ولد ملكشاه في التاسع عشر من جمادى الاولى سنة
٤٤٧ وتوفي في السادس عشر من شوال سنة ٤٨٥ وعمره ٣٨ سنة وأشهر
وكان يعرف بالسلطان العادل ومن جملة عدله انه رأى شا كيا با كيا فسأله
عن موجب اشتكائه . وسبب بكائه . فقال اشتريت بطيخا بدرهيات
لاعود بربحها على عيالي . وأعيد منها رأس مالى . فأخذها منى من يده قوى
اضعف عن الاخذ على يده . وتركنى التركى وهو يضحك من بلىتى وأنا
أبكى من نكدته . فتال له السلطان طب نفساً . واستبدل من الوحشة أنساً .
فهل تعرفه فانكر ممرفته وكان البطيخ في أول با كورته ولا يكاد يصاب
منه شيء في البلد فتال السلطان لبعض خواصه قد اشتيت بطيخاً فاجتهد
في تحصيله ولو واحدة فما زال يطلبه حتى قال له بعض الامراء عندى وقد
أحضره عبدى فلما علم ملكشاه احضر المتظلم وقال خذ بيد هذا الأمير فانه

وأعداء . فاذا نقل الينا صاحب الخبر وكان له غرض أخرج الصديق في صورة العدو والعدو في صورة الصديق . فأسقط السلطان هذا الرسم لاجل ماوقع له من الوهم . فلم يشعر الا بظهور القوم وقد استحكمت قواعدهم . واستوثقت معاقدهم . وأخافوا السبل . وأجالوا على الاكابر الاجل . وكان الواحد منهم يهجم على كثير وهو يعلم انه يقتل فيقتله غيلة . ولم يجد أحدهم من الملوك في حفظ نفسه منهم حيلة . فصار الناس فيهم فريقين فمنهم من جاهرهم بالعداوة والمقارعة . ومنهم من عاهدهم على المسالمة والمودعة . فمن عاداهم خاف من فتكهم . ومن سالمهم نسب الى شركهم في شركهم . وكان الناس منهم على خطر عظيم من الجهتين . فأول مابدأوا بقتل نظام الملك ثم اتسع الحرق . وتفاقم الفتق . ولما كانوا قد تجمعوا من كل صنف تطرقت الى جميع أصناف الناس التهم . ودب الي البرى السقم . وتوفرت على التوقي المهم . وتعين على السلطان أن يكشفهم مدافعا لئلا ينسبه العوام وأهل الدين الى الالحاد . وفساد الاعتقاد . كما جرى على ملك كرمان فان الرعية اتهموه بالميل الى القوم فبطشوا به وقتلوه وأقاموا ملكا آخر مقامه وسيأتي ذكر بعض الاحوال في أيام السلاطين الذين ولوا . وما كان سلطان يلي يثق بنخواصه . وسمى ذرو الاغراض في ذوى اختصاصه . ولما عرفوا جيد السلطان في ابادة القوم سعى بعض الناس ببعض . وأحب وسمه بالالحاد لسابق عداوة وبغض . ووسمه باسم لم يمح عنه غير السيف . ولم يجد محيدا عن التزام الحيف . وبقي في هذه الاصطكاكات والاصطدامات خلق كثير . وجم غفير . ولم يبق الاكابر في دفع ما عارأى ولا تدبير قال : وتوفي أمير المؤمنين المتسدي بأمر الله بعد سنة وكان في سنة

عرفوا ولا اهتروا ولا انجسو	ولله لو ملكوا النساء لما
هيهات خاب الظن والحدس	م باب ابراهيم قصده
جود فزال الجود والحبس	فدكان محبوبا وكان له
.....
.....

— ذكر ظهور لاسماعيلية —

من : فتأيت النوائب . وظهرت العجائب . وفارق الجمهور من بيننا .
 جماعة نشأوا على صباغنا . وكألو بصاعنا . وكانوا معنا في المكتب . وأخذوا
 حفاً وفراً من الفقه والادب . وكان منهم رجل من أهل الرى وساح في العالم
 وكانت صناعته الكتابة خفى أمره حتى ظهر وقام فأقام من الفتنة كل قيامة
 و استولى في مدة قريبة على حصون وقلاع منيعة . وبدأ من القتل والفتك
 بأمور شنيعة . وخفيت عن الناس أحوالهم ودامت حتى استتبت على استتار .
 بسبب ان لم يكن الدولة اصحاب أخبار . وكان الرسم في أيام لديلم ومن قبلهم
 من الملوك انهم لم يخلوا جانباً من صاحب خبر وبريد فلم يخف عندهم اخبار
 لاقصى ولا دني . وحال الطائع والعاصي . حتى ولا في الدولة السلجقية
 اب رسالان محمد بن داود ففاوضه نظام الملك في هذا الامر فأجابه انه
 لا حاجة بنا الى صاحب خبر فان الدنيا لا تخلو اكل بلد فيها من أصدقاء لنا

والناصح الغندور حتى الى
 وأبو الفتوح انت تعرفه
 وخليفة الرى الخبيث له
 وأبو الغنائم فى تبظرمه
 والزورنى فيبارد سمج
 لو أن نور الشمس فى يده
 متخفف أى انى فهم دمث

قد صار مال الارض فى يده
 هذى امور الملك أجمعها
 ولقد هممت بأن افارقهم
 لكن شانى عن فراقهم
 من ذا أروم وأجتيديه لقد
 المقتدى المسكين ليس له

هذ وكهرايين شجنته
 كالكلب خب بارد نمس

وأبوشجاع فى وزراته
 أبى جهير أرتجى وهم
 أعلى أمورهم اذا نفق الـطـريـخ عنهم أو غلا الدبس
 كالخرس لا بل دونه الخرس
 بالامس اقرب سوقة غبس

مرتاب وقال « قولوا للسلطان كأنك اليوم عرفت نبي في الملك مساهمك .
وفي لدولة مقاسمك . وإن دواتي مقترنة بتاجك فتى رفعتها رفع . ومتى
سلبتها سلب » فلما سمع جواب الرسالة زد في غيظه عليه واستشاطته
وكان ماجرى على نظام الملك من الاغتيال تجويزاً من السلطان مضمرًا .
وأمر أميئتا مدبرا .

قال : ونظم أبو المعالي النحاس أبيتا بالفارسية يخاطب فيها السلطان
فقال ما معناد كأن ملكك من أبي علي وأبي سعد وأبي الرضى بالعلو والسعد
مرضيا . فلما آل إلى أبي الغنائم وأبي الفضل وأبي المعالي عاد من كسوة جمالها
عريا . عني بالاولين نظام الملك لوزير وشرف الملك المستوفى وكمال لدولة
المشرف المنشئ وعني بالآخرين تاج الملك لوزير ومجد الملك وسديد الملك
المنشئ مع نهم كانوا أفضل أهل زمانهم وكان تاج الملك يظهره صائم لدهر
قال : ورأيت صلة لتاج الملك خمسة عشر ألف دينار في كياسها .

قال : ومع خلاهم الرياضية . والحصال الزكية . لم يخلصوا من أبناء
الزمان ونشبت فيهم مخالب الهجاء . وعثرت بهم السنة الشعراء . وقد جمعهم
أبو يعلى ابن الهبارية في قصيدته التي يقول فيها

لو أن لي نفساً هربت لما	ألقى ولكن ليس لي نفس
مالي أقيم لدى زعانفة	شم القسرون أنوفهم فطس
لي مأثم من سوء فعلهم	ولهم بحسن مدائح عرس
ولقد غرست المدح عندهم	طمعاً فحنظل ذلك الفرس
الشيخ عينهم وسيدهم	خرف لعمرك بارد حبس
كالجاثليق على عصيته	يعدو ودار خلفه القس

عميد لدولة وسيد لرؤساء . فلم يغتر من السلطان بذلك لادناء . لسكرته تحيل عليه . ودبت في الباطن عقاربه اليه . وكان يكرم مجد الملك المستوفى ويثني عليه عند السلطان . وكان سيد الملك أبو المعالي المنفل بن عبد لرزق بن عمر عارض الجند فقربه أيضاً تاج الملك وجعله من حزبه واستولى بهما على حيازة الامول ولاعمال وتفقوا على حل نظام الملك ومخائفة وغيره . رأى السلطان في وزارته ورر مو زلة ذلك الطود العظيم . ونثر ذلك السلك النظيم . وهو شيخ قد طعن في سنه . وبلغ بقوته أمد وهنه . وأيس من نجابة أولاده و طال عمره حتى سئمه . وأنس بمنامات فلن تؤلمه . فلم يكثر بهم . ولم يلتفت اليهم ولا تأثر بكيدهم . ولم يقم وزناً امرهم وزيدهم . فقتل يوماً غيلة بسكين ملحد . ودفن بدفنه الجود والفضل ولدين في ملحد . وذلك في سنة ٤٨٥

وتوفى السلطان بعد قتل لوزير بثثة وثلاثين يوماً ولم يعيش تاج الملك بعد ذلك أكثر من ثلثة أشهر على الخوف وخطر ثم قتل قتلاً ذريعاً . وبضع بالسيوف تبضيعاً . وسبب ذلك ان المليك النظامية تهمود بقتله فجمعوا على عداوته وفتكوا به فعلم الناس ان سلامة تلك الدولة وربابها وسلامة سلطانها كانت بسلامة ذلك الشيخ منوطة . وبجياطته محوطة

قال : ولما مل السلطان طول مدته . واستطالة مكنته . أنفذ اليه يوماً تاج الملك برسالة ووكل على لفظه بعين من أكابر خواصه حتى يبلغ في ابلاغها . ولا يرقبه في ادائها . وكان مضمون لرسالة انك استوليت على ملكي وقسمت ممالكى على أولادك واصهارك والماليك فكأنك لى في الملك شريك . أتريد أن أمر برفع دواة الوزارة من بين يديك وأخلص الناس من استطالتك فأجاب جواب مثبت رابط القلب حاضر الملب غير مرتاع ولا

واقام مدة واستناب ابا المختار الزوزنى ثم استعفى فتولى ابو المختار بحكم الاصاله ونعت بكمال الملك . وكان من نواب كمال الدولة ابى الرضى وأتباعه فبلغ الى منصبه ثم انتقل الى جوار ربه . وكان الرئيس تاج الملك أبو الغنائم المرزبان بن خسرو فيروز من أولاد الوزير بفارس وقد خدم السر هنك ساوتكين مدة وهذا الأمير كبير الدولة والمتحكم فيها وكان قد اشى على تاج الملك عند السلطان وشكره وذكر انه يصلح لخدمته وقال انه معتمده على خزانته وأمواله وكان رجلاً سرياً بهياً فصيح اللجة . حسن البهجة .

له همٌّ لا منتهى لكبارها وهمته الصغرى أجلُّ من الدهر له راحة لو أن معشار جودها علا البركان البر أندى من البحر فقبله السلطان وأقبل عليه وولاه وزارة أولاده الملوك وسلم اليه خزانته وولاه النظر فى أمور دورده وحرمة وعول عليه فى بعض الولايات وفوض اليه أمر بعض العساكر وجعل له مع ذلك كله ديوان الطغراء والانشاء ألبسه الله ثياب العلى فلم تطل عنه ولم تقصر

فاستناب عنه الكيا مجير الدولة أبا الفتح على بن الحسين الأردستانى وصار كاتب الرسائل وكان أوجد عصره . ونسيج وحده . وكان رجلاً سكتياً حسن السميت كثير الأدوات . موصوفاً بالثبات . فقير تاج الملك بهجته المقبولة واصفاء السلطان اليه أوضاع المملكة جميعها وبدد نظامها النظام . وبدد احسانها الحسنى . وأذهب حلاوة قبول الوزير من قلب السلطان . وظهرت عليه آثار الملل . ونطقت أساريره بأسراره كالماء يروح بأسراره صناؤه . ويلوح فى قراره حسباؤه . ومع ذلك كلما زاد تقرب السلطان لتاج الملك ازداد تقربه الى الوزير . بالتوقير والتوفير . فتد كانت هذبه نكبة

بالفارسية معناه انك لا تتأثر بالغيبة عني . فانك تجد من نأس به غيري .
وأنا أثأر بغيبتك فاني لا أجد الانس بغيرك .

قال : نصارختنا لنظام الملك وتزوج بابنته . وزاد ذلك في منزلته . وضرب
له سراق وله الكوس والعلم . والحيل والحشم . وأما النائب عن شرف
الملك فقد كان الاستاذ أبا غالب البراوستاني . من أهل قم والنقيب
الجواباذقاني . ثم انصرف أبو غالب وتولى مكانه في النيابة الأعز السكامل
أبو الفضل اسعد بن محمد بن موسى البراوستاني فلم يزل نائبا الى ان صار
استاذاً ولقب بمحمد الملك بعد شرف الملك ولم يكن لأحد من السلاطين
مستوف كأبي الفضل في الضبط والتحفظ . والذكر والتيقظ . وحفظ
القوانين . وتدير الدواوين . وكان أيضا ملجأ لفضلاء الزمان . وموسعا
عليهم بالاحسان . وكان على باب السلطان وفي ديوانه كتاب فضلاء . وكفاة
كبراء . ونواب علماء اذكياء . وكان لمتولى فارس وزير يقال له ابن بهمنيار
ويلقب بعميد الدولة وهو رجل بصير بالاعمال ذو همة عالية . فاتصل بخدمة
السلطان وعلت مكانته . وسمت منزلته . وصار بينه وبين سيد الرؤساء
اتحاد . وصداقة ووداد . وجمعت بينهما عاهة عداوة الوزير نظام الملك ومخالفته
وتصادقا على عداوته . وكيف تكون عاقبة حال المدبر . اذا عادى المقبل . فلم
يزال حتي نكبا وأهينا وطردا وهجرا بعد ذلك القرب . وأبغضا بعد ذلك
الحب . وسجنا واعتقلا . وحبسا وسملا . وسقطت منزلة كمال الدولة أيضا
بسقوط منزلة ولده وأدركته حرفته . ونكبته نكبته . وخدم من ماله الخزانة
السلطانية بثمائة الف دينار وزادت جلالة نظام الملك بعداوة المذكورين
وتولى مؤيد الملك بن نظام الملك مكان كمال الدولة . من ديوان الانشاء والطغراء

الخدمة . ومولات الخدمات للحضرة . والوصول بالمساكر الجملة . حتى
ملا الخزائن بالذخائر . والملا بالمساكر . ونشأ له أولاد كباروا في دولته فإوطأ
عقبهم . وأعلى رتبهم . ثم أنه لما وفر الأموال على الخزانة والعسكر . جعل
فيها لأرباب العلوم وأصحاب الحقوق حقوقاً لا تؤخر . ورسوماً لا تغير .
وصير احسان السلطان بين أهل العلم ميراثاً يأخذونه بقدر الفرائض . ويأمنون
بها منى النوائب والعوارض . فلا جرم تذللت له المصاعب . وتيسرت له
المطالب . ودانت له المشارق والمغارب .

ذكر الأكاير والكتاب في زمانه

وهم الكمال والشرف وسيد الرؤساء وابن بهمنيار وناج الملك

قال : كان نظام الملك مؤيداً بقرينيين . مؤيدين لدولته أمينين . وهما كمال
الدولة أبو الرضى فضل الله بن محمد صاحب ديوان الانشا والطغراء . وشرف
الملك أبو سعد محمد بن منصور بن محمد صاحب ديوان الزمام والاستيفاء . وكلاهما
صاحب الرأي والتدبير والجاه والمال والدهاء . ومعدن الفضل والعطاء .
وكان لهما من الكبرياء نائبان والكمال ولده سيد الرؤساء أبو المحاسن محمد
وكان مقبلاً مقبولا قد اختصه السلطان بخدمته . واختاره لخدمته . واستأمنه
على سره وبلغت مرتبته من اصطفاء السلطان الى غاية لم يبلغها أنيس . ولم
يصل الى رتبها جليس . وقد كتب اليه السلطان يستبطنه بخط يده بيتاً

وربما سيره الى أقلّيم خال من العلم ليحلى به عاطله . ويحيى به حقه ويميت
باطله . تولى الوزارة والملك قد اختل نظامه . والدين قد تبدلت أحكامه .
في أواخر دولة الديلم وأوائل دولة الترك وقد خربت الممالك بين اقبال هذه
وادبار تلك وقد افقرت البلاد وأقوت . واستولت الايدى العادية عليها
وتقوت . وقامت النوائج على النواحي . والنوادر على النوادي . فاعاد الملك
الى النظام . والدين الى القوام . وعمر الولايات . ووالى العمارات . وكانت
العادة جارية بحماية الاموال من البلاد . وصرفها الى الاجناد . ولم يكن
لأحد من قبل اقطاع فراى نظام الملك أن الاموال لا تحصل من البلاد
لاختلالها . ولا يصح منها ارتفاع لاعتلالها . فقرقها على الاجناد اقطاعاً .
وجعلها لهم حصلاً وارتفاعاً . فتوفرت دواعيهم على عماراتها . وعادت في
أقصر مدة الى أحسن حالة من حليتها . وكان للسلطان نسباء يدلون بنسبه .
ويدلون بسببه . ويستطيون بانهم ذوو قرابته فقصر أيديهم . ومنع تعديهم .
وساس جمهورهم بتديره ونظم أمورهم بسياسته . وربما قرر لواحد من الجند
الف دينار في السنة فوجه نصفه على بلد من الروم ونصفه على وجه في أقصى
خراسان وصاحب القرار راض . وليقينه بحصول ماله غير متقاض . وتوقعه
مأمون التعويق . وتفويقه لسهم السداد مقرون بالتوفيق . فقسم الملك الذي
حازه السيف بقلبه أحسن تقسيم . وقومه أحسن تقويم . وكان ينظر في
الاقواف والمصالح ويرتب عليها الامناء ويشدد في أمرها . ويخوف من
وزرها . ويرغب في أجرها . ويكافئها الى الأمانة . ولا يدهمها مأكلة للخونة .
ووظف على ملوك الاطراف وعلى أقاليم الممالك والامصار حمل الخزانة السلطان
يحملونها . وخدماء عن عصمة ولايتهم يوصلونها . وقرر معهم الحضور الى

بنى وقت له يجوز معاً أنا فيه من هذه المحنة ان لا تستهزئ بى فنزل فى الحال
عن فرسه واعطانيه وأخذ فرسى واليوم منذ ثلثين سنة اتمنى لقاء ذلك التركمانى
وأسأل عنه ولا أجده .

قال : وكانت علامة نظام الملك الحمد لله على نعمه . وكان مؤيداً موفقاً
من جملة البشر . مخصوصاً من الله بالنصر والفتح والظفر . والدهاء ساكنة
فى أيامه . وأهل الدين والعلم والفضائل رايعون فى انعامه
قال : وفى أيامه نشأ للناس أولاد نجباء . وتوفر على تهذيب الابناء
الآباء . ليحضرهم فى مجلسه ويحظوا بتقريبه فانه كان يشرح كل أحد لمنصب
يصلح له بمقدار ما يرى فيه من الرشد والفضل . ومن وجد فى بلدة قدميز وتبجر
فى العلم بنى له مدرسة ووقف عليها وقفاً وجعل فيها دار كتب . قال : وكأنا
عناهُ أبو الضياء الحمصى بقوله

وما خلقت كفاك الا لاربع * وما فى عباد الله مثلك ثانى
لتجريد هندی واسداء نائل * وتقبيل أفواه وأخذ عنان
قال : وظهر من تدبيره فى سياسة الممالك ما قاله سليمان بن عبد الملك
عجبت لهؤلاء الاعاجم ملكوا الف سنة فلم يحتاجوا إلينا ساعة . وملكنا
مائة سنة لم نستغن عنهم ساعة . قال : وفى عصره نشأ طبقات الكتاب
الجياد . وفرعوا المناصب . وولوا المراتب . ولم يزل بابهم مجمع الفضلاء . وولجأ
العلماء . وكان نافذاً بصيراً ينتقب عن أحوال كل منهم ويسأل عن تصرفاته
وخبرته ومعرفته فمن تفرس فيه صلاحية الولاية ولأه . ومن رآه مستحقاً
لرفع قدره رفعه واعلاه . ومن رأى الانتفاع بعلمه أغناه . ورتب له ما يكفيه
من جدواه . حتى ينقطع الى افادة العلم ونشره . وتدریس الفضل وذكره .

السلطان على كتفه وسار في ركابه من موضع سرير افراسياب الذي كان ملك ملوك الترك الى موضع سرير ملكه وحمله أسيراً الى العراق . تحت الوثاق ثم من عليه بالاطلاق . وأنعم عليه باعادته الى ملكه . واعادة نظمه الى سلكه . وتوجه السلطان في السنة الأخرى الى أوزكند ووصل حمل انطاكية اليها وانقاد له ملك الترك ووصل به الى اصفهان ثم أكرمه وشرفه وأعاده الى مقره من بلاد الترك وهذه السعادة كلها انما تيسرت بسعادة الوزير الكبير خواجه بزرگ قوام الدين نظام الملك ابى على الحسن ابن على بن اسحاق رضى أمير المؤمنين الوارف الظل الوافر الفضل . وكانت وزارته للدولة حلية . وبهجته للمملكة زينة . كأنما خلقه الله للملك والجلالة مصوراً . وكأن الاقبال له معلما والظفر مسخراً . قد مشى في ركابه سلطان العرب مسلم بن قريش وقبل حافر مركوبه وكانت ملوك الروم وغزنة وما وراء النهر في ظل حمايته . وكنف رعايته . وكانت ملوك الأطراف يقبلون كتفه اجلالا وتشريفاً ويتشرفون بلبس خلعه وكانوا انجاداً له على أعدائه وجراً الجحافل الثقيلة . والعساكر الكثيفة . وبقي في صدر الوزارة ثلاثين سنة . قال كنت في مبتدأ أمرى في خدمة الأمير يحيى أسفهلار خراسان فأشخصني اليه من موضع كنت متوليا له تحت التوكيل وانا متوجه نحوه خائب الأمل منكسر القلب على فرس حرون هنيل يتعبتى سيره وأنا في ضرر شديد من ركوبه فيينا انا سائر اذ ظهر من صدر البرية تركاني على فرس يجري جرى الماء رهوان فتمنيت معما كنت فيه من أم القلب ان أكون راكباً مثل ذلك الفرس فتقرب التركاني مني واختلط بالموكلين بي وكلهم ثم التفت الى وقال هل لك ان تقايض فرسك بفرسى خسبت انه يهزأ

﴿ أيام السلطان جلال الدنيا والدين أبي الفتح ملكشاه ﴾

﴿ ابن الب ارسلان يمين أمير المؤمنين ﴾

—•••—

قال : عقدلواء سلطنته في أيام أمير المؤمنين القائم بأمر الله رضى الله عنه وعصر خلافته قد قارب انتهاءه . وشارف انقضاءه . ولهج عند وفاته بهذين البيتين .

سلامّ عمر وكيف بات أسيرها * تفك الأسارى حوله وهو موثق
فان كان مقتولا في القتل راحة * وان كان ممنونا عليه فطلق
وتولى بعده الخلافة أمير المؤمنين المقتدى بأمر الله أنار الله برهانه
وبايعه هذا السلطان . قال : وكان ملكشاه ملكا سيرته العدل . وسريته
الانصاف والفضل . شجاعا مقداما صائب الرأي والتدبير . حقيقا بالتاج
والخاتم والسرير . أيامه في أيام آل سلجق كالواسطة في العقد قد تناسبت في
الحسن بدايته ونهايته . وتناسقت في الاقبال فاتحته وخاتمته . ولم يتوجه
الى اقليم الافتحه . وقهر العدو وفدحه . ولما توجه الى الشام وانطاكية
بلغ الى حدّ قسطنطينية وقرر الف دينار أحمر يحمل الى خزانته من تلك الولاية
ووضع في النواحي التي فتحها من الروم خمسين منبرا إسلاميا وعاد الى الرى
وقصد فتح سمرقند ولم تزد مدة هذه الاعمال على شهرين

ولما وصل سمرقند نزل عليها وحاصرها فظفر بخانها وهو في موضع سلطانيها
وجرت له حروب عظيمة هزمه فيها وكسره . وظفر به وأسرده . فخل غاشية

من الوزير . ولا مهلة في التأخير » فلما عرف نحر الدولة الحال قدم السؤال وطالب الاعتزال . فأذن له أن يعتزل . ويلزم المنزل . وخرج الى كهرائين توقيع فيه لما عرف محمد بن محمد بن جهير ماعليه جلال الدولة ونظام الملك من المطالبة بصرفه سأل الأذن في ملازمة داره الى أن يكتب الى أمره . ولم يزل عميد الدولة يستعطف نظام الملك حتى عطف . ويتألف قلبه حتى انقلب الى ما الف . والزمه تقدم منه . وزوج ابنته بابنه . وكتب الى كهرائين باعادته الى الخدمة . وزيادته في الحرمة . وسأل الخليفة الاغضاء عن ذلته . ولما وصل الى بغداد عزله الخليفة عن خدمته . ونقله الى منزله عن منزلته . ورتب الوزير أباشجاع محمد بن الحسين نائباً في الديوان وجلس بغير منحة ثم توزر عميد الدولة ابن جهير للخليفة المقتدى في سنة ٤٧٢ هـ وأفيضت عليه خلع آذنت بتبجيله . وتولى أمين الدولة ابن الموصلايا قراءة توقيع خرج في حقه بتجميله .

قال الامام عماد الدين محمد بن محمد بن حامد الكاتب الاصفهاني رحمه الله : ولما كان الكتاب الذي صنه أنوشروان الوزير عربته ودينته وقد انتهت في هذا الموضع الى مفتتحة وصات هذه الجملة التي ذكرتها به وجعلتها طريقاً الى دخول بابها لكنني عند انقضاء أيام كل سلطان أوردت حوادث تجددت في عصره . وأخل أنوشروان ينشر حديثها وذكره . ومن هاهنا يقع بما بدأ به البداية . وتكمل بتريبه والاعراب عنه العناية .



الامام أمياً . وفي هذه السنة ورد الى بغداد الشيخ الامام أبونصر بن الاستاذ
ابى القاسم القشيري رحمه الله حاجا . وأوضح بعلمه منهاجاً . وجلس للوعظ
في النظامية . وفي رباط الصوفية . وأبدى شعار الاشعرية . يزعم أنه
يحقق أدلة الموحدة المنزهة . ويبطل شبه المجسمة . فثارت الفتنة من العامة
وقصدت الحنابلة سوق المدرسة وقتلوا جماعة . وأظهروا شناعة . وكان
قد ورد مؤيد الملك بن نظام الملك من المعسكر فلم يطق دفعاً . ولم يستطع
منعاً . فنسب نظام الملك الى بنى جهير الجهر بتلك الفتنة . وحنأ أحناءه
لهم على الاحنة

واتفق وفاة ابنة نظام الملك زوجة عميد الدولة في شعبان سنة ٤٧٠
ودفنت بدار الخلافة اكراماً لأبيها . ولم تجر العادة بالدفن فيها . وانقطع
ما بين النظام . وبينهم من النظام . وأذنت عمرى النسب بالانقسام . ووصل
في المحرم سنة ٤٧١ بشحنكية بغداد سعد الدولة كهرائين وضرب على بابه
في أوقات الصلاة الثلث الطبل . وكان قد منع من ذلك وقيل لم تجر به
عادة من قبل . وأعقب ذلك عزل الوزير ابن جهير وذلك أن كهرائين
أوصل عند وصوله كتاباً من السلطان الى الخليفة يتضمن عزل الوزير فقبل
في جوابه أنه ليس بوزير وإنما الوزير ولده عميد الدولة وقد قصد نحوكم
بالمعسكر . ووالده ينوب عنه الى أن يحضر . وكان عميد الدولة بعد وفاة
زوجته خرج الى المعسكر وعرف أن كوهرائين إن صادفه في الطريق
ضدّفه وصرّفه . فمرج بالجبال . وأتبع الترحال بالترحال . وجاء كهرائين
في النصف من صفر الى باب الفردوس وهو على حالة من السكر فعلق
دونه الباب وربط هناك خيله . وأقام هناك يومه وليله . وقال « لا بد لي

ودخل الوزير نخر الدولة أبو نصر وولده عميد الدولة أبو منصور واستدعى
 مؤيد الملك بن نظام الملك والنقيبان وقاضى القضاة وحضر أعيان الدولة
 من ذوى المراتب والكُفأة . وهناك نور الدولة دبىس بن على المازيدى وولده
 بهاء الدولة وأبو عبد الله محمد بن حماد الاسدي وبايعوه . وعاهدوه على الطاعة
 وشايهوه . وصلى بالناس العصر فى صحن السلام وأئتموا به وصلى على القائم
 وأغلقت الأبواب ببغداد ثلاثة أيام لعقد المأتم وجلس نخر الدولة الوزير وابنه
 عميد الدولة لثلاثة أيام ومضى عميد الدولة الى السلطان ملكشاه لأخذ
 البيعة عليه . وحمل عهده اليه . وعاد الى بغداد فى سنة ٦٨٠ هـ وأوصله الخليفة
 الى مجلسه الأشرف . وخصه باكرامه الالطف . وكان قد سير من الديوان
 القاضى أبو عبد الله محمد بن محمد البيضاوى فى صحبة مؤيد الملك الى والده
 نظام الملك ليسير منه الى غزنة ويأخذ البيعة على صاحبها فعاد مصحوباً
 بالجددة قد أترب و فرع الرتب . ولما سكن الى الثراء سكن الى الثرى . وتوفى
 فى شهر ربيع الأول من سنة ٧٠٠ هـ . وكان فاضلاً على مذهب الشافعى
 ذكياً زكياً

قال : وفى سنة ٦٨٠ هـ جد الجذب وحلّ المحل . وخط لاحتط الرحل .
 وأقوت القوة وعدم القوت حتى كفى الله النعمة . وكشف الملامة . قال : وفى
 هذه السنة تسلم نصر بن محمود صاحب حلب قلعة منبج من الروم وخلصها
 من أيديهم . وانقذها من تعديهم . وفى سنة ٦٩٠ هـ تزوج على بن ابي منصور
 فرامر بن علاء الدولة ابي جعفر بن كاكويه بارسلان خاتون بنت داود التى
 كانت زوجة القائم وكانت فارقت بغداد حين عرفت بوفاة أخيها الب ارسلان
 وخرج عنها وتوفى بعد ذلك القائم عنها فاستبدلت عن الترشى ديلمياً . وعن

فأذن له وأُملي له . في كل نجاح أمله . قال : وورد عميد لدولة أبو منصور بن الوزير نخر الدولة من الرى مشمولاً من جلال الدولة ملكشاه بالاجلال . وترك استقباله لما اتفق في حق مؤيد الملك من ترك الاستقبال . وفي آخر هذه السنة توفي زعيم الملك أبو الحسن بن عبد الرحيم في الحلة المزيديّة . وكان مرشحاً للمناصب السامية السنية

ذكر وفاة القائم بأمر الله رضى الله عنه وتولى المقتدى بأمر الله

قال : وكانت وفاته ليلة الخميس ثالث عشر شعبان سنة ٤٦٧ وقد كان زرع عمره استشهد . فما اقتصد . في ألم ألم واقتصد . ونام منفرداً فانفجر فصاده لما غلبه رقاده . وخرج منه دم كثير أقوت منه قواه وانقبه والضعف قد تضاعف . والحمام قد شارف . فطلب ثقاته واستحضر عدة الدين وأودعه وصايا يكون بها عن القائم القائم . واحضر النقيبين وقاضي القضاة والقاضي أبا الحسن بن البيضاوي والقاضي أبا محمد بن طلحة الدامغاني والوزير قائم والقائم مستند في شباك . وهو في سكون يشعر بما ليس بعده من حراك . وقال لهم « اشهدوا على ماتضمنته هذه الرقعة التي كتبت فيها سطرين بخطي » ثم قضى نحبه وتولى أمير المؤمنين المقتدى بأمر الله أبو القاسم عبد الله بن الذخيرة أبا العباس محمد بن القائم وبويع يوم وفاة جده وجلس في دار الشجرة على كرسي بقميص أبيض وعمامة بيضاء لطيفة وفوقها طراحة قصب درى

عليه في تولى وزارته ومناعبه العظام . وأعطى سرهناك ساوتكين أعمال قاورد
عمه ولقبه بلقبه عماد الدولة وولاه ولاياته . وخصه بمناجيقه وكوساته .
وأجزل لامراء العرب والأكراد نصيب الاصطفاء والاصطناع . ووفر
حظه من التشریف والاطلاق والاقطاع

ودخلت سنة ٤٦٦ وورد في صفر منها سعد الدولة كوهرايين الى بغداد
. جلس له الخليفة القائم بأمر الله في ثاني صفر . وقام عدة الدين المقتدى على
رأسه وهو ابن ثمانى عشرة سنة وسلم الخليفة الى كوهرايين عهد الخلافة بعد
ان قرأ أوله . ومتضمنه انه جعل عليه في الملك معوله . وكان اذناعاما لخاصة
والعامية في الوصول . ولم يمنع في ذلك اليوم أحد من الدخول . وورد الخبر
ب وفاة أياز أخى السلطان وكفى أمره كما كفى أمر عمه . قلبه من شغله واستراح
من همه . قال : وفي هذه السنة غرقت بغداد ولم يسلم سوى دار الخليفة .
وما في جوار سديها الشريفة . وغرق مشهد باب التبن وانهدم سورده .
وخرب معموره . فأطاق له شرف الدولة مسلم ابن قريش الفدينار وأعيدت
عمارته . وأمكننت زيارته . وورد مؤيد الملك أبو بكر عبيد الله بن نظام
الملك والماء طام . وغارب دجلة ذو سنم سام . وقد انسدت افواه الطرق
فترك استقباله للضرورة العائقة . ودخل على غير الصورة اللائقة . فانه ركب
في سفينة وانحدر الى باب المراتب ولما حاذى التاج قام اداء للواجب ولما قرّر
في منزله ظن ان الخليفة مانبا باستقباله الا وقد نبا عن تقبله . ومضى اليه
النقيان وقاضى القضاة ولم يوصلهم بل ردهم . وصدفهم وصددهم . وقال : « جرى
بى تهاون وعلى تعاون » فأئذ الخليفة اليه من أوضح له العذر . واستخلص
منه بانفاذ الخلع اليه الحمد والشكر . واستأذن الخليفة في الركوب بباب المراتب

ذكر جلوس السلطان جلال الدولة ابى الفتح ملكشاه بن

الاب ارسلان على سرير الملك

قال : ولما دفن الب ارسلان عند قبر ابيه بمرو اقام ابنه اياز بايخ وعاد ملكشاه بالعساكر . وسمع قاورد بوفاة اخيه الب ارسلان فصار المرى طالباً وفي الملك راغباً . فسبقه اليها ملكشاه وأمن ما كان يخشاه . وصار منها قاصداً للقاء قاورد ورده . وفل حده . فالتقوا بقرب همدان رابع شعبان . وكانت عسكر ملكشاه الى عمه مائلا . وبقوله قائلا . فلما تلاطم البحران . والتقى الجمعان . حمل قاورد على ميمنة ملكشاه وجعلها دكا . وأوسعها فتكا وحمل شرف الدولة مسلم ابن قريش وبهاء الدولة منصور بن دؤيس ومن معها من العرب والأكراد على ميمنة قاورد فدكوها وخرقوها . وغازا أصحاب ملكشاه ماصح من كسر عمه وقالوا ما عرتنا هذه الا كدارالا من الاعراب والاكراد . وصدونا بقصدهم عن مراد المراد . فضى المنزومون من أصحاب ملكشاه الى حبل العرب ونهبوها . وشنوا عليها الغارة وسلبوها . وجاء رجل من أهل القرى الى ملكشاه وأخبره بأن عمه فى قرية بقربه . وقد انفرد عن حزبه . فسار اليه وأخذه . وأمضى فيه حكم بأسه وأنفذه وتقدم الى كوهرائين بخنقه وهو يتضرع ويتضور . فخنقه غلام أرمنى أعور قال : وملك ملكشاه . وجاءه الجاه . وحمل أمر امرائه بخلعه . وحكم برضاهم وأرضاهم بحكمه . وخلع على نظام الملك ورد به الملك الى النظام . وعول

الخوارزمي فانه ضربه فراش أرمني بمرزبة على أم رأسه . فوفت الضربة بقطع أنفاسه . وأما الب ارسلان فانه أحضر وزيره نظام الملك فاوصى به واليه . وعول في كفاية المهمات وكف الملمات عليه . وجعل ولده ملكشاد ولي عهده . وفوض اليه الملك من بعده . وخص ابنه اياز بما كان لأبيه داود بلخ وعين له خمسمائة الف دينار وقال له اقصد نصرة أخيك وجعل القلعة بها ملكشاد وقال له ان لم يرض فضيق عليه واستعن على قتاله . بما عين له من ماله . ووصى لأخيه قاورد بك بن داود بأعمال فارس وكرمان . وأجري له بتعين شيء من المال والأحسان . وانتقل الى جوار ربه فائزاً بالشهادة . حازراً للسعادة . وكان مولده في سنة ٤٣٤ واستشهد وقد بلغ من العمر أربعين سنة وملك تسع سنين وشهوراً

قال : وحكى انه قال حين حينه . وقد عاين الموت بعينه . ما كنت قط في وجه قصده . ولا عدو أردته . الا توكلت على الله في أمري . وطالبت منه نصري وأما في هذه النوبة فاني أشرفت من تل عال . فرأيت عسكري في أجمل حال . فقلت اين من له قدر مصارعتي . وقدرة . مارضتي واني اصل بهذا العسكر الى أقصى الصين . فخرجت على منيتي من الكمين قال : وكان الب ارسلان بالبرية باراً . ولم يزل احسانه عليهم من داره داراً . وكان يطبخ كل يوم خمسون رأساً من الغنم في مطبخه للفقراء وذلك سوى الراتب المعين لاسباط برسم العسكر والأمرأ . وكان اذا أمر ببناء أو عز بأن يكون أسعى بنيان وأسقمه . وأشرف مكان وأشرفه . ويقول « آثارنا هذه تدل على علو هممتنا . ووفور نعمتنا » وخلف عدة من البنين وهم ملكشاه وتكش وأياز وتتش وأرسلان أرغون وبوري برس

ذكر وفاة الب ارسلان في سنة خمس وستين وأربعمائة

قال : في أول هذه السنة توجه السلطان الب ارسلان اقصد بلاد الترك . وقد كملت له أسباب الملك . في أكثر من مائتي الف فارس ومد على جميعون جسرأ . كما خط الكاتب على الطرس سطرأ . وكانت مدة عبور العسكر عليه شهرأ وكان قد تصدده شمس الملك تكين بن دلقاج . والافبال قد بلغ السكمال وأوضح المنهاج . وانه في سادس شهر ربيع الأول بكر وهو في الصدر الارحب والباع الاطول . والسكمال الابهي والبهاء الأكمل . وهو جالس على سرير سروره . لابس حبير جبوره . وسمطاً سماطيه المدودين من فرائد مفرديه منظومان . والبأس والنائل لاوليائه وأعدائه مقسومان . والعظماء واقفون والموقف عظيم . والكرماء قائمون والمقام كريم . والهيبة مالهكة . فخل اليه أصحابه مستحفظ قلعة يقال له يوسف الخوارزمي وهو يرسف في قيده . ولم يدرأ أنه يسرف في كيده . وحمل الى قرب سريريه وهو مع غلامين . وقد شدا بيده اليدين . فتقدم بان يضرب له أربعة أوتاد لتشد اليها أطرافه . ويعجل على تلك الهيئة اثلافه . فقال : « مثلي يقتل هذه القتلة ويلقى هذه المثلة » فحمى السلطان واحتد وأخذ قوسه وسهمه . وترك رأييه وحزمه . وأمر بحل رباطه . وان يخلى عن احتياطه . وقال للغلامين خلياك ورماد . فأخطأه وكان على تخت فوثب ونزل فوقع على وجهه في عنقه فجاءه يوسف فجاءه فوجاهه بسكين في خاصرته . وكان سعد الدولة كوهرائين واقفاً فجرحه يوسف جراحات ونهض السلطان الى خيمة أخرى مجروحاً فلما يوسف

به اذا أقبل . ولا يقبل . فلما انتهى الى باب النوبى نزل وقبل الارض وانصرف .
ولم يرض للقبول وما تصرف . وأقام ببغداد أياماً ثم رحل وحلّ بالحلة المزيديّة
مستزيداً . وصرف أخوه أبو المعالي عن الحجية فعاد بعد ان كان حاجباً قريباً
محجوباً بعيداً . وفى صفر من هذه السنة توجه عميد الدولة أبو منصور ابن
الوزير بخلع امامية الى الب ارسلان بنيسابور ووكّل فى تزويج المقتدى بنت
الب ارسلان المنعوتة بخاتون السفريّة . فسفر وجهه وجاهته بهذه السفرة الصفريّة .
فلما وصل تلقى بالعظماء واستقبل وتقدم بانزاله فى المرتبة الكبيرة . وترتيب
الانزال الكثيرة . وعقد العقد للمقتدى على بنت السلطان فى أسعد ساعة .
وأحسن عادة . وكان يوماً مشهوداً أزهر . قد نثر فيه الملوك الجواهر . ولما
عاد عميد الدولة جعل على اصفهان العبور . فلقى من ملكشاه ولد السلطان
الحب والحباء والحبور . وأفاض عليه الخلع الامامية فلبسها . وأحكم عنده قواعد
الامور فى العواقب وأسسها . وكان ملكشاه قد عاد من شيراز وهو سائر
الى والده . وورد المملكة منه ظمآن الى وارده . وعاد عميد الدولة الى بغداد
فى ثامن عشر ذى الحجة . بآدى الحجة هادى المحجة



نيتى والعقوبة التى جرتها الى جريرتي « فرق له قباب الب ارسلان وأرسله
وفك قيده ووصله وأفرج عنه معجلاً . وسرّحه معجلاً . ولما انصرف الملك
ارمانوس مأنوساً ربي ناسه اسمه . ومحو من الملك رسمه . وقالوا هذا من
عداد الملوك ساقط . وزعموا ان المسيح عليه ساخط .

ذكر احداث حدثت فى هذه السنين

قال : فى آخر سنة ٤٦٣ توفى أبو بكر أحمد بن على بن ثابت المحدث الخطيب
مؤلف تاريخ بغداد وكان علامة دهره . وعالم عصره . وفى سنة ٤٦٤ كان
السلطان رتب لبغداد شحنة يقال له آيتكين السليمانى ووردها فى شهر ربيع
الأول فلم يرض الخليفة بتوليته وذلك لأن ابنه قتل أحد الغلمان الدارية فصرفه
السلطان بسعد الدولة كوهرائين ووصل الى بغداد فى شهر ربيع الآخر .
فى جمع كالبحر الزاخر . ووقع باقباله الاحتفال . ورتب لحفله الاستقبال .
وخرج الناس على طبقاتهم لتأقيمه . وجرى القدر بترقيه . وجلس له الخليفة
فى دار ارسلان خاتون وتهذب البلد بسياسة . وتمت الحماية بحميته . وورد
فى آخر شهر ربيع الاول الوزير أبو الملاء محمد بن الحسين وعليه خلع سلطانية
وكان قد نبه السلطان الى خدمة الخليفة . لتقوية ما توهمه من الاسباب الضعيفة .
وخصه بالحلب والحباء . ولقبه بوزير الوزراء . وأقطعه النصف من اقطاع
الوزير نحر الدولة ابن جهير . فلما وصل تقدم الخليفة بأن لا يستقبل . ولا يحتفل

ومن المنجنقات التي تحملها منجنيق هو أعظمها وأثقلها . له ثمانية أسهم ويمد فيها الف ومائتا رجل ويحمله مائة عجل يرمي حجراً وزنه بالرطل الكبير الخلاطى قنطار . وكأنه جبل له في الجو مطار .

قال : وشملهم بأسرهم القتل والأسر . وبقيت أموالهم منبوذة بالمرء لا ترام . ومروضة لاتسام . وسقطت قيم الدواب والكرع . والسلاح والمتاع . حتى بيعت بسدس دينار اثنتا عشرة خوزة وبدينار ثلاث ادرع . ومن عجيب ما حكى في أسر الملك انه كان لسعد الدولة كوهرايين مملوك اهداه لنظام الملك فردده عليه . ولم ينظر اليه . فرغبه فيه كثيراً . فقال نظام الملك وما يراد منه عسى ان يأتينا بملك الروم أسيراً . وذكر ذلك استهزاء به واستصغاراً لقدره . واحتقاراً لأمره . فاتفق وقوع ممالك الروم يوم المصاف في أسر ذلك الغلام . ووافق تصديق قول النظام . وخلع السلطان عليه وقال « اقترح من العطاء ما أعطيك » فطلب بشارة غزنة

قال : ودخل السلطان الى اذربيجان بملكه وأيده . والملك في قيده . وصيده . وهو أسيف جهده وأسير جهله . ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله . فانه خرج وفي نيته فتح الدنيا وحتمف الدين . وقهر السلاطين ونصر الشياطين . ثم ذل بعد العزّ وهان . وتعرض للابتدال كل ماصان . ثم تعطف عليه السلطان وأحضره بين يديه وقال « اخبرني بصدقك في قصدك وما الذى قدّرت لو قدرت » فقال : « كنت احسب اني أحبس من أسرته منكم مع الكلاب . واجعله في السبايا والاسلاب . وان أخذتك بأسورا اتخذت لك وقد ساء جورى ساجورا » فقال السلطان « قد عثرت على سرّ شرك فما ذا بك الآن نصنع . ونحن منك بما نؤيته فينا لانقنع » فقال « انظر عاقبة فساد

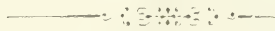
في الطوالع . وقرعت القواطع بالقواطع . وغنت الظبي ورقصت المرنان .
 ومال القنا وجالت الفرسان . ودارت الكؤوس . وطارت الرؤس . وما
 فتئت الفتيان تجور وتجول . والحرصان تصوب وتصول . الى ان دنا وقت
 الزوال . ودان لمقت الدين مقت النزال . وصدحت أعواد المنابر بالخطباء .
 وصدقت نيات أهل الجمعة للمجاهدين في اخلاص الدعاء . فنزل الب ارسلان
 عن فرسه وشد للحزم حزامه . وأحكم سرجه وولجأه . ثم ركب جواده . وثبت
 فؤاده . وقوى قلبه . وسوى قلبه . وفرق أصحابه أربع فرق كل فرقة منهم في
 كمين . وراح وله من الروح الأمين مجير أمين . ولما علم أن الكمين مكين .
 وأن الضمير شاهد بما يشهده من النصر ضمير . تلقى بوجه الحر حر الحرب
 واستحلى طعم الطعن وضرب الضرب . وحمل متملك الروم بجمعه . وأخذ
 ببصر الدهر وسمعه . وأقبل كالسيل يطالب القرار . والليل يسلب النهار .
 وثبت لهم خيل الاسلام ثم وثبت . وجالت وما وجالت . واستجرت الروم
 الى ان صار الكمين من ورائها . ووقفت المنون بازائها . ثم خرج من خلفها
 وذوو الاقدام من قدامها . ووقعت نار البيض في حلقاء هامها . فأذنت
 بانهمزاتها . وانكسرت كسرة لا تقبل جبراً . فطائفة لم تثبت للقتال ولم
 تصبر وطائفة تثبت فقتلت صبراً . فنانجت من أولئك الألوف آحاد . وما
 سلمت من أعداء الاسلام اعداد . وملك الملك ووقيد وقيداً . وأسر
 ولم يجد له معيناً ولا معيذاً . وركب المسلمون اكتافهم . وقتل الآحاد آلافهم
 وطهرت الأرض من خبثهم . وفرشت بجثثهم . وصارت الوهاد باشلاء القتلى
 أكما . والمروت من قصد القنا أجماً

قال : وكانت مع الروم ثلاثة آلاف عجل تنقل الاحمال . وتحمل الاثقال

فقتل الروم منهم من أدركه أجله ونجا الباقون . وعرف الروم أنهم للموت ملاقون .
وعاد متمسكهم الى مضاربهم وبات تلك الليلة والكوسات تصرخ . والبقوات
تنفخ . ولما أصبحوا بكرة يوم الخميس وصل السلطان الى اربل . ونزل على
النهري ومعه من المقاتلة الا تراك خمسة عشر الف فارس لا يعرفون سوى
القتل والقهر . وكلب الروم نازل بين خلاط ومناز كرد في موضع يعرف بالزهرة
وهو في مائتي الف فارس من ذوي القلوب المدلّمة والوجوه المكفّهة وتوين
العسكرين فرسخ . وبين مجرى التوحيد والتثليث برزخ . فارسل الى اربل
رسولا . وحمله سؤالا وسولا . ومقصوده ان يكشف سرهم . ويتعرف أمرهم .
ويقول للملك ان كنت ترغب في هدنة اتمناها . وان كنت ترهّد فيها توكلنا
على الله في العزيمة وصممناها . فظن انه انما راسله عن خور فاني واستكبر . ولبث
وتمسر . وأجاب باني سوف أجيب عن هذا الرأي بالرأي . وانتهى عن النهي الى
غاية النبي . فاغتاز السلطان وارتفعت بينهما المخاطبة . وانقطعت المواصلات . ولبث
يوم الخميس الخميسان يعبيان . ولداعى المنون يلبان . والشمس تشكو حرّ
ما تصاعد اليها من زفرات الاحقاد . وكأنا شعاها دم اراقته على الآفاق
وخزات تلك الصعاد . والطلائع . على المطالع . والمنايا . على الثنايا . والعزم
السلطاني الى اللقاء مشرّب . والامضاء مستتب . فقال له فقيهه وامامه
أبو نصر محمد بن عبد الملك البخاري الحنفي « انك تقايل عن دين الله الذي وعد
بإظهاره فآلهم يوم الجمعة بعد الزوال والناس يدعون لك على المنابر » فلما
أصبحوا يوم الجمعة ارتجت الارض بالضجّاج . وارتجت السماء بالعجاج .
وقد لقحت الحرب العوان بالهتدة الذكور . والمسومة الفحول .
والكلمات الحمّاة يحمون حمى الحمام ويحومون حول الدحول . ووقعت الطوالع

بالشهادة في حواصل الطيور الخضر من حواصل النسور الغبر رمسى . وان
 نصرت فما أسعدنى . وأنا أمسى . ويومى خير من أمسى »
 ثم توكل على الله وسار بهذه العزيمة الماضية القوية . والصرامة الصارمة
 الروية . وكان متملك الروم قد قدم رؤساء مقدمين من الروس في عشرين
 الف فارس ومعهم عظيمهم الأصب وصليهم الأعظم وخالطوا بلاد خلاط
 بالبلاء . والسلب والسبأ . فخرج اليهم عسكر خلاط ومقدمهم صندوق التركى
 فصب صبح البيض على ليل النقع المظلم . وخاض الى العزم مشعراً نار الحريق
 المتضرم . وقتل منهم خلقاً كثيراً وقاد قائدهم فى القيد أسيناً أسيراً . فأمر
 السلطان بنجدع أنه . وارجاء حتفه . وذلك يوم الثلاثاء رابع ذى القعدة سنة
 ٤٦٣ . وعجل الصليب السليب الى نظام الملك ليجعل انفاذه الى دار السلام .
 مبشراً بسلامة الأسلام . وثلاحق عسكر الروم ونزل على خلاط محاصراً .
 وأهلها واثقون بالله الذى لم يزل لدينه ناصراً . ونزل متملك الروم على منازل
 فى انصار نصرانيته . وعمداء مموديته . فانزعج سكانها . وتزعزعت أركانها . وعلموا
 انه ليست لهم بما نزل بهم طاقة . وان دماءهم لاشك بسيوف الكفر مہراقه
 فخرجوا بأمان وسلموا البلد فيبيتهم تلك الليلة عند بلاطه . تحت احتياطه . فلما
 بكر يوم الأربعاء سيرهم بأسرهم فى أسر وأردفهم بعسكر مجروحهم ايشيعهم
 بنفسه . وهو فى جماعة حماه وحمله . ووافق ذلك وصول أوائل العسكر السلطاني
 ووقعت العين فى العين . واجتمعت على المجادلة اجادل الجمعين . وجرى الخيل .
 وجرف السيل . وانجر من الأرض على السماء الذيل . وصحت على الروم كسرة
 اردتهم . وصدفتهم عن مقصدهم وصدتهم . فانمكسوا الى مجثمهم فى تخيمهم
 وانكشفوا بما تم من عرس الاسلام بآتمهم . وشرعت المناز كردية يتسللون

وطال الحصار . وطارت الاحجار . ووقع في فرس السلطان حجر استشاط
من وقعه . وخاف محمود لما ضاق به الامر من اتساع خرق يعجز عن رقعته .
فخرج ليلا الى السلطان ومعه والدته منيعة بنت وثاب النميري يخضعان
ويضرعان وقالت للسلطان « هذا ولدي قد جئت بك به فافعل ما تحب . وقد
اعترفنا وعرفنا ان سلامتنا الا بسلمك لا تستتب » قال : فعفا السلطان وصح
وأعاد محمودا الى مكانه محمود المسكنة . وقد ارتفع بالتواضع وتسامى بالاستمكنة .
وأمنت الشبهاء . وسكنت الدهماء .



ذكر خروج ملك الروم وكسره وقسره وأمره

قال : وبلغ السلطان خروج أرمانوس ملك الروم في جمع لا يحصى عدده .
ولا يحصر مدده . فلما سمع هذا الخبر أخذ السير الى آذربيجان اذ سمع أن
متملك الروم أخذ على سمت خلاط . وكان السلطان في خواص جنده فلم
ير أن يعود الى بلاده ليجمع عساكره . ويستدعي من الجهات للجهاد قبائل
الدين وعشائره . فسير نظام الملك وزيره وخاتون زوجته الى تبريز مع ائقاله .
وبقي في خمسة عشر الف فارس من نخب رجاله . ومع كل واحد فرس يركبه
وآخر يجنبه والروم في ثلثمائة الف ويزيدون ما بين رومي وروسي وغزي
وقفجاق وكرجي وأنجاي وخزري وفرنجي وأرميني . ورأى السلطان انه
ان تمهل لحشد الجموع ذهب الوقت وعظم بلاء البلاد . وثقلت أعباء العباد .
فركب في نخبته وتوجه في عصبته وقال « انا احتسب عند الله نفسي وان سعدت

محرم سنة ٤٦٣ من المعسكر السلطاني على باب آمد . وقد استفاد الزوائد .
وأفاد المحامد .

ذكر أحوال الب ارسلان بديار بكر والشام

قال رحمه الله : ولما توجه الب ارسلان الى ديار بكر خرج اليه نصر بن مروان وتلقاه وحمل له مائة الف دينار فقبل احسانه وأحسن قبوله . وسأل عن قضاياه وقضى سوله . وقيل أنه قيل له إن هذا المال قد قسطه على البلاد فامر برده . وعف عنه وعاف وبيل وردة . وانتهى الى آمد آمد من قصده . فوجد ثغرها ممتعاً . وسورها مرتفعاً . فسح السلطان للتبرك به يده على سورها . وأمرها على صدره . ثم توجه منها الى الشام وعبر بالرها . وتندر عليه أمرها . فخل بحلب وشرع في حصارها . وأحاط بأسوارها . وصاحبها حينئذ محمود بن صالح بن مرداس . وكان قد خطب في تلك السنة ابني العباس . وقد وجد لتشريف الخليفة خلف سروره جافلا . وأصبح في ملابس الجلال وخلع الجمال رافلا . وعنده من جانب الخليفة نقيب النقباء الكامل أبو الفوارس طراد بن محمد الزينبي فضايقه الب ارسلان وأخذ بمخنقه . ووقف على طريقه . وخرج نقيب النقباء وسأل أن ظل الاكرام عنه لا يخاص . وأن ورد الانعام عليه لا ينص . فأبى الرضى عن محمود الا بدوس بساطه حامداً راضياً . ولغفوه عافياً . ولحق طاعته وضراعه متقاضياً . فلم يخرج اليه فاحتمد القتال . واحتدم النزاع .

أحرقته نفحات أنفاس الساجدين . وعلقت فيه لفحات قلوب الواجدین .
وقبل أصابت حسنھا العیون . وأتهم بذلك الولاية المصريون . ثم تداركه الله
باللطاف والاطفاء . وأتاه بالشفاء . بعد الاشفاء . وقال حسبہ اصطلاء
واصطلاما . وحقق فيه قوله قلنا یا نار کونی برداً وسلاما .

قال : وفي سنة ٤٦٢ أقبل كلب الروم في جموعه وأخنى على من بمنج
واجتاحها . واستبي حاميتها واستباحها . وعاد الى قسطنطينية وقد ساءت آثاره
والدين قد ثار ثارہ . وفي هذه السنة زوج نظام الملك بنته لعמיד الدولة ابی
منصور محمد بن نحر الدولة الوزير بن جہیر . وصارت له . مصاهرته خير
ظہیر . وكان عمید الدولة قد توجه الى السلطان بالرى في رسالة فتلقى بكرامة
وجلالة . واستتمت له هذه المصاهرة . واستتبت المظاهرة . ووصل في
رجب وفي صحبته رسل محمد بن بی هاشم وقد كان بعثهم الى السلطان وضمن
لهم اقامة الخطبة بمكة حرسها لله تعالى له وخلع الخليفة على عمید الدولة في بيت
النوبة فرفل في ملابس الاصطناع . وجعل اليه لانهاء المطالبة ومراعاة
الاقطاع . وقرئ له توقيع من انشاء ابن الموصلایا تمكن به من افتراء عذرة
الارتفاع وتصدر في الوسادة . وتصدى للسيادة . وفي هذه السنة توفي
تاج الملوك هزارسب بن بنکیر بن عیاض منصرفاً من باب السلطان اب
ارسلان . وهو خارج من اصفهان على قصد خوزستان . وكان قد علا أمره
وعرض جاهه وتزوج بأخت السلطان . واستظهر منه بالمكانة والامكان .
وتزوج بعده مسلم بن قرايش بأخت السلطان زوجته . وتدرج الى درجته .
وفي هذه السنة ورد أمير الحرمین محمد بن أبي هاشم الحسنی الى بغداد على
قصد الوفادة الى السلطان فكتب الخليفة معه بعد ان شرفه ورفعہ . وعاد في

وقد كانت الوزارة تقررت لأبي يعلى والد الوزير أبي شجاع وهو كاتب
هزارسب بن بنكير فسكرتوب الزيارة . وخوطب بالوزارة . فورد الخبر بمرضه
يوم صرف ابن جهير . وبوفاته يوم وصوله الى القلوجة كما جرى به قلم
التقدير .

وفي سنة ٤٦١ عول الخليفة في الوزارة على أبي الحسن ابن عبد الرحيم .
فثار العوام وقالوا لاطاعة لنا من ظلمه بورود لجحيم . فهو الذي أتى بالساسيرى
وأعان أحداث اليايلى . وقالت خاتون هو الذى ذهب مالى . فصرف قبل التصريف
. ونكر قبل التعريف . ولم يزل الخليفة فيمن يستوزره يفكر حتى كاتب نور
الدولة الخليفة في معنى ابن جهير وذكر أنه خير وزير وظهر فاجاب الى
اعادته . الى عادته . ووصل في ثاني عشر صفر وجلس له في التاج . ووجد أمه
بالنجح مفتوح الرجاج . وقال له « الحمد لله جامع الشمل بعد شتائه . ووصل
الجل بعد بتائه » وفي تلك النوبة مدحه صردر أبو الفضل بقصيده التي مطلعها
قد رجع الحق الى نصابه * وأنت من دون الورى أولى به
وركب هو وولده في موكب واجتاز في جميع محال الجانب الغربي
ونثر عليه أهل الكرخ اكياس الدراهم والدنانير وخرج اليه توقيع من انشاء
ابن الموصلايا . وتسنت له المراتب السنايا .

قال : وفي النصف من شعبان هذه السنة احترق جامع دمشق ففجع
الاسلام بمصابه . وصلت النيران في محرابه . واشتمل رأس القبة شيباً بما
سبت . وأكلت أم اليايلى منها ما ربت . وطار النسربجنح الضرام .
وكاد يحترق عليه قلب بيت الله الحرام . وكأن الجحيم استجارت به فتمسكت
بذيله . أو كأن النهار ذكر تأراً عنده فعطف على ليله . فوهاً له من مسجد

البيارستان المضدى وقد استولى عليه الخراب . وناب أوقافه بالنواب الزواب
فعمره وطبقة وأحسن فى أحواله ترتيباً . وأقام فيه ثلاثة خزان وثمانية وعشرين
طبيعاً . قال : ورثاه أبو الفضل صرّ درّ بقصيدته التى أولها

لا قبلنا فى ذا المصاب عزاء * أحسن الدهر بعده أم أساء

قال : وفى هذه السنة توفى أبو الجواز الواسطى وكان شاعر زمانه .
وفارس ميدانه . وفى هذه السنة توفى أيضاً أبو جعفر الطوسى بمشهد أمير
المؤمنين على عليه السلام وكان امام الشيعة وهو الذى صنف التفسير . ويسر
من أموره العسير . وفى جمادى الأولى من هذه السنة كانت زلزلة بأرض
فلسطين أهلكت الديار وألقتها . وخربت مبانيها ونسفتها . وفيه توفى صاحب
ديوان الزمام أبو نصر محمد بن أحمد المعروف بابن جميلة ورثاه أبو الفضل
بقصيدة منها

إن يكن للحياء ماء فما كان له غير ذلك الوجه مزنا

لطف نفسى على حسام صقيل * كيف صارت له الجنادل جفنا

ونفيس من الذخائر لم يــــــؤمن عليه فاستودع الأرض خزنا

قال : فرتب فى ديوان الزمام أبو القاسم بن نخر الدولة بن جبير . ولقب
عميد الرؤساء . واجتأب خلعة الاجتباء . ومدحه أبو الفضل بقصيدته التى أولها

صبحها الدمع ومسأها الأرق * كم بين هذين بقاء للحدق

وفى ثانى عشر رجب ورد الى بغداد أبو العباس الخوافى عميدا . وقدم
بخوافى جاهه وقواده حميدا . قال : وعزل الوزير نخر الدولة بن جبير ليلة
المهرجان فى ذى القعدة بالتوقيع الامامى بمحضر من قاضى القضاة أبي عبد
الله الدامغانى فسار الى نور الدولة دبيس وهو بالفوجة فأواد . وأكرم مشواه

ألم تر هذا العلم كان مشتتاً * جُمعَ هذا المغيّب في الّاحد
 كذلك كانت هذه الارض مّيتة * فأُنشَرها فضل العميد ابى سعد
 قال : ووصلت ارسلان خاتون زوجة الخليفة الى بغداد في مستهل
 جمادى الاولى سنة ٤٥٩ واستقبلها الوزير نخر الدولة على فراسخ . وجلا
 بفر نخره السافر وطود وقاره الراسخ . ووقفت موكبها له عند القرب من
 الالتقاء . وخدمها على ظهر فرسه بالدعاء . وأقبلت وقبّلت . ودخلت وخات
 وعادت الى عادة السعادة . ووافّت للزيادة . للأيفاء على الزيادة .



— ذكر حوادث طواريء وطوارق واتفاقات وموافقات —



قال : في شهر رمضان سنة ٤٥٨ توفى محمد بن الحسين بن القراء شيخ
 الحنابلة . وناهج طريقهم السالبة . وفي هذه السنة استتم بناء المدرسة النظامية
 ببغداد وانتظمت أحوالها . وسكنها من حملة الشريعة رجالها . ودرس فيها
 الشيخ أبو اسحاق الشيرازي رحمه الله فأحيى من العلم مدارس . وكشف من
 الحق ما التبس . وشرح الأصول وفرعها . وأوضح الأدلة ونوعها . وفي
 سنة ٤٦٠ توفى الشيخ عبد الملك أبو منصور بن يوسف وكان من أمثال
 بغداد وأعيانها . والمرجوع اليه في نوائب الليالي وحدثائها . وكان قد أجمع
 الناس على صلاحه واستجدادة رأيه واسترجاحه . ومن جملة خيراته انه تسلم

﴿ ذكر وصول شرف الملك أبي سعد محمد بن منصور بن محمد ﴾

﴿ مستوفى المملكة الى بغداد ﴾

•••••

قال : وكان وصوله الى بغداد في صفر سنة ٤٥٩ وقد كان جليل النسب .
جلى الحسب . وما تولى للسلاجقية مثله كرماً وخيراً وفضلاً كثيراً وغنى وغناء .
رسنا وسنا . قال عماد الدين رحمه الله : وكان جدى لامي أمين الدين على المستوفى
رحمه الله كاتباً له في ريعان عمره . وعنفوا أمره . الى ان صار بعد كاتباً لخزانة
السلطان محمد بن ملكشاه وكان يحدثني في صغرى وهو شيخ كبير عن شرف
الملك بكل ما يدل على سيادة نفسه ونفاسة سودده . وذكر أنه كان مع
فضله ذا تفضل . ومع اجماله ذا تجمل . وحكى أنه كانت له ثمانية وستون
كسوة مكملة . منفصلة معزلة على عدد أيام السنة من الملابس الفاخرة فيلبس
كل يوم ما يناسبه من أيام الفصول الاربعة . فاذا خلع منها أو وهب . أعاد
خازنه الى الخزانة عوض ما ذهب . فلما وصل الى بغداد حضر بيت الزوبة
في ثاني عشر صفر فبشر بإقباله سفيرا وجه القبول . وسفر وخدم الخليفة
بمصحف جليل وقطعة بلخش في مندبل . وأوصل كتاب السلطان في خريطة
سوداء . وسرّ الاوداء . وساء الاعداء . قال : ووجد نواب نظام الملك
الوزير قد شرعوا في بناء المدرسة فاعثم اقداره على الاقتداء وبني على ضريح
ابى حنيفة رحمه الله باب الطاق مشهداً ومدرسة لأصحابه . وأعلم بمعلمها
ثوب ثوابه . قال : وكتب الشريف أبو جعفر البياضي على القبة

— ذكر ماجرى لألب ارسلان بعد ملكه —

قال رحمه الله: كان قاورد بن داود أخوه قد استولى على كرمان في زمان عمه طغرلبك في سنة ٤٤٧، وملك شيراز في سنة ٥٥٥، وقتل كل ديلمى بها وسفك وهاك . وبطش وأوحش . وخالف أخاه ألب ارسلان . واعتصم منه بمدينة بردشير بكرمان . فسار إليه ألب ارسلان وأمنه وأخذ قلعة اصطخر وأتاه مستحفظها بتحف فيروزج وكأس زمرد لم ير مثلاً . وشمل بلاد فارس احسان الدولة وعدلها .

قال : ووصل إليه شرف الدولة أبو المكارم مسلم بن قريش في سنة ٥٧٠، فأكرم وفادته . وأكثر افادته . وأجرى في اقطاعه هيت ولأخبار وحرني والسن والبوازيج ووصل شرف الدولة هذا الى بغداد في شهر ربيع الآخر سنة ٥٧٠، فتلقاء الوزير . نخر الدولة ابن جبير . وألنى من اقباله عليه خير ظهير . قال : وأوغل السلطان في بلاد الخزر من طريق نخجوان . وكثر لاعانة الايمان ونصره الانصار والأعوان . والجالأ ملك الابنخاز بقراط ابن كيوركى الى طلب هديته . وعرض ابنته . فتزوج بها وهادنه . وقبل بذله وامنه . ثم طلق الملكة الكرجية وزوجها لنظام الملك وزيره وسار وفتح بلد آنى وعنت له البلاد . واذعنت العباد . وسرّي البأس وسرّ الناس .

مع عصبه . ثم فارق التعصب وجمع بين العصابتين . وحسن رأى اجتهاده
 فى الاصابتين . وكان سبب معرفته بظفر لبك انه لما ورد نيسابور افتقر الى
 كاتب يجمع فى العربية والفارسية بين الفصاحتين فدلّه عليه الموفق والدأبى
 سهل فظفر منه بشاب فى رأى كهل

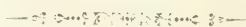
ذكر نظام الملك

قال : ولما صرف عميد الملك وعزل . ونقل الى حيث اعتقل . استوى
 أمر نظام الملك وبزغت بالسناء شمسّه . وبلغت المنى نفسه . وعلا علمه .
 وجرى قلمه . وترفعت وسادته . وتفرعت سيادته . ومضت مضاربته .
 ومضت سحائبه .

على عادته معه في التدبير . فغار نظام الملك من استقلاله . وحتال مدة في قبضه واعتقاله . فلما كان في محرم سنة ٣٥٩ زار عميد الملك نظام الملك زيارة ايناس واعتذار . وترك بين يديه منديلا فيه خمسمائة دينار . فلما نصرف من حضرته . سارا أكثر العسكر في خدمته . فتخوف السلطان من عاقبة ذلك ومغيبته . فأمر بقبضه وأنفذ إلى مرو الروز ومكث سنة في الاعتقال بها ثم سير اليه غلامين فدخلا عليه وهو محبوس . وأخبراه بأن قتله أمر محتم . وأنظراه حتى اغتسل وتوضأ وتاب ودخل لودع أهله وخرج إلى مسجد ف صلى ركعتين . واستسلم للقضاء المقدّر بالخير . ووجد الغلظة من الغلامين . وضرباه بالسيف وأخذوا رأسه وحملوه إلى السلطان بكرمان وأما جثته فأنهت في خرقة كانت لنافذة البردة النبوية كان استهداها من خليفة . وفي قيص دبيق من ملابس القائم الشريفة . وقبر في قبر أبيه بكندر . وكانت مدة وزارته ثمانى سنين وشهورا . ولم يزل موسم جاهه فيها مشهودا مشهورا . وكان عمره نيفا وأربعين سنة . وكانت محاسنه مفضلة وفضائله محسنة . لكنه لکنه تهوره وتهوينه . وغاية غيّه في سوء التدبير وتهوينه . قصرت يد الطولى عن ستمالة القلوب الجافية . واستلانة الخطوب الآية . قال : وكان يرجع إلى حسب ونبل . وأدب وفضل . وهو الذى يقول

الموت مرّ ولكنى اذا ظمئت * نفسى إلى المجد مستحل لمشربه
رئاسة باض فى رأسى وساوسها * تدور فيه وأخشى أن تدور به
قال : وكان خصيّا وسبب ذلك أن طغرباك انفذه فى ابتداء حاله . وريمان اقباله . ليخطب امرأة فزوّجها لنفسه وعصاه . ولما ظفر به اقره على خدمته بعد أن خصاه . وكان حنفى المذهب كثير التعصب لمذهبه والذهاب

فيها فقال السنة التي خرج فيها الخان الفلاني بما وراء النهر فلما توفي حسبت
المدة فكانت سبعين سنه كاملة . قال : ولما وصل خبر وفاته الى بغداد جلس
الوزير نخر الدولة ابن جهير للعزاء به في صحن السلام في السادس والعشرين
من شهر رمضان



ذكر جلوس السلطان عضد الدولة الب ارسلان

أبي شجاع محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجق

قال : توفي أبوه داود ببلخ سنة ٤٥٠ وقام مقامه ولما خطب لاختيه
سليمان بالري بعد وفاة طغرل بك مضى ارسمن وأردم الي قزوين وخطب
لاب ارسلان وبلغ عميد الملك ذاك فاقام الخطبة بالري لاب ارسلان وبعده
لسليمان . وأقبل عضد الدولة الب ارسلان من نيسابور . يطوى السهول
والوعور . وأقبل اقبال الضيغم الضاري . وأقدم اقدم للخضم الجاري . وكان
ابن عم أبيه قتلش بن اسراييل في كردكوه وقد طمع في الملك . ولم يعلم
أن ذاك يورطه في الهلاك . فعارضه في جموعه فتقابلا وتقاتلا وأنجحت المعركة
عن قتل قتلش وكانت منيته في عثور الفرس به . وقتل الب ارسلان
من التركمان عدة وافرة . وحاز من أموالهم غنيمة ظاهرة . وساق
حتى وصل الى خوار الري ظافر الجند . ظاهر الجند . ومعه وزيره نظام
الملك أبو علي الحسن بن علي بن اسحاق الطوسي فتلقاه عميد الملك في حشمة
وخدمه . وكوسه وعلمه . وعربه وعجمه . وأجلسه على السرير . وجرى

ذكر سيرة طغرابك رحمه الله

قال : كان كريماً حليماً محافظاً على الطاعة . وصلاة الجماعة . وصوم الاثنين والخميس وكان يلبس الواذاريّ والبياض . وأشبهت أيامه بمحاسن سيرة الرياض . وكان لا يرى القتل ولا يسفك دمأ . ولا يهتك محرماً . وكان شديد الاحتمال . شديد الافعال . حكى عنه أقضى القضاة الماورديّ أنه توجه في رسالة القائم اليه في سنة ٤٣٣ فكتب فيه كتاباً ضمنته الطمن عليه والقدح فيه . وغمط محاسنه وبسط مساويه . ووقع الكتاب من غلامى خل اليه فوقف عليه ثم ختمه وكتبه ولم يتغير عن عادة اكرامى . وشيعة احترامى . قال : وكذلك ذكر أن بعض خواصه كتب ملطفات الى الملك ابى كاليجار . يطلعه فيها على بعض الاسرار . فوقع في يده فاختفاها . وداوى هفوته بحلمه وشفاها . وكان كثير الصدقات حريصاً على بناء المساجد متعبداً متهجداً . ويقول استحي من الله أن أبني داراً ولا أبني بجنبها مسجداً

قال : وحكى عميد الملك أنه لما مرض قال انما مثلى فى مرضى مثل شاة تشد قوائمها لجز الصوف فتظن انها تذبح فتضطرب حتى اذا أطلقت تفرح ثم تشد قوائمها للذبح فتظن انها لجز الصوف وتسكن فتذبح وهذا المرض شد التوائم للذبح وكان كما قال . قال : وتوفى وعمره سبعون . قال : وحكى عميد الملك أن طغرابك قال له رأيت منامى فى مبتدا أمرى بخراسان كأنى رفعت الى السماء وقيل لى سل حاجتك تقض فقلت ما شئ أحب الى من طول العمر فتبيل عمرك سبعون . قال : قال عميد الملك وكنت سألته عن السنة التى ولد

للسلطان في الأوبة . وان يستصحب السيدة والخاتون . وذكر أنهم بعد
مضيهم عن قريب آتون . فأذن في ذلك الخليفة وكانت ارسلان خاتون قد
حملت من اطراح الخليفة لها غماً . وأما السيدة فقد كره الخليفة مسيرها فلما
مضت أمضت بألم فراقها . وومضت لامل رفاقها . ولما انفصل السلطان عن
بغداد اذن لهذارسب في المضي الى الاهواز . مرعياً بالاعزاز . فأنه مكث
على بابه ثلث سنين لا يؤذن له في الانفصال . ولا يؤذن اربه المفارق
بالوصال . وتعد ضمان بغداد على ابي سعد القايني ثمانية وخمسين الف
دينار فاعاد كل ما أبطله رئيس العراقيين من ضر الضرائب . وشر النوائب .
وقد كان هذا يتولى مطبخ عميد الملك وهو استاذ داره . جري المقدور
برفع مقداره .

ذكر وفاة السلطان طغرل بك بالرى

قال : وفي يوم الجمعة ثامن شهر رمضان سنة ٤٥٥ توفى طغرل بك بالرى
فاضطرب به ملكه الملك وبلغ عميد الملك نفيه وهو على سبعين فرسخاً من
الرى فقطعها في يومين اشفاقاً من تشویش یم . وتشویر نیم . فوصل وهو
بجأله لم يدفن ولم يقبر فتولى دفنه وتوخی سکون الخاق وأمنه ومنع الغلمان
من شق الثياب . وأخرج جميع ما كان يملكه على المسكر حتى الدواب .
وأجلس سليمان بن داود ابن أخى السلطان وكانت أمه عنده ونصّ عمه عليه .
وقرر الامر له وفوضه اليه . فسكنت الممالك . وأمنت المسالك .

ذكر وصول السلطان طغرل بك الى بغداد

قل رحمه الله : في محرم سنة ٤٥٥ توجه السلطان الى بغداد من أرمية
ببزم الدخول على الزوجة وخرج خنر الدولة بن جهسير وولقاء بالقفص في
الموكب الاعظم والاهبة الباهرة . والاهبة الزاهرة . ونزل عسكره بالجانب
الغربي فزادت به الازية . وارتاعت الرعية . ووصل عميد الملك الى السدة الشريفة
مطالبا بالشريفة السيدة فووقت الاجابة في نقل الجهة الى دار المملكة . ونزلت
منها في الهجرة الشرقية باليمن والبركة . وزفت في ليلة النصف من صفر وجلست
على سرير ملبس بالذهب . يخطف النواظر منه أشعة لذهب . ودخل اليها
وقبل الارض وخدمها وجلس بازائها على سرير ملبس بالقضة وقد كان انفذ
لها مع بنت اخيه زوجة الخليفة عقدين نفيسين ثمينين . وجاما خسر وانيا من
ابريز العين . وفرجية من نسيج الذهب مكحلة بالحب . وصارت نفسه لها
موكلة بالحب . وظهر منه بها سرور . وسرد منها لشرفه ظهور . وبقى مدة
اسبوع يهب ويخلع . ويمتحن ولا يمتنع . وخلع على عبيد الملك وعلى الامراء .
وأفاض التشريعات على الاكابر والعطاء . فقد كان ورد معه الى بغداد
أبو علي ابن الملك أبي كاليجار وهزارسب وفرامرزن كاكويه وسرحاب
ابن بدر بن مهليل فما منهم الا من أفيضت عليه الخلع الرائقة . وأضيفت له
العطايا اللائقة .

قال : وحضر عميد الملك في تاسع شهر ربيع الاول بيت النوبة . واستأذن

محمد بن جبير للخليفة وسبب ذلك انه كان مقياً بميفارقين عند ابن مروان في جاه وعز أمره ناه فسمت همته وعلت سعادته . وكتب الى الخليفة يرغب في زيارته لوزارته وانه يبذل بذلاً ويحمل حمولاً فندب اليه من دار الخلافة نقيب النقباء الكامل أبو الفوارس طراد بن محمد الزينبي وقرر ما أراد تقريره . ودبر ما شاء تدبيره . فخرج من ميفارقين عند انفصال نقيب النقباء ليودعته وسار معه . وفات ابن مروان ولم يلحقه لما تبعه . وخرج الناس عند وصوله الى بغداد لاستقباله ونزل بالحريم الطاهري ومكث ثمانية أيام حتى جاوز الكسوف . ونشق نشر العز المشوف . وتين بيوم عرفة فحضر بيت النوبة وقد أسعدته السعادة . واجتمع هناك من طبقات الناس من جرت به العادة . واحتفل له الخليفة بالجلوس وطلع نور اليمين من أفقه . وقرأ أمين الدولة أبو سعد ابن الموصلايا توقيعاً خرج في حقه



الخليفة في منتصف شهر ربيع الآخر وأُفيضت خلع الوزارة عليه . وأُفيضت مع الوزارة الامور اليه . وبقي في المنصب منتصباً الى رابع ذى الحجة سنة ٥٤٤ هـ فانه صرف من تلك المراتب بل ترك الخدمة مستعفياً . ولرقة جاهه مستجفياً . قال : وكانت وفاته بالاهاواز حادى عشر شعبان سنة ٤٦٧ هـ

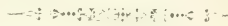
— ذكر حوادث في هذه السنين —

قال : في سنة ٥٠ هـ توفي القاضي أبو الطيب طاهر بن عبد الله بن طاهر الطبري ببغداد عن مائة سنة وستين وكان صحيح السمع والبصر سليم الاعضاء يناظر ويفتي ويستدرك على الفقهاء وحضر عميد الملك السكندري جنازته ودفن بالجانب الغربى عند قبر الامام أحمد ابن حنبل

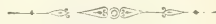
قال : وفي آخر هذه السنة توفي أفضى القضاة أبو الحسن علي بن محمد ابن حبيب الماوردي وقد كان في العلم بحراً زاجراً . وفي الشرع بدراً زاهراً . قال « بسطت الفقه في أربعة آلاف ورقة (يبنى الحاوي) واختصرته في أربعين » (يعنى الاقناع) فيالهما من بحرين نضبا . وبدرين غربا . وطودين وقما . وجودين . أقلاما .

قال : وفي سنة ٥٣ هـ توفي قریش بن بدران وتولى ولده مسلم اماره بني عقيل وتوفي في شوالها نصر الدولة أبو نصر بن مروان بميفارقين عن نيف وثمانين سنة وفي يوم عرفة من سنة ٥٤ هـ وزر نخر الدولة أبو نصر محمد ابن

رئيس العراقيين من بغداد ثلقاه الناس واستبشروا بانتظام الالفة بين الامامة والسلطنة فلما وصل الى باب النوبى نزل وقبل الارض . ثم وصل الى باب ارسلان خاتون زوجة الخليفة وأدى من خدمتها الفرض . وأوصل اليها ما حملته فتولت تسليمه . وبأشرت عرضه بالمقام النبوى وتقديمه



ذكر سبب تولى ابن دارست وزارة الخليفة الى حين انصرافه



قال : كانت وزارته فى سنة ٤٥٣ ، وسبب ذاك ان الخليفة لما عاد الى الدار عدم الوزير . وفقد من يتولى التدبير . فحدث رأيه بأنه يستخدم رجلا خدمه بالخدمة وهو ابوتراب الاثيرى وقد وجده أثير الاثر فلقبه حاجب الحجاب عن الامامة . واستخدمه فى الانهاء وحضور المواكب وتنفيذ الاوامر المهمة قال : وكانت بين ابن يوسف وبين الاثيرى وحشة حملت ابن يوسف على أن ذكر ابن دارست وقرضه وقال انه مع أمانته يخدم بغير اقطاع ويؤدى مالا فضت الكتب اليه وهو فى شيراز باستدعائه . فقدم الجواب باستعفائه فخرج اليه ابن رضوان ومعه ظفر الخادم لاستخدامه . وقوى عزمه أبو القاسم صهر ابن يوسف فورد بقوة اعتزاه . وكتب عميد الملك عن السلطان الى الخليفة بأنه كاره لاستخدامه . واستخدمه لاملأقه مع ثروة المال من الكفاية وإعدامه . فأجاب الخليفة انه مع وصوله الى واسط ومفارقة وطنه لا يجوز رده . ولا يخلف وعده . وقدم بغداد ثامن ربيع الاول سنة ٤٥٣ ووصل الى

وتسرب . وكتب السلطان الى قاضى القضاة والشيخ أبى منصور بن يوسف بالعتب الممض . والخطب المقتض . وقال هذا جزائى من الامام القائم وقد قتلت اخى فى طاعته . ووهبت عمرى لساعته . وانقمت اموالى فى خدمته . وطلبت فقرى لثروته . فما باله ما بالى بردّ قولي . وقال بردى . وصدّ قصدى . وقصد صدى . وكتب الى عميد الملك بان يقبض الاقطاعات ولا يترك الخليفة الا ما كان باسم الامام القادر قديماً . وان يكون لمعارضة أسبابه مستديماً . فحضر العميد رئيس العراقيين بيت النوبة وعرض الكتب . واعاد العتب . فخرج جواب الخليفة ما رجونا من ركن الدين ماصنع . وما توقعنا ما وقع . وبين يديك الاقطاعات فاقطعها . وقد ارتفعت الموانع فامنعها

قال : وخرجت السنة والوحشة القاتمة قائمة . وعين التأنيس عن ازالة أسبابها نائمة . فلما دخلت سنة ٥٤٤ هـ أجاب الخليفة فى المحرم منها الى الوصلة وكتب وكالة باسم عميد الملك شهيد فيها قاضى القضاة وابن يوسف بما سمعاه من تلفظه بالاجابة . وضبطت الشهادات بالكتابة . وسير أبو الغنائم بن الحلبان فى الرسالة . واستصحب كتاب الوكالة . فسر السلطان واحتفل . ووفى له القدر بما كفل . وعقد العقد فى ظاهر تبريز بالخيم وكان رئيس العراقيين بالمسكر فأعيد الى بغداد فى صحبة ابن الحلبان وسيرت على يده الهدايا وأصبحه برسم الخليفة ثلثين غلاما وجارية أتراكا على ثلثين فرساً وخادمين وفرساً بمركب ذهب وسرج مرصع بالجواهر الثمينة وعشرة آلاف دينار وبرسم السيدة عشرة آلاف دينار وتوقيعاً بمعقوبا وما كان لخاتون المتوفاة بالعراق وعقداً فيه ثلثون حبة كل لؤلؤة مثقال وبرسم عدة الدين خمسة آلاف دينار . وبرسم السيدة والدة المخطوبة ثلاثة آلاف دينار وذلك فى شوال من السنة فلما قرب

حضوره وحضور الامراء الذين معه . وادى من الرسالة ماؤدعه . فنفر الخليفة وغضب . وغاض ماء بشره ونضب . وقصد الامتناع ومنع المقصود . وسد الباب ولم يفتح الباب المسدود . فشرع عميد الملك يتكلم بكل فن . ويقعقع بكل شن . ويقول ما بالكم افترحتم . ثم امتنعتم . وفيم ذهبتم الى أبعد غاية في الطلب ثم رجعتم . وقد خاطرتم عند السلطان بدمي . وازلتم بما قدمتم من التقدم قدمي . فأخرج الى النهروان مضاربه وخلع الاهبة السوداء ولبس البياض فاستوقفه ابن يوسف وقاضى القضاة . ليستزلوه من المضارة الى المراضاة . وما زالوا يتلفقان به حتى حضر بعد ذلك عند الخليفة دفعتين ومعه جماعة من الامراء والحجاب والقضاة والشهود . وبالع في الخطاب وبذل المجهود . وذلك في جمادى الآخرة سنة ٥٣٤

وقال الخليفة « نحن بنو العباس . خير الناس . فينا الامامة والزعامة . الى يوم القيامة . من تمسك بنا رشد وهدى . ومن ناوانا ضل وغوى » وكان الخليفة قد كتب الى عميد الملك نحن نرد الامر الى رأيك ونعول فيه على امانتك ودينك فتال عميد الملك أسأل مولانا امير المؤمنين التظول بذكر ما شرف به الخادم الناصح شاهنشاه ركن الدين فيما رغب فيه وسمعت نفسه اليه وأراد أن يقول الخليفة ما يلزمه من الاجابة ففطن لذلك وغالاه وقال قد سطر في الجواب ما فيه كفاية فانصرف عائباً . وذهب مغاضباً . وراح راجلاً ورد المال الى همذان . وأخبر بالحال السلطان . وكان الخليفة قد كتب الى خمارتكيين الطغرائي يشككو من عميد الملك والحاحه فكاتب في جوابه يشير بالرفق والتلطف . وينص على التثبيت والتوقف . فنسب عميد الملك قطع الحديث في الوصلة الى مخامرة خمارتكيين فتغير السلطان عليه فرهب وهرب . وتسرع

قال : ولما رحل السلطان استصحب معه ارسلان خاتون ابنة أخيه زوجة الخليفة فلما استقر بالرى . عزم على نشر ما كان من رغبته فى الطى . وسير قاضى الرى ابا ساعد صاعداً الى دار الخلافة رسولا . وضمن رسالته فى خطبة السيدة ابنة القائم سؤالاً وسؤالا . وذلك فى سنة ٤٥٣ هـ فندب الخليفة للجواب ابا محمد ابن التيمى للاستعفاء . وانه لم تجر بهذا سنة الخلفاء ثم قيل له ان عدمت فى الاستعفاء الوسائط فاطلب صدق ثمانية الف دينار واعمال واسط فلما وصل ابن التيمى أعلم عميد الملك بالخال فقال اما الاستعفاء فلا يحسن مع رغبة السلطان وضراوته فى السؤال . واما طلب المال والاعمال . فيمتبح لانه يفعل اكثر ما يدور فى خواطر الآمال . والصمت اولى من هذا المثال . خفى أخل سرك من هذا السر . ودعى اتول هذا الامر . فقال ابن التيمى الامر اليك . والاعتماد عليك . والصواب ما تدبره والتدبير ما تستصيه . وانت اعرف بما تخاطب به صاحبك وبما تجييه . فقال عميد الملك للسلطان ان القضية قد تسهلت . وان العقدة قد تحللت . وان المنية قد امكنت . وان البغية قد تمكنت .

فأشاع السلطان خطبته . واذاع رغبته . وتقدم الى عميد الملك بالسير مع ارسلان خاتون بنت أخيه زوجة الخليفة الى دار الخلافة واستصحب ما جاوز حد الكثرة من الدنانير المبدرة والجواهر المثمنة وسير معها عدة من الاكابر وذوى العلى ومن عظماء الديلم فرامرؤ بن كاكويه وسرخاب بن كامرؤا وكان قد وزر للخليفة فى تلك السنة مجد الوزراء ابو الفتح منصور بن احمد بن دارست فخرج لتلقى الواصلين الى قرب النهروان والتقى هو وعميد الملك وهما راكبان ودخل عميد الملك بغداد وجلس على باب النبى فلما وصلت خاتون سار فى خدمتها الى دارها ثم حضر بيت النوبة وأخذ دواة الوزير بن دارست وأنهى

وذلك يوم الاحد الرابع والعشرين من ذى القعدة واستقر أن يدخل الى الدار غداً . ويعيد بعوده عيش الاسلام رغداً . فلما أصبح السلطان تقدم الى باب النبوي وجلس مكان الحاجب فلما قرب الخليفة قام وأخذ بلجام بقلته . ومشى في خدمته الى باب حجرته . وذلك يوم الاثنين الخامس والعشرين من ذى القعدة سنة ٥١٤ فعمدت الانوار الى الطلوع . والانوار الى الهموع . وحل الشرف في موطنه . وفاض الكرم من معدنه .

قال : وهرب البساسيري الى حلة ديس بن علي بن مزيد وقد وات سعادته فهو مطلق في زى مقيد . فسير السلطان وراءه عسكرياً مقدموه سرهناك ساوتكين وأنوشروان وخمارتكين الطغرائي وأردم وأنفذ معهم ابن منيع الختاجي فواقعوا البساسيري وأوقعوه ووقع في فرسه سهم رميت به فرمته . وحام حوله حماه فما حتمه . وصادفت وجهه ضربة أدمته . وكش كشتكين العميدى فأسرهم ثم احتز رأسه وحمل الى بغداد وعلق قبالة باب النبوي وزالت بزواله نوبة النبوة الحائلة بالحمل النبوي واستقام الامر . وأرج النسر . وتولت الغماء . وتوالت النعماء . وكان طغرابك بواسط فقدم بغداد في صفر سنة ٥٢٤ فعمل له الخليفة في روشن التاج سباطا . وأحضر عليه من أكابر دولته رؤساء وأوساطاً . ثم عمل للسلطان في ثاني ربيع الاول سباطاً آخر . فاضل به من قبله من الملوك وفاخر . وتوجه في خامس الشهر الى الجبل ودخل عميد الملك الى الخليفة فأقامه في موضع الاصطفاء . ولقبه سيد الوزراء قال : وفي سنة ٥١٤ احترقت ببغداد دار الكتب التي وقفها الوزير شاپور ابن أردشير بين السورين وأخذ عميد الملك ما سلم من النار وكان أحد الحريقين وتوفيت في ذى القعدة سنة ٥٢٤ خاتون زوجة السلطان بزنجان

هم سوى رد الخليفة الى داره . واظهار قرد من سرارد . ورحل نحو بغداد
 فأحس البساسيري بريحه . وأيقن بتيارد ووقع في تباريحه . ولما قربت العساكر
 السلجقية من بغداد بعد وقامت قيامته وما قعد وكان الخليفة بحديثة عانة
 فطلبه قریش بن بدران من ابن عمه . مهارش بن مجلى خماد . وما أباح حماه .
 قال : وخرج مهارش بالخليفة الى تلغفر فقصد بدر بن مهلهل ومعه الفقيه
 ابن فورك وقد تين به وتبرك . وهناك فاز من وحد وهلك من أشرك .
 ولما وصل السلطان الى بغداد سير الى الخليفة عطاء مملكته وصدر وزارته
 عميد الملك وأنوشروان بن خاتون ومعهم المهدي والسرادي . والحيل السوابق .
 ولما مثلوا بالحضرة الشريفة . وشاهدوا أحوال الخليفة . أراد عميد الملك أن
 يكتب الى السلطان كتاباً بشرح الحال . وبوصف ما اجتلاء من المهابة
 والجلال . ولم يكن بين يدي الخليفة دواة . ولا داة للكتابة مسواة . فأحضر
 من خيمته دواة عليها من الذهب الف وسبعمائة مثقال وأضاف اليها سيفاً
 ذا فرند وصقال وقال هذه خدمة محمد بن منصور أصغر الخدم . وقد جمع في
 هذه الدولة بين خدمة السيف والقلم . وأحسن الخليفة قبوله وخطابه .
 وتوَجَّ بخطه الشريف كتابه . ولما وصل الخليفة الى النهروان . وصل اليه
 السلطان . وتباشرت بقدمه الاوطار والايوان . واستأذنه عميد الملك في
 حضور السلطان فأذن ودخل وقبل الارض سبع مرات وأتى من أدب
 الخدمة الممكن وقدَّم له الخليفة مخدة من دسسته وقال اجلس فقبلها وجلس .
 وأنسه فأنس . وجعل عميد الملك يفسر لهما ويترجم . ويعرب ويعجم .
 والسلطان يعتذر عن تأخره وتراخيه . بما شغله من تراخيه . فهدى عنده
 . وهمد ذعرده . وقدَّد الخليفة سيفاً تبرك به وكان قد خرج معه من الدار

الخليفة . فتارة بوصول البساسيري وتارة بالهزام السلطان من أخيه
قال : وشرع عميد الملك الكندري في أخذ العهد بالمملكة لانوشروان
ابن خاتون . وأنفق من ماله الظاهر والمخزون . فما وقتاً . ولا استوثقاً .
وأرادت خاتون القبض عليهما فهربا فاما عميد الملك فانه انحدر الى الأهواز .
وأمن عند هزار سب بن بشكير بن عياض من الاعواز . وسارت خاتون
تطلب السلطان . ولحق بها ولدها أنوشروان . وذلك في سنة ٥١٠ هـ وفي هذه
الفترة تمت فتنة البساسيري ودخل الى بغداد سادس ذى القعدة سنة ٥٠٠ هـ
وخرج سادس عشر ذى القعدة سنة ٥١٠ هـ وكانت سنة سيئة كادت تكون
لنور الله مظنة فانه دعى الى الدعى بمصر مصرأ ولم يجد الخليفة بمقره من
دار الامامة مقراً . وحصل من تلك الحادثة بالحديثة . وتوالت منه الى
طغربك امداد كتبه ورساله المستصرخة المستغيثة . وهو مشغول بحرب
أخيه . . . مغموم بما هو فيه . مغلوب الجند . مسلوب الجد

قال : وصلب البساسيري رئيس الرؤساء وأبا محمد بن المأمون رسول
الخليفة في استدعاء السلطان طغربك وقتل أصحاب قريش بن بدران عبد
الرزاق أبا نصر احمد بن على واختل نظام الاسلام . واعتلت دار السلام .
وطالت غربة الامام . وهالت كربة الانام . الى أن استنجد السلطان أولاد
أخيه الب ارسلان وياقوتى وقاورد بنى داود وهو بالرئ نأنجدوه وأسعنوه
وسعدوه فخرج بهم الى ابراهيم بن ينال بهفتان بولان فكسره ثم وجده
وقد وقف به فرسه فأسره وخنقه بوترلوتره وحنقه واستراح من حث ذميلة
اليه وعنته وعاد سعدوه وسعد عيده . وكثفت عدته وكثر عيده . وسار اليه عميد
الملك وجنوده هزار سب جبار مثله . وأنزل عليه انفضله . ولم يبق طغربك بعدها

سبع خلع سود في زيق واحد اتخذت له بها مملكة الاقاليم السبعة وشرف
 بعمامة مسكية مذهبة جُمع له بين تاجي لعرب والمعجم . وسما بهما وتسعى
 بالمتوج والمعجم . وقلد سيفاً محلي بالذهب . نخرج في أحلى الحلى وأهيب
 الالهة . وعاد وجلس على الكرسى . ورأى تقبيل الأرض ولم يتمكن
 لموضع التاج الحسرى . وسأل مصاحفة الخليفة فاعطاه يده دفعتين . فقبلها
 ووضعها على العين . وقلده سيفاً آخر كان بين يديه فتم له بتقليد السيفين .
 تقلد ولاية الدولتين فخاضه بملك المشرق والمغرب واحضر عهده وقال هذا
 عهدنا يقرأ عليك محمد بن منصور بن محمد صاحبنا ووديعتنا عندك فاحفظه
 واحرسه فإنه لثمة المأمون ونهض في دعة الله محفوظاً . وبعين الكلائة
 ملحوظاً . قال ولأبى الفضل صردرد في عهد الملك من قصيدة

ملك اذا ما العزم حث جياده * مرحت بازهر شاخ العربين
 بأغر ما أبصرت نور جبينه * الا اقتضاني بالسجود جبينى
 عمت فواضله البرية فالتقى * شكر الزنى ودعوة المسكين
 لو كان في الزمن القديم تظلمت * منه لكونوز الى يدى قارون
 قال: وفي سنة ٥٠٠ هـ انتقض على طغرلبك مصر الموصل فقد كان استخلف
 بها الاميرين أردم وباتكين فتصدما بالبساسيري وقريش بن بدران
 وحاصراهما أربعة أشهر واخرجاها بأمان فعاود طغرلبك الخروج الى الموصل
 لطب الداء المعضل ونصب بنصيبين مضاربه خالفه ابراهيم بن ينال خالفاً
 للطاعة ومضى الى همدان ناوياً للمناوة فسار السلطان وراءه من نصيبين الى
 همدان في سبعة أيام ونفذ وزيره عميد الملك وزوجته خاتون الى مدينة السلام
 ثم كتب اليهما يستدعيهما فتمسك بهما الخليفة . وتواترت الاراجيف

✽ ذكر عود السلطان الى بغداد وحضوره بين يدي الخليفة ✽

•••••

قال : وعاد الى بغداد ظافر اليد وافر الايادي وجلس له الخليفة يوم السبت ٢٥ من ذى القعدة فركب دجلة مجريا طياره في تيارها . حتى وصل الى باب الرقة من السدة الشريفة ودارها . وقدم له فرس فركبها ودخل راكبا الى دهليز صحن السلام . وحصن الاسلام . ثم نزل ومشى والامراء بين يديه بغير سلاح يمشون الى حيث الجلالة مقيمة . والدلالة بالقائم قائمة . والرسالة ملائمة . والأمامة دائمة . والنبوة مستمرة الأثر . والمروة مستقرة البث . وستارة البهاء مسدولة على البهو . وظهارة الانماء مجبولة بالزهو . والقائم بامر الله جالس من وراء الستر على سدة مشرفة مشرقة في ايوان منه للجلال ايواء . ودار أرضها للاقبال سماء . وعلى كتفه ويده البردة والقضيب النبويان . وهما بماء الطهر المحمدي رويان .

ولما قرب طغرلبيك من المقر الاشرف . والمرق المسجف . ورفعت ستارة البهو وانار وجه الخليفة كالقمر في سدفه السدة الشريفة ادي الفرض . وقبل الأرض . ثم مثل قائما للقائم . ووقف لترقب مايقف عليه من المراسيم . وصعد ريس الرؤساء الى سرير لطيف فقال له الخليفة اصعد ركن الدولة اليك ومعه محمد بن المنصور الكندري مفسرا ومترجما . ومعربا عنه ما كان . عجباً . ثم وضع طغرلبيك كرسي جالس عليه . وفسر عميد الملك له تفويض الخليفة اليه . ثم قام طغرلبيك الى مقام الرفعة . ومكان الخلعة . واحتبي بعز الاحتباء . واجتاب خلع الاجتباء . وتوج وطوق وسور وأفيضت عليه

ويماناً وامناً وجلس رئيس الرؤساء . ثلاثة أيام للبناء . وحضر عميد الملك وجماعة
الامراء . قال : وتوفي في هذه السنة عميد الرؤساء أبو طالب بن أيوب عن
٧٠ سنة وقد كتب للخليفة ١٦ سنة . وكانت حسنة سائرة وسيرته حسنة .

ذكر عوارض عرضت وحوادث حدثت

قال : كان ابن عم طغرلبك بالموصل وديار بكر وهو قتلش بن اسرائيل
بن سلجق . متسق الأمر . متسع الصدر . فاجتمع البساسيري وهو أبو
الحارث أرسلان وقريش ابن بدران العقيلي ونور الدولة ديبس بن علي بن
مزيد الاسدي على حربه . وأوقعوا به وبجزبه . وكانت الوقعة بسنجار
ومضى قتلش الى همدان موليا فاتح طغرلبك من ذلك وتوجه الى
الموصل فاجفل البساسيري الى الرحبة فاذعنت لطرلبك البلاد وواتاه
الادب . ووافاه العرب . وأطاعه الاميران ديبس وقريش واتصل به أخوه
ياقوتي بن داود فزادت قوته . وأرعبت بالناس صولته . وكان على أهل سنجان
حاقداً فأنهم مثلوا بقتلي قتلش وتركوه بالعراء وأظهروا الرؤوس على القصب
 . وأخذوا النفوس بالوصب . فسار طغرلبك الى سنجان واجتاحها
 واستباحها . وسلب أرواحها وأشباحها . الى أن شفع فيهم ابراهيم بن ينال
 فعفا بعد أن عفى . وكنت بعد ما اكتفى . قال : وفي هذه السنة مات أبو العلاء

المعري . ٤٤٥ هـ

عقد الخليفة على ابنة أخى طغرل بك ارسلان خاتون خديجة بنت داود بن ميكائيل . وقصد بذلك تعظيمه والتبجيل . ولئلا يجد الاعداء بهذه الوصلة الى قطع سبيل المودة بينهما السبيل .

ذكر الحال فى ذلك

قال : فى المحرم جلس الامام القائم بامر الله أمير المؤمنين . وأحضر عميد الله الكندرى وقدمه على المقدمين . وتقدم اليه باحضار من يجوز احضاره . ويقع عليه ايثاره . فشد وسداه وأخذ دبوساً فى يده . وجرى فى حفظ آداب الخدمة على جده . واستدعى أمثال دولة السلطان فخدموا الخليفة . وشاعدوا السدة الشريفة . ثم شرع رئيس الرؤساء فى خطبة النكاح . وجاء بها على وفق الاقتراح . واستوعب شرائط الايجاب بالذكر من تسمية المخطوبة والمهر ثم قال : إن رأي سيدنا وولانا أن ينعم بالتبول فقال الخليفة قد قبلنا هذا العقد بهذا الصداق . فامتزج بالدولتان بالاستحقاق . واستمرت البركة . واستقرت المملكة . قال وفى هذه السنة كانت ولادة ^{سنة ٤٥٨} المقتدى سحرة الاربعاء ثامن جمادى الاولى وسمى عبد الله وكنى ابا القاسم واهه جارية لذخيرة الدين أبى العباس بن القائم بامر الله وكانت وفاة الذخيرة فى ذى القعدة سنة ٤٤٧ وعمره ١٤ سنة وبوفاته قامت قيامة القائم فانه كان ولى عهده ولم يكن له ولد سواه فلما ولدت جاريته ابناً استجده جيداً وبهاء

المراتب . وقاضى القضاة والشهود . والجنود والبنود . فلما وصل الى نهر بين . لقيه صاحب السلطان من المقرين . وقدم للوزير فرسا وقال هذا مركوب السلطان وقربه . فنزل عن بغلته وركبه . وجاءه بعد ذلك عميد الملك أبو نصر الكندرى فى موكب ضخم . وخر خفم . وقد وقف يتوقع مطاعه فلما بصر به قصد عميد الملك أبو نصر أن يترجل فنعاه وتعاثا راكبين . وخطا الموكبين . ووصل السلطان الى بغداد ونزل على دجلة . عند مسناة عز الدولة . رائع الهيبة . رائق الهيئة . قد ضاقت الارض بجنوده . وضافت السماء عذبات بنوده . فقبض على الملك الرحيم أبى نصر الديلمى من نسل عضد الدولة وسيره الى الري فمقطع عليه الاجل الطريق فى طريقها وأذنت جموع ممالك الديلم بتفريقها وقبض عميد الملك أبو نصر الكندرى الوزير الاعز أبا سعد وزير الملك الرحيم . ثم استدأ صخته حين الفاه فى الكفائية صحيح الاديم . وأطلقه وأطاق يده فى الحل والعقد والحبس والاطلاق . وعول عليه وفوض اليه النظر فى العراق .

قال : وتوفى فى هذه السنة قاضى القضاة الحسين بن على بن ماكولة مخاطب عميد الملك فى تولية قاضى القضاة أبى عبدالله محمد بن الدامغانى فتسنت قاعدته فى ذى القعدة من السنة . وأحسن العناية به لمعانيه الحسنة . وقال هو قدوتنا بخراسان الموصوف بجميع الألسنة . وحضر عميد الملك الكندرى فى بيت النوبة الشريفة . وخص من دار الخلافة بالمنزلة اللطيفة . وانفذت معه برسم السلطان خلع سنه . وتشريفات سريه . قال : وتقدم طغرابك ببناء مدينة على دجلة وهى التى جامعها اليوم باق . وكانت حينئذ ذات أسوار وأسواق . قال : ودخلت سنة ٤٤٨ هـ وفى المحرم منها

ابن الحسن بن المأمون مقيماً يعود الى بغداد ولا يدعه يقيم . ويروم منه
 صدق القصد ولا يريم . وطال بالحضرة حضوره حتى حرك عزمه فعزم على
 الحركة واندفع كالسيل . وكسا العلق عجاج فيلقه صبغة الليل . ولم يترك الترك
 ورداً الا شفوه . ولا حسناً الا شوهوه . ولا ناراً الا أرشوها . ولا
 داراً الا اشعثوها . ولا عصمة الا رفعوها . ولا وصمة الا وضعوها . وأجفل
 الملوك من خوف اقدامهم . وتنحوا من طريق ضرامهم . فما جاؤا الى بلدة
 الا ملكوا مالكمها . وملأوا مسالكها . وأرعبوا ساكنيها وأسكنوها
 الرعب . وغلبوا ولايتها وولوها الغلب . وازبروا الى الزوراء . وأشاعوا مد
 اليد بالغارة الشعواء .

— — — — —

ذكر دخول السلطان ركن الدولة طغرل بك أبي شجاع محمد

بن ميكائيل بن سلجق الى بغداد في ٢٥ من رمضان

سنة ٤٤٧ هـ . ومعه الوزير عميد الملك أبو نصر محمد

ابن منصور الكندري وهو أول وزراء السلجقية

قال : كان حصيفاً نصيحاً رجيحاً نجيحاً متسلطاً بكانه . متمكناً من
 سلطانه . يرجي ويخشى . ويقصد ويفشى . والسلطان بأذنه وناظره يبصر
 ويسمع . وبأذنه ونظره يرفع ويضع . وله البهجة المهيبة . وللحجة المصيبة .
 وكان مع السلطان طغرل بك يوم وصوله الى بغداد وقد خرج رئيس الرؤساء
 وزير الامام القائم لاستقبال السلطان ومعه أرباب المناصب . وأصحاب

المؤمنين في حفظ البلاد والعباد . وقد سنوا سنه العدل . وأسناو أسنا
الفضل . وبطلوا مراسم العسف . وعظّلوا مواسم الخيف . ومضى رسولهم .
وقضى سؤلهم . وتواصلت مع مسعود بن محمود بن سبكتكين حروبهم
وهزموه في سنة ٤٣٠ . واشتدت منعتهم . وقويت شوكتهم . واستولوا على
خراسان وتجاوزوها الى العراق وطرؤا على ملك الديلم . ورموه بالصيلم .
وغلّبوا الاملاك . وبلغوا الافلاك . واقتسموا البلاد . وطرّفوا طرفاها
والبلاد .

قال والاسطان طغرلبك محمد بن ميكائيل بن سلجق ولأخيه جعفري بك
أبي سليمان داود بن ميكائيل بن سلجق من نهر جيحون الى نيسابور ولاخيه
من أمه وهو ابن عمه ابراهيم بن نبال بن سلجق قهستان وجرجان ولا بن
عمه أبي عليّ الحسن بن موسى بن سلجق هراة وبوشنج وسجستان
وبلاد الغور

قال وامتدّ طغرلبك الى الريّ وقد كانوا جعلوا له جميع مايفتحه من
هذا الصوب فحمد الراى بالرىّ . ونجزت عدة جدته بعد الليّ . ووجد في
دورالدهلم دفتان وخزائن . سفرت بها أيامه عن أيامن . فتأثّل وثأث . وورى
زندسعدده بما ورث . وقدم قدامه ابراهيم بن نبال فقرّ بقرميسين وانزعها
من الاميرأبي الشوك فارس بن محمد بن عنّاز وحلّ بجلوان وتوفى أبوالشوك
في شهر رمضان وذلك سنة ٤٣٧ . وفي هذه السنة ورّز رئيس الرؤساء أبوالقاسم
عليّ بن الحسن بن مسلمة للقائم بأمر الله وهي أول سنة ورد فيها الاتراك
الى العراق . وانتشروا منها في الآفاق .

قال وكان عند طغرلبك رسول الخليفة وهو أبو محمد هبة الله بن محمد

نحن في شهر حرام لا نهتك حرمة . ولا نهك عصمته . ولا يحصل من
 النهب ارب وانما تسوء به السمعة ويشيع الشنعة . فنفرت جماعته من مقاله
 وسخفوا رأيه في تبين حرام الفعل وحلاله . فما زال بهم طغربك يقول لهم
 امهلوا بقية هذا الشهر واعملوا ما شئتم بعد الفطر وفي أثناء ذلك وصل اليهم
 كتاب القائم بأمر الله أمير المؤمنين يخوفهم ويذكرهم بالله ويحملهم على
 رعاية عبادته وعمارة بلاده فخلعوا على الرسول المعروف بابي بكر
 الطوسي ثلاثة عشرة خلعاً . وتباهوا برسالة الخليفة وازدادوا بها قوة
 ورفعة .

ولما كان يوم العيد اجتمعوا من القريب والبعيد وهما بالنهب
 فركب طغربك لمنعهم . وجدّ في ردعهم . وقال الآن وقد جاء كتاب الخليفة .
 المفترض الطاعة على الخليفة . وقد خصنا من توليته ايانا بالحق والحقيقة .
 فاح عليه أخوه جفري بك داود وأخرج سكينه وقال إن تركتني والاقلت
 نفسي يدي فرق له وسكنه . وأراه انه مكنه . وأرضاه بمبلغ أربعين الف
 دينار قسطه . ووزن أهل البلد معظمه . وأدى هو من ماله الباقي وغرمه
 وجلس على سرير الملك الذي كان لمحمود بن سبكتكين في نيسابور ونهى
 وأمر وأعطى وأخذ وأبرم ونقض . وأحكم وقوّض . وجلس يومى الاحد
 والاربعاء لكشف المظالم . وبسط المعدلة وبث المكارم . وسير أخاه داود
 الى سرخس فملكها . ونهجه له طريقة في العدل فسلّكها . وسير الى دار
 الخلافة المعظمة رسولاً يعرف بأبي اسحاق الفقاعى صبيح البهجة . فصيح
 اللهجة . بكتاب مضمونه انهم لما وجدوا ابن يمين الدولة مائلاً عن الخير
 والسمو . مشتغلاً بالشر والعتو . غاروا للمسلمين وللبلاد . وهم عبيد أمير

فقدروا بها وبما قاربها . وتحاموا من عداها . وجانبها . وتوفي محمود بن سبكتكين وهو كاره لامرهم . مشفق من وميض جرحهم . مستشف ستر القضاء في قضية شرهم . وعد أبو سهل الصعب فيهم سهلاً . واتخذهم لارتفاقه بهم صحباً وأهلاً . ونفذ مسعود بن محمود بن سبكتكين عسكرياً من غزنة إلى خراسان فواقعهم وقتل منهم عدة واسر منهم جماعة حملهم إلى غزنه منهم بينغو ارسلان فاستعطفوه فلم يعطف . واستسعدوه فلم يعف . ولما غلق رهنهم وتوثق سجنهم . شربوا كأس اليأس . وأبدلوا ايناس الناس بأحاش الحاشية . ومشى شحنة طوس لاستيقاق اللحم من الماشية . وأستلان خشونتهم . واستسهل صعوبتهم . ولما ظن انه آب بالغنم والغنمية . وبآء بعز العزيمة . ركبوا إليه صهوات الخنق . وصرفوا نحوه أعنة الحب والعنق . حتى لقوه فتركوه لقي وتبعوا المهزمين ودخلوا إلى طوس فملكوها . وجاسوا خلال ديارها وسلوكوها . وتشاوروا فيما بينهم وقالوا هذا بحر خضناه . وفتح ابتكرناه . وطوس مدينتنا التي تؤويننا . وحصننا الذي يحميننا . فلا نفرج عنها . ولا نخرج منها . وشرع أبو سهل الحمدوني في استدراك ما فرط . وستمسك ما اختبط . وكادوا يجيئون بالجميل ويحملون في الجواب . ويميلون بمالاًته إلى صوب الصواب . فتسرع شحنة نيسابور وتسرع وجند وعسكر . وشن على سرحهم غارة على غرة . ونهض لمنفعة نهضت بمضرة . فركبت السلجقية إليه وإلى جماعته ارسالاً . ونشبوا معهم وشبوا قتالاً . وهزموهم وكسروهم وقتلوهم واسروهم وامتدوا إلى نيسابور فدخلوها . ووجدوا في خلوها فرصة فاهتبلوها . وذلك في شهر رمضان سنة ٤٢٩ وعزموا على مدايد . ونهب البلد . فمنعهم طغرل بك محمد بن ميكائيل بن سلجق وهو أميرهم وكبيرهم وقال لهم

✽ ذكر نبذة من بداية حال السلجقية ✽

قال رحمه الله كانت السلجقية ذوى عُدَدٍ وَعَدَدٍ . وأيدٍ وِيدٍ .
لا يدينون لاحد ولا يدينون من بلد وميكائيل بن سلجق زعيمهم المبجل .
وعظيمهم المفضل . وقد سكنوا من اعمال بخارا موضعاً يقال له نور بخارا
وما زالوا فى أنصر شيعة . وأنصر عيشة . وهم فى الرعي يكلاؤن الكلاً . وفى
لريع يملأؤن الملاً . لا يذعرهم ذاعر . ولا يردعهم داعر . والسلاطين يرعونهم
للملمات ولا يرعونهم . ويدعونهم للمهمات ولا يدعونهم . حتى عبر السلطان
يمين الدولة محمود بن سبكتكين الى بخارا لمساعدة قدر خان فرأى ميكال
ميكائيل يحصى الحصافة معيراً . وصاع مصاعه يأس البسان موفراً . فرغب
فى استرغابه . وانجذب الى اجتذابه . وأراد ان يعبر الى خراسان به وباهله .
وبكنف اكفافها لذى الحفظ والخفيظة بنبله ونبله . وامتنع ميكائيل عليه ومال
عنه ولم يمل اليه فغاض السلطان تمنعه فقبضه واعتقله . وعبر به وباصحابه الى
خراسان ونقله . وقال له ارسلان الحاجب انى ارى فى أعين هؤلاء عين
الحول . وانهم لمعروفون بالجرأة والقوة والحول . والرأى عندى ان تقطع
أبهام كل من تعبره منهم ليؤمن ضره . ولا يخاف شره . فما قبل خطابه
فى هذا الخطب . وقال له انك لقاى القلب .

فلما اقاموا بخراسان تقربوا الى عميدها أبى سهل أحمد بن الحسن
الحدونى وأهدوا اليه ثلاثة افراس ختلية . وسبعة اجمال بختية . وثلاثمائة
رأس غنم تركية . وهداه اقبالهم الى قبول الهدية وكانوا سألوه ان يرجعهم
فى المروج . ويسد بمواشيهم مخارم تلك الفروج . فعين لهم مروج ذندانقان

لعيون الاعظام والاجلال . ومصايح علومه متوقدة يهتدى بها الشاردون
 فيخرجون من ظلم الزيغ والضلال . وينابيع أياديه متفجرة يكرع فيها الهائمون
 فينتفعون غلل الآمال . وقد افتتحت به في شهر ربيع الأول سنة ٦٢٣ مستعينا
 بالله تعالى ومستمداً من حوله وقوته ومبتهلاً اليه وسائلاً اياه ان يوفقني في
 ذلك وفي جميع أموري بفضلہ ورحمته وهو حسبي وكفى





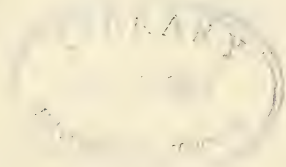
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أما بعد حمد الله على نعمه الجسام . ومنته العظام . والصلاة والسلام
على خير الأنام . سيدنا نبيه محمد وعلى آله البررة الكرام . فاني لما فرغت
من انتخاب الكتاب الموسوم بالبرق الشامي من انشاء الامام السعيد عماد
الدين محمد بن محمد بن حامد الاصفهاني الكاتب رحمه الله طالعت كتابه
الموسوم بنُصرة الفترة وعُصرة الفطرة في اخبار الوزراء السلجوقية فصادثه
قد سلك فيه منهجه المعروف في اطلاق أعنة أقلامه في مضمار بيانه .
واسباع ازيال القرئ المترادفة من وشائع ما يجرد راقم بنانه . بحيث صار
المقصود مغموراً في تضاعيف ضائر الاسجاع . وربما كان لا يرفع الاصفاء
الى بدائعها حجاب بعض الاسماع . فانتجت منه هذا المختصر الذي هو بعد
اشتماله على جميع مقاصد الكتاب محتو على عيون قرائنه البديعة . وزواهر
الفاضة الفصيحة . خدمة لملك اجتمع فيه من الفضائل ما تفرق في جميع سلاطين
الأمم . وصار نظاماً لمحاسن يتزين بافرادها سائر ملوك العرب والعجم . ولانا
السلطان الملك المعظم ابي النتح عيسى ابن السلطان الملك المادل ابي بكر ابن
أيوب لازالت معارج دواته راقية في مدارج الاقبال . وعتبات مجده .



قرر مجلس ادارة الشركة في جلسته المنعقدة في يوم الثلاثاء ١١ ربيع آخر
سنة ١٣١٨ (٧ اغسطس سنة ١٩٠٠) طبع هذا الكتاب على نفقة الشركة
لاحتوائه على تاريخ دول اسلامية مكثت نحو قرن ونصف ولم يوجد لها
للان مؤلف خاص بها بل ذكرت عرضاً في كتب التواريخ ولما مؤلفه من
الشهرة الفائقة في عالم التحرير والانشاء

DS
76
B2
1900



910494 -

كتاب

تاريخ

دولة الخوارج

من انشاء الامام عماد الدين محمد بن محمد بن حامد الاصفهاني
رحمه الله

————— ❦ —————

اختصار الشيخ الامام العالم الفتح بن علي بن محمد البنداري الاصفهاني
رحمه الله ورضي عنه

————— ❦ —————

﴿ طبع على نفقة شركة طبع الكتب العربية ﴾

(بمطبعة الموسوعات بشارع باب الحلق بمصر سنة ١٣١٨ هـ — ١٩٠٠ م)

DS al-Bundārī, al-Fath ibn 'Alī
76 Kitāb ta'rīkh dawlah al
B8 Saljūq
1900

PLEASE DO NOT REMOVE
CARDS OR SLIPS FROM THIS POCKET

UNIVERSITY OF TORONTO LIBRARY
